ISAAC ASIMOV

FOUNDATION

أيزاك أزيموف

القاعدة

ترجمة: أحمد صلاح المهدي



مكتبة

Foundation

شاهد على





القاعدة

أزيموف، أيزاك
القاعدة رواية / أيزاك أزيموف.
ترجمة: أحمد صلاح المهدي.
القاهرة: كيان للنشر والتوزيع، 2022.
364 صفحة، 20 سم.
تدمك: 978-977-820-106-2
ا- القصص الأمريكية
أ- صلاح، أحمد (مترجم)
ب- العنوان: 823
رقم الإيداع: 2021 / 22674
الطبعة الأولى: يناير 2022.

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

القاعدة

أيزاك أزيموف

ترجمة: أحمد صلاح المهدي

رواية



كيان للنشر والتوزيع

الجزء الأول
علماء التاريخ النفسي

هاري سيلدون: ... وُلِد في عام 11988 من الحقبة المجرية، ومات في 12069. من المعتاد أن تُذكر التواريخ بمصطلحات حقبة القاعدة الحالية بالشكل التالي -79 إلى العام 1 ح.ق. وُلِد لأسرة من الطبقة المتوسطة على كوكب هيليكون في قطاع أركوتورس (حيث كان أبوه ـ كما تروي الأسطورة التي تفتقد إلى المصداقية ـ يزرع التبغ في المزارع المائية على الكوكب). لقد أظهر بشكل مبكر براعة مذهلة في الرياضيات. هناك حكايات لا تُحصى عن براعته، وبعضها متعارضة. في عمر الثانية يُقال إنه كان لديه ...

... لا شكَّ أن أعظم إسهاماته كان في حقل التاريخ النفسي، لقد وجد سيلدون هذا الحقل ليس أكثر من مجموعة من الثوابت المُبهمة وتركه علمًا إحصائيًا راسخًا ...

... أفضل المؤلفات الموجودة حاليًا، التي تتحدث عن حياته بالتفصيل، هي السيرة الذاتية التي كتبها جال دورنيك، الذي التقى في شبابه بسيلدون قبل موت هذا العالم الرياضي العظيم. وقصة لقائهما ...

الموسوعة المجرية

الفصل الأول

كان اسمه جال دونريك، وكان مجرد فتى ريفي لم يرَ ترانتور من قبل، أو بالأحرى لم يره على أرض الواقع. لقد رآه مراتٍ عديدة على شاشات الهايبر فيديو، وأحيانًا في شاشات العرض ثلاثية الأبعاد الهائلة أثناء تغطية حفل تتويج إمبراطوري أو افتتاح المجلس المجري. رُغم أنه قد عاش كل حياته على كوكب سيناكس الذي يدور حول نجم في تخوم المنجرف الأزرق إلا أنه لم يكن بمعزلٍ عن الحضارة كما ترى. في ذلك الوقت لم يكن هناك أي مكانٍ في المجرة بمعزلٍ عن الحضارة.

كان هناك قُرابة خمسة وعشرين مليون كوكب مأهول في المجرة في ذلك الوقت، وكانوا جميعهم يدينون بالولاء إلى الإمبراطورية التي يقع مقر حُكمها في ترانتور. لم يتغير هذا الأمر إلا في نصف القرن الأخير.

بالنسبة لجال كانت هذه الرحلة بلا شك هي ذروة حياته العلمية الشابة. لقد ذهب إلى الفضاء من قبل لذا لم تعنِ هذه الرحلة - من حيث السفر - الكثير بالنسبة له. بالتأكيد لم يسافر من قبل أبعد من قمر سيناكس لكي يجمع معلوماتٍ عن آليات الانجراف النيزكي التي كان بحاجة إليها من أجل أطروحته العلمية. ولكن السفر عبر الفضاء كان واحدًا، سواء سافرت لنصف مليون ميل، أو لسنوات ضوئية عديدة.

هيَّأ نفسه قليلًا من أجل القفز عبر الفضاء الفائق، وهي ظاهرة علمية لا يختبرها المرء في الرحلات البسيطة بين الكواكب. لا تزال القفزة هي الوسيلة العلمية الوحيدة للسفر بين النجوم،

وعلى الأرجح ستظل هكذا إلى الأبد. السفر عبر الفضاء العادي لا يُمكن أن يسير بوتيرة أسرع من الضوء العادي (جزء صغير من المعرفة العلمية التي تنتمي إلى الأشياء المعروفة منذ الفجر المنسي للتاريخ البشري)، وهذا سيعني سنواتٍ من السفر حتى بين أقرب المجموعات الشمسية المأهولة. يُمكن للمرء أن يقطع المجرة بأسرها في لحظة واحدة عبر الفضاء الفائق، وهو تلك المنطقة التي لا يُمكن تصورها، والتي لم تكن فضاءً ولا زمنًا، لم تكن مادة ولا طاقة، لم تكن شيئًا أو لا شيء.

انتظر جال القفزة الأولى من تلك القفزات ببعض الخوف الذي اعتصر معدته برفق، ولكن الأمر في النهاية لم يكن أكثر من مجرد رَجّة طفيفة، مجرد وكزة داخلية بسيطة اختفت على الفور قبل أن يتيقن من أنه قد أحسَّ بها، كان هذا كل شيء.

وبعدها لم يكن هناك سوى السفينة؛ ضخمة ولامعة، النتاج المذهل لاثني عشر ألف عام من التقدم الإمبراطوري، وهو نفسه، ورسالة الدكتوراه التي حصل عليها حديثًا في الرياضيات، ودعوة من هاري سيلدون العظيم لكي يأتي إلى ترانتور، لكي ينضم إلى مشروع سيلدون الهائل والغامض بشكلٍ ما.

ما كان ينتظره جال بعد القفزة المخيبة للآمال هو رؤية ترانتور للمرة الأولى، أسرع إلى غُرفة المُشاهدة، كانت ستائر الإغلاق المعدنية تُرفع لأعلى في أوقاتٍ مُحددة. وكان يحرص دومًا على أن يكون هناك ليُراقب لمعان النجوم الباهر، ويستمتع بالسرب الضبابي المذهل لعنقود نجمي كتكتل عملاق من اليراعات تجمَّدت أثناء حركتها وظلَّت ساكنة إلى الأبد. في إحدى المرات كان هناك الدخان البارد الأبيض المائل للزرقة لسديم غازي على بعد خمس سنوات ضوئية من السفينة، وقد انتشر فوق النافذة كلبن بارد

يملأ الغُرفة بمسحة ثلجية، قبل أن يختفي عن النظر بعد ساعتين إثر قفزة أُخرى.

أول مرة رأى فيها شمس ترانتور كانت نقطة بيضاء لامعة ضائعة في حشد من النقاط الأُخرى، ولم يكن ليتعرَّف عليها لولا أن دليل السفينة قد أشار إليها. كانت النجوم كثيفة هنا بالقرب من مركز المجرة، ولكن مع كل قفزة كانت تلمع بسطوع أكبر لتحجب النجوم الأُخرى بضوئها.

دلف ضابط إلى الغُرفة وقال: «يجب أن تُغلق غُرفة المُشاهدة لبقية الرحلة، استعد للهبوط».

لحق به جال وأمسك بكم الزي الرسمي الأبيض الذي يحمل شعار سفينة الفضاء والشمس الخاص بالإمبراطورية، ثم قال: «هل من الممكن أن تدعني أبقى هنا؟ أُريد أن أرى ترانتور».

ابتسم الضابط فاحمرَّ وجه جال قليلًا، خطر على باله أنه قد تحدَّث بلكنة ريفية.

قال الضابط: «سوف نهبط على ترانتور بحلول الصباح».

"أعني أنني أُريد أن أراه من الفضاء".

"المعذرة يا فتى، لو كان هذا يخت فضاء فلربما استطعنا تدبير الأمر، ولكننا نهبط بحركة دائرية من الناحية المواجهة للشمس، لن ترغب في أن تُصاب بالعمى والحروق والتشوهات الإشعاعية في نفس الوقت، أليس كذلك؟».

بدأ جال يسير مبتعدًا، فناداه الضابط قائلًا: «ترانتور لن يكون إلا مجرد غشاوة رمادية على أي حال يا فتى. لِمَ لا تأخذ جولة فضائية بمجرد أن تصل إلى ترانتور، إنها رخيصة».

نظر جال وراءه وقال: «شكرًا جزيلًا لك».

لقد كان الإحساس بخيبة الأمل إحساسًا طفوليًا، ولكن المشاعر الطفولية تنتاب الرجل البالغ بشكلٍ طبيعي كما تنتاب الطفل، فقد كان هناك غصة في حلق جال. لم يرَ ترانتور من قبل وهو يمتد بكل عظمته كبيرًا كالحياة ذاتها، ولم يتوقع أن يضطر إلى الانتظار لوقتٍ أطول.

الفصل الثاني

هبطت السفينة في مزيج من الضوضاء، كان هناك الصوت البعيد لحفيف الغلاف الجوي وهو ينزلق بسرعة على هيكل السفينة المعدني، وكان هناك الأزيز المتواصل لأجهزة التبريد وهي تقاوم حرارة الاحتكاك، والدمدمة الخافتة للمحركات وهي تُجبر السفينة على إبطاء الحركة. كان هناك الأصوات البشرية لرجال ونساء يجتمعون في غُرف الهبوط، وصوت صرير الرافعات وهي تحمل الأمتعة والطرود البريدية وشحنات البضائع إلى محور السفينة الطويل، حيث تنقل من هناك لاحقًا إلى منصة التفريغ.

أحسَّ جال برجَّة بسيطة تشي بأن السفينة لم تعد تمتلك حركة مستقلة بذاتها. أفسحت جاذبية السفينة المجال لجاذبية الكوكب لساعات. كان هناك آلاف الركاب يجلسون بصبر في غُرف الهبوط التي كانت تميل بيسر مستسلمة لحقول القوة لتعدل ميلها حسب التغير في اتجاه قوى الجاذبية. الآن كانوا يتحركون ببطء عبر مدرجات الهبوط المنحنية نحو أبواب الخروج الكبيرة المفتوحة.

كانت أمتعة جال قليلة للغاية. وقف عند أحد المكاتب حيث أُفرِغت أمتعته ثم جُمِعت مُجددًا بشكلٍ احترافي، ثم فُحِصَت تأشيرته وخُتِمت. هو نفسه لم يبدِ أي اهتمام.

ها هو ترانتور! كان الهواء أكثر كثافة بقليل والجاذبية أقوى بعض الشيء من كوكبه الأم سيناكس، ولكنه سيعتاد على ذلك. تساءل إن كان سيعتاد على ضخامة كل شيء.

كان مبنى الهبوط هائلًا، ولم يستطيعوا تقريبًا أن يروا السقف

بسبب ارتفاعه الشديد، استطاع جال أن يتخيل السحب وهي تمر أسفل ارتفاعه الشاسع. لم يستطع أن يرى أي جدار مقابل، فقط رجال ومكاتب يغطون الأرضية على امتداد البصر حتى تختفي في غشاوة ضبابية.

تحدث الرجل الجالس على المكتب مُجددًا، كان صوته مُنزعجًا وهو يقول: «تحرّك يا دورنيك». احتاج إلى فتح التأشيرة والنظر مُجددًا لكي يتذكر الاسم.

قال جال: «أين... أين...».

أشار الرجل الجالس على المكتب بإبهامه وقال: «عربات الأُجرة إلى اليمين ثم ثالث يسار».

تحرّك جال حتى رأى الأحرف المضيئة في الهواء والمعلقة عاليًا في الفراغ تقول «عربات أُجرة إلى كل الوجهات».

خرج رجل من بين الزحام وخطا ناحية المكتب بعد مُغادرة جال، نظر الرجل الجالس على المكتب لأعلى وأومأ برأسه إيماءة مقتضبة، أومأ له الرجل الآخر بدوره ثم لحق بالوافد الشاب.

لقد وصل في الوقت المناسب لكي يختلس السمع إلى وجهة جال.

وجد جال نفسه يقف أمام شباك معدني. كان هناك لافتة صغيرة مكتوب عليها «المشرف»، قال الرجل الذي تشير إليه اللافتة دون أن يرفع رأسه: «إلى أين؟».

لم يكن جال واثقًا، ولكن حتى بضع لحظات من التردد كانت تعني أن يصطف المزيد من الرجال وراءه.

نظر المشرف إلى أعلى وقال: «إلى أين؟».

كانـت مدخـرات جـال قليلـة، ولكنهـا سـتكون ليلـة واحـدة قبـل أن يصـير لديـه وظيفـة. حـاول أن يبـدو رابـط الجـأش وهـو يقـول: «فنـدق جيـد مـن فضلـك».

قال المشرف بلا اكتراث: «جميعها جيدة، اختر واحدًا».

قال جال في يأس: "أقرب واحد من فضلك».

لمـس المـشرف أحـد الأزرار فتشـكَّل خـط رفيـع مـن الضـوء عـلى الأرض وهـو يتمايـل بـين مجموعـة أُخـرى مـن الخطـوط كانـت تـضيء وتخفـت بألـوان ودرجـات مختلفـة. دفـع المـشرف بتذكـرة إلى يـديّ جـال فلمعـت بضـوء خافـت.

قال المشرف: «واحد فاصل اثني عشر».

أخـذ جـال يبحـث في جيبـه عـن العمـلات المعدنيـة وهـو يقـول: «أيــن أذهــب؟».

"اتبـع الضـوء، سـتظل التذكـرة متوهجـة طالمـا أنـت تسـير في الطريق الصحيح".

رفـع جـال بـصره وبـدأ يسـير، كان هنـاك مئـات الخطـوط التـي تزحـف عـبر الأرض الشاسـعة وهـي تتبـع مسـاراتها الخاصـة وتنحـرف عنـد نقـاط التقاطـع حتـى تصـل إلى وجهاتهـا المحـددة.

انتهـى مسـاره الخـاص. كان هنـاك رجـل يرتـدي زيًّـا موحـدًا لامعًـا مـن اللـون الأصفـر والأزرق، مصنوعًـا مـن بلاسـتيك صديـق للبيئـة. مـدَّ الرجـل يديـه ليتنـاول الحقيبتـين وهـو يقـول: «الخـط المُبـاشر إلى فنـدق الأقـصر".

سـمع الرجـل الـذي لحـق بجـال هـذا، وسـمع أيضًـا جـال وهـو يقـول: «حسـنًا»، ثـم رآه وهـو يسـتقل العربـة ذات المقدمـة المُدببـة.

ارتفعت عربة الأجرة لأعلى بشكلٍ أفقي. حدَّق جال خارج النافذة الشفافة المنحنية وتعجَّب من إحساس التحليق داخل مبنى مغلق فتشبَّث بشكلٍ غريزي بظهر مقعد السائق. انكمش الاتساع الشاسع وتحوَّل الناس إلى نمل في أقسام عشوائية. انكمش المشهد أكثر وبدأ يختفي في الخلفية.

كان هناك جدار أمامهما، بالغ الارتفاع ويمتد لأعلى خارج نطاق النظر. كان مليئًا بالفجوات التي تؤدي إلى أنفاق. تحرَّكت العربة التي يستقلها جال ناحية إحدى الفجوات واندفعت بداخلها. لوهلة تساءل جال متفرجًا كيف يختار السائق واحدة من بين الفجوات العديدة.

لم يعد هناك سوى الظلمة التي لا يبددها إلا أضواء الإشارة الملونة، التي يمرون بجوارها في طريقهم. كان الهواء مليئًا بصوت الاندفاع.

مال جال للأمام عندما أبطأت عربة الأجرة من حركتها ثم خرجت من النفق وهبطت إلى المستوى الأرضي مُجددًا.

قال السائق بلا داعٍ: "فندق الأقصر". ثم ساعد جال على حمل أمتعته، وبشكلٍ عملي قَبِلَ منه بقشيشًا يساوي واحد من عشرة، قبل أن يأخذ راكبًا كان ينتظر، ويرتفع في الهواء مُجددًا.

أثناء كل هذا، منذ لحظة الهبوط، لم يكن هناك أدنى لمحة للسماء.

ترانتور: ... في بداية الألفية الثالثة عشر وصلت هذه النزعة إلى ذروتها. بسبب كونه مركز الحكومة الإمبراطورية لمئات الأجيال المتعاقبة، ولكونه ـ كما هو الحال ـ قريبًا من المنطقة المركزية للمجرة، بين أكثر الكواكب المزدحمة بالسكان والمتقدمة صناعيًا في المجموعة الشمسية، فكان من الطبيعي أن يكون أكثف وأغنى تكتل بشري قد عرفه البشر.

لقد كان تقدمه الحضاري يسير بوتيرة ثابتة حتى وصل في النهاية إلى الحد الأقصى. كل الأراضي على سطح ترانتور، التي تبلغ مساحتها 75000000 ميل مربع، كانت مدينة واحدة. إن كثافته السكانية في ذروتها كانت تتخطى الأربعين مليارًا. هذه الكثافة السكانية الهائلة كانت مكرسة بشكلٍ شبه كامل لاحتياجات إدارة الإمبراطورية، رغم أن هذا العدد أقل بكثير مما تحتاجه تعقيدات هذه المهمة. (يجب أن نتذكر أن استحالة الإدارة السليمة لإمبراطورية مجرية تحت حكم الأباطرة المتأخرين ضيقي الأفق كانت عاملًا هامًّا في السقوط). تجلب أساطيل السفن التي يبلغ عددها عشرات الآلاف بشكلٍ يومي منتجات عشرين كوكبًا زراعيًّا إلى موائد الغداء في ترانتور...

إن اعتمادها على الكواكب الخارجية من أجل الطعام، وكل احتياجات الحياة بالطبع، جعل ترانتور أكثر عُرضة بشكلٍ متزايد للغزو عن طريق الحصار. في الألفية الأخيرة من عمر الإمبراطورية هذه الثورات المتكررة العديدة جعلت الأباطرة يدركون هذه الحقيقة، فصارت سياسة الإمبراطورية منحصرة في حماية الشريان الحساس الذي يمد ترانتور بالحياة...

الموسوعة المجرية

الفصل الثالث

لم يكن جال واثقًا إن كانت الشمس قد أشرقت، أو في هذه الحالة إن كان الوقت نهارًا أم ليلًا، وكان يشعر بالخجل من السؤال. بدا أن الكوكب بأكمله يعيش تحت المعدن. الوجبة التي قد تناولها من قبل كانت تحمل اسم وجبة الغداء، ولكن هناك العديد من الكواكب التي تعيش على جدول زمني قياسي لا يأخذ في الاعتبار التناوب غير الملائم بين الليل والنهار. إن الكواكب تدور حول نفسها بمعدلات مختلفة، ولم يكن يعرف معدل دوران ترانتور.

في البداية سار بحماس وراء اللافتات التي تشير إلى «غُرفة الشمس». ولكنه وجد أنها مجرد حُجرة للتشمس في إشعاع صناعي. تردد لوهلة أو اثنتين ثم عاد إلى بهو الفندق الرئيسي.

قال لموظف الاستقبال: «أين يُمكنني شراء تذكرة للجولة الكوكبية؟».

"هنا".

"متى ستبدأ؟".

"لقد فاتتك للتو، هناك واحدة أُخرى في الغد، اشترِ تذكرة الآن وسوف أحجز مكانًا من أجلك".

في الغد سيكون قد فات الأوان، يجب أن يكون في الجامعة غدًا. قال: «ألا يوجد برج مراقبة أو شيء من هذا القبيل؟ أعني في الهواء الطلق».

"بالطبع، يُمكنني أن أبيع لك تذكرة من أجل هذا إذا أردت. دعني أولًا أتفحَّص إن كانت تُمطر أم لا". ضغط زرًّا عند مرفقه

وقرأ الأحرف التي تدفَّقت عبر شاشة شفافة، وراح جال يقرأ معه.

قال موظف الاستقبال: «الطقس جيد، بالتفكير في الأمر أعتقد أن موسم الجفاف قد حَلَّ». ثم أضاف قائلًا: «أنا شخصيًا لا أكترث بالسطح الخارجي، آخر مرة كنت في مكان مفتوح كانت منذ ثلاث سنوات، أنت بحاجة لرؤيته مرة واحدة كما تعرف وستكون قد رأيت كل شيء. ها هي تذكرتك وهناك مصعدٌ خاص في المؤخرة، مكتوب عليه «إلى البرج» عليك فقط أن تستقله".

كان المصعد من نوعٍ جديد يستخدم حقول الجاذبية المتنافرة. دلف إليه جال ولحق به آخرون من ورائه. ضغط عامل المصعد أحد الأزرار، ولوهلة أحسَّ جال أنه معلق في الفراغ عندما صارت الجاذبية صفر، ثم أحس بوزنه مُجددًا بشكلٍ بسيط عندما تسارع المصعد لأعلى. تباطأت الحركة مُجددًا بعد ذلك فتركت قدماه الأرض وصرخ رُغمًا عنه.

صاح عامل المصعد: «دُسَّ قدميك أسفل الحاجز، ألا تستطيع أن تقرأ اللافتة؟».

كان الآخرون قد فعلوا هذا، وكانوا يبتسمون وهم ينظرون إليه بينما هو يحاول عبثًا وبشكلٍ غاضب أن يهبط لأسفل مُستخدمًا الجدار. كانت أقدامهم موضوعة أسفل الحواجز المصنوعة من مادة الكروم والممتدة عبر الأرضية في أزواج متوازية يكفي كل واحد منهم قدمين. كان قد لاحظ هذه الحواجز عندما دلف ولكنه تجاهلها.

ثم امتدت يد وجذبته لأسفل.

شهق قبل أن يشكره بينما المصعد يتوقف.

خطا خارجًا ليجد نفسه في شرفة مفتوحة غارقة في ضوء أبيض

باهـر آلم عينيـه. الرجـل الـذي مـد لـه يـد المسـاعدة والـذي يديـن لـه بالفضـل كان وراءه مبـاشرة.

قال الرجل بلطف: «هناك الكثير من المقاعد».

أغلـق جـال فمـه، فقـد كان فاغـرًا فـاه، ثـم قـال: «يبـدو هـذا بالتأكيـد».

بدأ يسير ناحيتهم بشكلٍ تلقائي ثم توقَّف.

قـال: «إن لم تمانـع فسـوف أتوقَّـف للحظـة عنـد السـور، أريـد ... أريـد أن أُلقـي نظـرة».

لـوَّح الرجـل لـه بشـكلٍ ودود فانحنـى جـال عـلى السـور الـذي يصـل ارتفاعـه إلى كتفـه وغـرق في المشـهد المهيـب أمامـه.

لم يسـتطع أن يـرى الأرض، لقـد ضاعـت بـين المبـاني بالغـة التعقيـد التـي بناهـا البـشر. لم يسـتطع أن يـرى في الأفـق سـوى المعـدن الممتـد لأعـلى عـبر السـماء في لـونٍ رمـادي، وكان يعـرف أن الأمـر هكـذا عـلى سـطح الكوكـب بالكامـل. بالـكاد كان هنـاك أي حركـة يُمكـن رؤيتهـا؛ القليـل مـن سـفن التنـزه تتحـرَّك بتكاسـل في السـماء، ولكـن كل الحركـة المزدحمـة لمليـارات البـشر كانـت تجـري كـما يعـرف أسـفل غطـاء الكوكـب المعـدني.

لم يكـن هنـاك أي خـضرة عـلى مرمـى البـصر؛ لا خُـضرة ولا تُربـة ولا حيـاة عـدا الحيـاة البشريـة. كان يُـدرك بشـكلٍ مُبهـم أنـه في مـكان مـا في هـذا الكوكـب يقـع قـصر الإمبراطـور، بـين مئـة ميـل مربـع مـن التربـة الطبيعيـة مُغطـاة بالأشـجار الخـضراء والأزهـار ذات الألـوان العديـدة. لقـد كانـت جزيـرة صغـيرة وسـط محيـط مـن الفـولاذ، ولكنهـا لم تكـن مرئيـة مـن موضعـه هـذا، ربمـا تكـون عـلى بُعـد عـشرة آلاف ميـل، لم يكـن يعـرف.

يجب أن يُنهي جولته قبل أن يمضي وقت طويل!

تنهَّد بصوتٍ مرتفع وأدرك أنه أخيراً على كوكب ترانتور. الكوكب الذي هو مركز المجرة ونواة الجنس البشري. لم يرَ أيًّا من نقاط ضعفه، لم يرَ سفن الطعام وهي تهبط، لم يكن على دراية بشريان الحياة الحساس الذي يربط سكان ترانتور الأربعين مليار ببقية المجرة، كان يعي فقط أعظم إنجاز للبشر؛ الغزو الكامل والتام ـ والمثير للازدراء إلى حد ما ـ لهذا الكوكب.

تراجع إلى الوراء بعينين خاويتين. أشار صديقه من المصعد إلى المقعد المجاور له فجلس جال عليه.

ابتسم الرجل وقال: «اسمي جيريل. أهذه أول مرة لك على ترانتور؟".

"أجل يا سيد جيريل".

"خمَّنت هذا. جيريل هو اسمي الأول. ترانتور قد يصيبك بالإحباط إن كنت ذا نزعة شعرية. إن سكان ترانتور لا يصعدون أبدًا إلى هنا. إنهم لا يحبونه. يصيبهم بالتوتر".

"التوتر! اسمي جال بالمناسبة. لمَ قد يُصيبهم بالتوتر؟ إنه مُذهل».

"الآراء هي أمر نسبي يا جال. إذا ولدت في مقصورة وترعرعت في ممر وعملت في حُجرة وقضيت العطلة في غُرفة الشمس فإن الصعود إلى هنا في الهواء الطلق حيث لا يوجد أعلاك شيء سوى السماء قد يصيبك بصدمة عصبية. إنهم يجعلون الأطفال يصعدون إلى هنا مرة كل عام بعد أن يبلغوا الخامسة. لا أعرف إن كان هذا يجدي نفعًا، إنهم لا يصعدون إلى هنا مرات كافية حقًّا، وفي المرات الأولى يصرخون بشكلٍ هيستيري. يجب أن يبدأ الأمر بمجرد

فطامهـم ويجـب أن تكـون الرحلـة مـرة كل أسـبوع».

واصـل الحديـث قائـلًا: «بالطبـع هـذا لا يهـم حقًّـا. مـاذا لـو لم يأتـوا إلى هنـا عـلى الإطـلاق؟ إنهـم سـعداء بالأسـفل هنـاك وهـم يديـرون الإمبراطوريـة. مـا مـدى ارتفاعنـا مـن وجهـة نظـرك؟».

قال: «نصف ميل؟». وتساءل إن كان هذا يبدو ساذجًا.

لا شـكَّ أنـه قـد بـدا كذلـك لأن جيريـل ضحـك قليـلًا ثـم قـال: «لا، فقـط خمسـمئة قـدم».

"ماذا؟ ولكن المصعد أخذ قرابة...".

"أنـا أعـرف، ولكـن معظـم الوقـت كنـا فقـط نصعـد إلى المسـتوى الأرضي، إن أنفـاق ترانتـور تصـل إلى عمـق ميـل أسـفل الأرض. إنـه مثـل جبـل الثلـج، لا يُمكـن رؤيـة تسـعة أعشـاره. بـل إنـه يصـل إلى عمـق بضعـة أميـال أسـفل تربـة المحيـط في الأماكـن السـاحلية. في الواقـع إننـا منخفضـون كثـيرًا حتـى أنـه باسـتطاعتنا اسـتخدام فـارق الحـرارة بـين المسـتوى الأرضي وعُمـق ميلـين أسـفله لتزويدنـا بالطاقـة التـي نحتاجهـا. هـل تعـرف هـذا؟".

"لا، ظننت أنكم تستخدمون المولدات الذرية».

"كنا نفعل هذا قديمًا، ولكن هذا أرخص».

"يُمكنني تصور هذا".

"مـا رأيـك في كل هـذا؟". لوهلـة تبخَّـرت طبيعـة الرجـل الـودود لتصـير نوعًـا مـن الدهـاء وبـدا ماكـرًا إلى حـدٍ كبـير.

تلعثم جال وهو يقول مُجددًا: «إنه مُذهل».

"هل أنت هنا في عطلة؟ سفر؟ جولة سياحية؟".

"ليـس بالضبـط، عـلى الأقـل لطالمـا أردت أن أزور ترانتـور، ولكنـي

جئت إلى هنا بشكلٍ أساسي من أجل العمل".

"حقًّا؟".

أحسَّ جال أنه مضطر لأن يشرح أكثر، فقال: «مع مشروع د. سيلدون في جامعة ترانتور».

"سيلدون الغراب؟".

"لا بالطبع. من أعنيه هو هاري سيلدون، عالم التاريخ النفسي. أنا لا أعرف أي أحد يُدعى سيلدون الغراب".

"هذا هو هاري الذي أعنيه، إنهم يطلقون عليه لقب الغراب، كنوع من التشبيه، لأنه يصر على التنبؤ بكارثة".

"أيفعل هذا حقًّا؟". كان جال مذهولًا بصدق.

قال جيريل دون أن يبتسم: «بالطبع، يجب أن تعرف هذا، لقد أتيت للعمل معه، أليس كذلك؟».

"أجل، أنا عالم رياضيات. لِمَ يتنبّأ بكارثة؟ أي نوع من الكوارث هي؟".

"أي نوع تعتقد؟".

"أخشى أنه ليس لدي أدنى فكرة. لقد قرأت الأوراق العلمية التي نشرها د. سيلدون ومجموعته، جميعها متعلقة بالنظريات الرياضية".

"أجل، هذا هو ما ينشرونه".

أحس جال بالانزعاج فقال: «أعتقد أنني سأذهب لغُرفتي الآن. سررت للغاية بلقائك».

لوَّح جيريل بيده ليودعه بلا اكتراث.

وجد جال رجلًا ينتظره في غُرفته. لوهلة كان مندهشًا للغاية،

فلـم يقـدر عـلى النطـق بتلـك الكلـمات التـي وقفـت عنـد شـفتيه «مـا الـذي تفعلـه هنـا؟».

اعتـدل الرجـل واقفًـا، كان الرجـل عجـوزًا وأصلـع إلى حـد كبـير. كان يعـرج وهـو يسـير، ولكـن عينيـه الزرقاويـن كانتـا تلمعـان بـذكاءٍ شـديد.

قـال الرجـل: «أنـا هـاري سـيلدون». وفي تلـك اللحظـة تذكـر عقـل جـال المرتبـك الوجـه الـذي رآه مـرات عديـدة في الصـور.

علـم التاريـخ النفـسي: ... باسـتخدام المفاهيـم غـير الرياضيـة يُعـرَّف جـال دورنيـك علـم التاريـخ النفـسي عـلى أنـه فـرع مـن الرياضيـات يتعامـل مـع ردود فعـل التكتـلات البشريـة للمحفـزات الاجتماعيـة والاقتصاديـة المُحـددة ...

... كل هـذه التعريفـات تتضمـن الافـتراض بـأن التكتـل البـشري الـذي يجـري التعامـل معـه هـو كبـير بمـا يكفـي مـن أجـل التعامـل الإحصـائي الصحيـح. الحجـم المطلـوب لمثـل هـذا التكتـل يُمكـن تحديـده مـن خـلال قانـون سـيلدون الأول الـذي ... هنـاك افـتراض ضروري آخـر وهـو أن التكتـل البـشري نفسـه لا يُـدرك وجـود التحليـل التاريخـي النفـسي مـن أجـل أن يكـون رد الفعـل عشـوائيًا حقًّـا ...

إن أسـاس علـم النفـس الحقيقـي يكمـن في تطويـر دوال سـليدون التـي تُبـدي خواصًـا تتوافـق مـع خـواص هـذه القـوى الاجتماعيـة والاقتصاديـة مثـل ...

الموسوعة المجرية

الفصل الرابع

قال جال: «مساء الخير يا سيدي، أنا ... أنا ...».

"لم تتوقع أننا سنلتقي هنا قبل الغد؟ في الظروف الطبيعية لم يكن هذا سيحدث، الأمر هو أننا إذا أردنا أن نستعين بخدماتك فيجب علينا أن نعمل على الفور. الحصول على مجندين جُدد يزداد صعوبة بمرور الوقت».

"أنا لا أفهم يا سيدي".

"لقد كنت تتحدث مع رجل على برج المراقبة، أليس كذلك؟".

"أجل، اسمه جيريل، لا أعرف أي شيء آخر عنه".

"اسمه لا يهم، إنه أحد عملاء لجنة السلامة العامة، إنه يتبعك منذ هبطت من الفضاء».

"ولكن لماذا؟ أخشى أنني لا أفهم شيئًا".

"هل قال لك الرجل على البرج أي شيء عني؟".

تردد جال قليلًا ثم قال: «لقد أشار إليك باسم سيلدون الغراب».

"هل قال لك لماذا؟".

"قال إنك تتنبأ بكارثة".

"هذا حقيقي. ما الذي يعنيه ترانتور بالنسبة لك؟".

بدا أن الجميع يسأله عن رأيه في ترانتور، أحسّ جال أنه لا يقدر على الرد سوى بكلمته المجردة: «مذهل».

"يمكنك أن تقول هذا بدون تفكير. ماذا عن علم التاريخ

النفسي؟».

"لم أفكر في تطبيقه على هذه المشكلة".

"قبل أن ينتهي حديثنا يا فتى ستتعلم أن تطبق علم التاريخ النفسي على كل المشكلات بشكلٍ بديهي. انظر".

أخرج سيلدون آلته الحاسبة اللوحية من حقيبة صغيرة في حزامه. يقال إنه يُبقي واحدة أسفل وسادته لكي يستخدمها في لحظات اليقظة. كان طلاؤها الرمادي اللامع قد تآكل قليلًا مع الاستخدام. تقافزت أصابع سيلدون الرشيقة ـ الممتلئة بالنقاط بفعل التقدم في العمر ـ على الأرقام المتراصة التي تملأ سطح الآلة. لمعت رموز حمراء في الصف العلوي.

قال: «هذا يُمثل الوضع الحالي للإمبراطورية».

ثم انتظر.

قال جال أخيراً: «هذا ليس تمثيلًا كاملًا بالتأكيد».

قال سيلدون: «لا، ليس كاملًا. أنا مسرور لأنك لم تقبل كلامي بشكلٍ أعمى. ولكن هذا تقدير تقريبي سيفي بالغرض لأعرض عليك اقتراحي. هل تقبل هذا؟".

"بناء على تيقني لاحقًا من اشتقاق الدالة، أجل". كان جال يتجنب بحرص أي فخ محتمل.

"جيد. أضف هذا إلى الاحتمالات المعروفة مثل الاغتيال الإمبراطوري، والتمرد الانتخابي، والتكرار المعاصر لفترات الكساد الاقتصادي، وانخفاض معدل استكشاف الكواكب، و...".

واصل حديثه، ومع كل عنصر يذكره كان هناك رموز جديدة تولد مع لمساته، وتذوب في الدالة الرئيسية التي راحت تتوسع وتتغير.

أوقفه جال على الفور قائلًا: «أنا لا أرى صحة هذا التحويل الرياضي».

كرر سيلدون الأمر بشكلٍ أبطأ.

قال جال: «ولكن هذا يجري من خلال عملية رياضية اجتماعية محظورة".

"جيد، أنت سريع الملاحظة، ولكنك لست سريعًا بما يكفي بعد، إنها ليست محظورة في هذه المعادلة. دعني أجريها بمزيد من التفصيل".

أخذت العملية وقتًا أطول، وفي النهاية قال جال بتواضع: «أجل، لقد فهمت الآن".

أخيرًا توقَّف سيلدون وقال: «هذا هو ترانتور بعد ثلاثة قرون من الآن، كيف تُفسر هذا؟ ها؟». ثم أمال رأسه جانبًا وانتظر.

قال جال في عدم تصديق: «الدمار التام! ولكن... ولكن هذا مستحيل. ترانتور لم يكن أبدًا...».

قال سيلدون بحماس شديد لرجلٍ لم يُصِب التقدم في العمر سوى جسده: "بحقك يا فتى، لقد رأيت النتيجة التي وصلنا إليها، فلتصغها في كلمات. انسَ الرموز الرياضية للحظة».

قال جال: «بينما يزداد ترانتور تخصصًا فإنه يصير أكثر ضعفًا وأقل قدرة على الدفاع عن نفسه. علاوة على ذلك كلما ازدادت مكانته كمركز إداري للإمبراطورية فإنه يصير غنيمة أكبر. بينما يصير توريث الإمبراطورية غير مستقر، وبتفشي الخلافات بين العائلات الكبيرة تختفي المسئوليات الاجتماعية".

"هذا يكفي. وماذا عن الاحتمالية الرياضية للدمار التام في غضون ثلاثة قرون؟".

"لا يُمكنني القول".

"بالتأكيد يُمكنك أن تُجري اشتقاق دالي».

أحسَّ جال أنه واقع تحت ضغط، ولم تُعرض عليه الآلة الحاسبة اللوحية، التي كانت على مرمى قدمٍ من عينيه. أجرى الحسابات بشكلٍ محموم وأحسَّ بالعرق يتكاثف على جبينه.

قال: «قُرابة 85%؟».

قال سيلدون وهو يمط شفته السفلى: «ليس سيئًا، ولكنه ليس جيدًا. النسبة الحقيقية هي 92,5%".

قال جال: «ألهذا يطلقون عليك اسم سيلدون الغراب؟ لم أرَ أيًّا من هذا في الدوريات العلمية».

"بالطبع لا، هذا لا يُمكن طباعته. هل تعتقد أن الإمبراطورية من الممكن أن تكشف ضعفها بهذه الطريقة؟ هذا مجرد عرض بسيط في علم التاريخ النفسي. ولكن بعض نتائجنا قد تسرَّبت بين الطبقة الأرستقراطية".

"هذا سيئ".

"ليس بالضرورة. كل شيء مأخوذ بعين الاعتبار".

"ولكن هل هذا سبب التحقيق معي؟".

"أجل، كل شيء متعلق بمشروعي يخضع للتحقيق".

"هل أنت في خطر يا سيدي؟".

"أجل، هناك احتمالية 1.7% أن أُعدم، ولكن هذا بالطبع لن يوقف مشروعي. لقد أخذنا هذا بعين الاعتبار أيضًا. حسنًا، لا تهتم. أفترض أنك ستلتقي بي غدًا في الجامعة؟".

قال جال: «أجل».

لجنـة السـلامة العامـة: ... وصـل الأرسـتقراطيون إلى سـدة الحكـم بعـد اغتيـال كِليـون الأول، آخـر إمبراطـور مـن عائلـة إنتـون. شـكَّلوا بشـكلٍ أسـاسي عنـصر نظـام أثنـاء قـرون الاضطـراب وزعزعـة الاسـتقرار في الإمبراطوريـة. عـادة مـا تكـون تحـت سـيطرة العائـلات العظيمـة مثـل عائلـة تشـين وعائلـة ديفـارت. وقـد انحـدر بهـا الحـال بمـرور الوقـت حتـى صـارت مجـرد أداة عميـاء للحفـاظ عـلى الوضـع الراهن... لم يُزالـوا تمامًـا مـن السـلطة في الدولـة إلا بعـد أن ارتقـى العـرش آخـر الأباطـرة الأقويـاء؛ كِليـون الثـاني كبـير اللجنـة الأول.

... يُمكـن تعقـب بدايـة سـقوط اللجنـة بشـكلٍ مـا إلى محاكمـة هـاري سـيلدون قبـل بدايـة حقبـة القاعـدة بعامـين. المحاكمـة مذكـورة بالتفصيـل في سـيرة هـاري سـيلدون الذاتيـة التـي كتبهـا جـال دورنيك...

الموسوعة المجرية

الفصل الخامس

لم يـوفِ جـال بوعـده. لقـد اسـتيقظ في الصبـاح التـالي عـلى صـوت أزيـز جهـاز اتصـال مكتـوم، أجـاب الاتصـال فجـاءه صـوت موظـف الاسـتقبال هادئًـا ومهذبًـا كـما يجـب أن يكـون، وإن كان بـه بعـض الاحتقـار، ليخـبره أنـه رهـن الاعتقـال بحسـب أوامـر لجنـة السـلامة العامـة.

أسرع جـال إلى البـاب فوجـد أنـه لم يعـد باسـتطاعته فتحـه. لم يكـن أمامـه سـوى أن يرتـدي ملابسـه وينتظـر.

جـاؤوا مـن أجلـه وأخـذوه إلى مـكانٍ آخـر، ولكنـه لا يـزال رهـن الاعتقـال. سـألوه عـدة أسـئلة بتهذيـب شـديد، كان الأمـر كلـه بالـغ التحـضر. شرح لهـم أنـه مـن إقليـم سـيناكس وأنـه تلقّـى تعليمـه في هـذه المدرسـة وتلـك، وأنـه قـد نـال درجـة الدكتـوراه في الرياضيـات بتاريـخ كـذا وكـذا. لقـد تقـدَّم لشـغل منصـب في طاقـم د. سـيلدون، وأنـه قـد قُبِـل. أعطاهـم هـذه التفاصيـل مـرارًا وتكـرارًا، وعـادوا هـم مـرارًا لطـرح أسـئلة عـن انضمامـه إلى مـشروع سـيلدون؛ كيـف سـمع عنـه، مـاذا كانـت مهامـه، مـا هـي التعليـمات السريـة التـي تلقَّاهـا، مـا هـو الهـدف الحقيقـي منهـا؟

أجابهـم بأنـه لا يعـرف، أنـه لم يتلـقَّ أيّ تعليـمات سريـة، أنـه مجـرَّد باحـث وعـالم في الرياضيـات، وأنـه ليـس لديـه أي اهتمامـات سياسـية.

وأخيرًا سأله المُحقق المحترم: «متى سيتدمر ترانتور؟».

تردَّد جال قليلًا ثم قال: «لا يُمكنني أن أجيب بحسب معرفتي».

"هل يُمكنك أن تُجيب بحسب معرفة أي شخص آخر؟".

"كيف يُمكنني أن أُجيب بالنيابة عن شخص آخر؟". كان يشعر باختناق متزايد.

قال المحقق: «هل أخبرك أيُّ شخص عن هذا التدمير؟ هل حدَّد موعدًا؟». تردَّد الشاب قليلًا ولكن المحقق أكمل: «لقد كنت مُلاحقًا يا دكتور. لقد كنا في المطار عندما وصلت، على برج المراقبة عندما كنت في انتظار مُقابلتك، وبالطبع كنا قادرين على استراق السمع لمحادثتك مع د. سيلدون».

قال جال: «إذن فأنتم تعرفون وجهة نظره في هذه المسألة».

"ربما، ولكننا نريد أن نسمعها منك".

"إن رأيه هو أن ترانتور سيتدمر في غضون ثلاثة قرون".

"هل أثبت هذا... اممم... رياضيًا؟".

"أجل بالتأكيد".

"أفترض أنك ترى أن هذه الـ... اممم... الحسابات الرياضية صحيحة".

"إن قال د. سيلدون إنها صحيحة فهي كذلك".

"إذن فسوف نعود إليك".

"مهلًا، من حقي أن يكون لديَّ مُحامٍ، أنا أُطالب بحقوقي كمواطن إمبراطوري".

"سوف تنال حقوقك".

وهذا ما حدث.

وأخيرًا دلف إلى الغُرفة رجل طويل، يبدو وجهه عابسًا للغاية، ونحيفًا للغاية، حتى أن المرء سيتساءل إن كان هناك مجال لابتسامة.

رفـع جـال بـصره، أحـس أنـه أشـعث وهزيـل، لقـد حـدث الكثـير رُغـم أن وجـوده في ترانتـور لم يمـضِ عليـه أكـثر مـن ثلاثـين سـاعة.

قـال الرجـل: «أنـا لـورس أفاكيـم. لقـد طلـب منـي د. سـيلدون أن أُمثلـك».

"هـل الأمـر كذلـك؟ اسـمعني إذن، أنـا أُطالـب بتقديـم التـماس إلى الإمبراطـور عـلى الفـور. أنـا محتجـز هنـا بـدون قضيـة، أنـا بـريء مـن كل شيء، كل شيء". ثـم هـوى بيديـه عـلى الطاولـة وقـال: "يجـب أن تُرتـب لجلسـة اسـتماع مـع الإمبراطـور عـلى الفـور".

كان أفاكيـم يُفـرغ محتويـات مجلـد بحـرص عـلى الأرض، إن كان جـال لديـه الشـجاعة الكافيـة لهـذا فربمـا كان سـيتعرَّف على اسـتمارات سـيلوميت القانونيـة المعدنيـة الرفيعـة التـي تُشـبه الأشرطـة، والمهيـأة للإدخـال في الكبسـولات الشـخصية الصغـيرة. ربمـا كان ليتعـرف أيضًـا عـلى جهـاز التسـجيل الجيبـي.

لم يكـن أفاكيـم يـولي اهتمامًـا لنوبـة غضـب جـال، وأخـيرًا نظـر إليـه وقـال: «اللجنـة بالطبـع سـوف تسـتخدم شـعاعًا للتجسـس عـلى مُحادثتنـا. هـذا مُخالـف للقانـون، ولكنهـم سيسـتخدمونه عـلى أي حـال».

أطبق جال فمه.

جلـس أفاكيـم بتـأنٍّ وقـال: «ومـع ذلـك فإن جهـاز التسـجيل الموضوع عـلى الطاولـة، الـذي يبـدو تمامًـا كأي جهـاز تسـجيل عـادي مـن حيـث الشـكل وتأديـة المهمـة، لديـه خاصيـة إضافيـة للتشـويش عـلى شـعاع التجسـس. لـن يكتشـفوا هـذا الـشيء عـلى الفـور».

"إذن يُمكنني أن أتحدث".

"بالطبع".

"حسنًا، أنا أُريد جلسة استماع مع الإمبراطور".

ابتسم أفاكيم ببرود وقد اتضح في النهاية أن هناك مجالًا للابتسام في وجهه النحيل. لقد تجعَّدت وجنتاه لتفسح لها المجال، ثم قال: «أنت من الأقاليم».

"ومع ذلك أنا مواطن إمبراطوري، مواطن صالح مثل أي واحد من لجنة السلامة العامة هذه".

"لا شكَّ في هذا، الأمر هو أنك كرجل إقليمي لا تفهم طبيعة الحياة على ترانتور. لا يوجد أي جلسات استماع أمام الإمبراطور".

"أمام مَنْ إذن يُمكنني أن أطعن في هذه اللجنة؟ ألا يوجد أيُّ إجراء آخر؟».

"لا، لا يوجد أي استئناف بالمعنى العملي. بشكلٍ قانوني يُمكنك أن تُقدِّم التماسًا إلى الإمبراطور، ولكنك لن تحصل على أي جلسات استماع. الإمبراطور اليوم ليس إمبراطورًا من عائلة إنتون كما تعرف. أخشى أن ترانتور في أيدي العائلات الأرستقراطية، التي يُشكل أفراد منها لجنة السلامة العامة. هذا التطور قد تنبَّأ به علم التاريخ النفسي جيدًا".

قال جال: «إذن في هذه الحالة فإن د. سيلدون باستطاعته أن يتنبَّأ بتاريخ ترانتور لثلاثمئة عام في المستقبل...».

"إن باستطاعته أن يتنبَّأ به لألف وخمسمئة عام في المستقبل".

"حتى وإن كانت خمسة عشر ألفًا، لِمَ لَمْ يستطع أن يتنبَّأ بالأمس بأحداث هذا الصباح ويحذرني... لا، المعذرة". جلس جال وأراح رأسه على كفه المتعرقة وأكمل: «أنا أفهم تمامًا أن التاريخ النفسي هو علم إحصائي ولا يستطيع أن يتنبَّأ بمستقبل شخص واحد بأي دقة. أنت تفهم أنني أشعر بالإحباط".

"ولكنـك مُخطـئ، لقـد كان د. سـيلدون يـرى أنـك سـتتعرض للاعتقال هــذا الصباح".

"ماذا!".

"هــذا مؤســف ولكنــه حقيقــي. لقــد صــارت اللجنــة أكــثر عدائيــة تجــاه نشــاطاته. إنهــم يتدخلــون في شــؤون الأعضــاء الجــدد الذيــن ينضمــون إلى المجموعــة إلى حــدٍ كبــير. تُظهــر الرســوم البيانيــة أنــه مــن أجــل تحقيــق غايتنــا يجــب أن تصــل الأمــور إلى ذروتهــا الآن. اللجنــة نفســها كانــت تتحــرك ببــطء نوعًــا مــا، لــذا زارك د. ســيلدون بالأمــس لــكي يُجبرهــم عــلى التحــرك. لا يوجــد أي ســبب آخــر».

ظهرت الصدمة على وجه جال وقال: «أنا أُرفض...».

"مــن فضلــك، الأمــر ضروري. لم يقــع الاختيــار عليــك لأي أســباب شــخصية. يجــب أن تُــدرك أن خطــط د. ســيلدون المرســومة بفضــل الرياضيــات المتطــورة خــلال أكــثر مــن ثمانيــة عــشر عامًــا تتضمــن كل الاحتــمالات الــوارد حدوثهــا بنســبة كبــيرة. هــذا واحــد منهــم. لقــد أُرســلت إلى هنــا لســبب واحــد وهــو أن أؤكــد لــك أنــه لا دعــي للخوف. ســوف ينتهــي الأمــر عــلى خــير؛ هــذا شــبه أكيــد بالنســبة للمــشروع، وباحتماليــة معقولــة بالنســبة لــك».

سأله جال: «ما هي النسب؟».

"بالنسبة للمشروع أكثر من 99.9%".

"وبالنسبة لي؟".

"لقد قيل لي أن هذه الاحتمالية هي 77.2%».

"إذن فهنــاك فرصــة أكــثر مــن واحــد إلى خمســة أن يُحكَــم عــليّ بالســجن أو المــوت".

"هذا الاحتمال الأخير أقل من 1%".

"بالطبـع، إن الحسـابات المتعلقـة بشـخص واحـد لا تعنـي شـيئًا. فلترسـل إليَّ د. سـيلدون".

"للأسف لا أستطيع، د. سيلدون نفسه رهن الاعتقال".

انفتـح البـاب عـلى الفـور فاعتـدل جـال واقفًـا وهـو يصيـح. دلـف إلى المـكان أحـد الحـراس وسـار ناحيـة الطاولـة ثـم التقـط جهـاز التسـجيل ونظـر إلى كل جوانبـه قبـل أن يضعـه في جيبـه.

قال أفاكيم بهدوء: «سأحتاج إلى هذه الآلة».

"سـوف نعطيـك واحـدة أخـرى أيهـا المحامـي، واحـدة لا تبـث حقـلًا استاتيكيًّا».

"في هذه الحالة فإن مُقابلتي قد انتهت".

راقبه جال وهو يُغادر، ثم صار وحده.

الفصل السادس

لم تستمر المحاكمة لوقتٍ طويل. (افترض جال أنها محاكمة رُغم أنها لم تكن تُشبه كثيراً من الناحية القانونية تقنيات المحاكمة المُفَصَّلة التي قرأ جال عنها). لقد كانت في اليوم الثالث، رُغم أن جال لم يكن باستطاعته بالفعل أن يعود بذاكرته بعيدًا بما يكفي ليتذكر البدايات.

هو نفسه لم يتلقَّ اهتمامًا كبيراً، كانت الأسلحة الثقيلة موجهة ناحية د. سيلدون نفسه. كان هاري سيلدون رغم ذلك يجلس بلا اكتراث. بالنسبة لجال كان هو نقطة الاتزان الوحيدة الباقية في هذا العالم.

كان عدد الحضور قليلًا وقد جرى اختيارهم بشكلٍ حصري من بين بارونات الإمبراطورية. وقد استُبعِدَت الصحافة والعوام، ومن غير المحتمل أن عددًا كبيراً من الناس بالخارج يدركون أن مُحاكمة سيلدون قد عُقدت. كان الجو يحمل عدائية شديدة تجاه المتهمين.

كان هناك خمسة من أعضاء لجنة السلامة العامة يجلسون وراء مكتبٍ مرتفع، وقد ارتدوا أزياء رسمية باللون القرمزي والذهبي وأوشحة بلاستيكية ضيقة إشارة إلى وظيفتهم كقضاة. في المنتصف كان يجلس لينج تشين كبير اللجنة. لم يرَ جال من قبل مثل هذا اللورد العظيم، فأخذ يراقبه بانبهار. بالكاد قال تشين أي كلمة أثناء المحاكمة، بدا واضحًا عليه أنه يرى نفسه أنبل من أن يتكلم.

نظر ممثل اللجنة إلى أوراقه ثم واصل التحقيق، بينما سيلدون لا يزال واقفًا على منصة الاتهام.

س: دعنا نرى يا دكتور سيلدون، كم عدد الرجال المنخرطين الآن

في المشروع الذي تُديره؟

ج: خمسون عالمَ رياضيات.

س: هذا يتضمن د. جال دورنيك؟

ج: د. دورنيك هو الواحد والخمسون.

س: لدينا واحد وخمسون إذن؟ ابحث في ذاكرتك يا د. سيلدون، ربما هناك اثنان وخمسون أو ثلاثة وخمسون؟ أو ربما أكثر؟

ج: د. دورنيك لم ينضم إلى منظمتي بشكل رسمي بعد. عندما يفعل فستكون عضويته رقم واحد وخمسين. إنهم الآن خمسون كما قلت.

س: ليس قرابة مئة ألف ربما؟

ج: علماء رياضيات؟ لا.

س: أنا لم أقل علماء رياضيات. هل هناك مئة ألف في كل الوظائف؟

ج: في كل الوظائف، ربما يكون رقمك صحيحًا.

س: ربما؟ أنا أقول إنه صحيح. أنا أقول إن الرجال في مشروعك عددهم ثمانية وتسعون ألفًا وخمسمئة واثنان وسبعون.

ج: أعتقد أنك تحسب النساء والأطفال.

س: (يرفع صوته) ثمانية وتسعون ألفًا وخمسمئة واثنان وسبعون شخصًا هو الرقم الذي قصدته في جملتي، لا داعي للمراوغة.

ج: أنا أقبل الرقم.

س: (ينظر في أوراقه) دعنا ننسى هذا الأمر مؤقتًا ونتحدث في مسألة أُخرى قد ناقشناها بالفعل بشيء من الاستفاضة. هل يُمكنك يا د. سيلدون أن تعيد على مسامعنا أفكارك المتعلقة

بمستقبل ترانتور؟

ج: لقد قلت هذا وسأقوله مُجددًا؛ إن ترانتور سوف يصير أنقاضًا في غضون القرون الثلاثة التالية.

س: ألا تعتبر أن اعترافك هذا يُعد خيانة؟

ج: لا يا سيدي، الحقيقة العلمية لا تخضع لمفاهيم مثل الخيانة والولاء.

س: هل أنت واثق من أن اعترافك يُمثل الحقيقة العلمية؟

ج: أجل.

س: على أي أساس؟

ج: على أساس من الرياضيات والتاريخ النفسي.

س: هل يُمكنك أن تثبت أن هذه الحسابات الرياضية صحيحة؟

ج: فقط لعالم رياضيات آخر.

س: (بابتسامة) إذن أنت تزعم أن حقيقتك العلمية ذات طبيعة باطنية، حتى أنها تفوق فهم الشخص العادي. يبدو لي أن الحقيقة يجب أن تكون أكثر وضوحًا من هذا، أقل غموضًا، أكثر انفتاحًا إلى العقل.

ج: إنها لا تُمثل أي صعوبة لبعض العقول. إن فيزياء تحول الطاقة، التي نعرفها باسم الديناميكا الحرارية، كانت واضحة وحقيقية طوال التاريخ البشري منذ العصور الأسطورية، ومع ذلك فقد يكون هناك من بين الحضور من يرون أنه من المستحيل تصميم محرك طاقة. أشخاص يمتلكون ذكاءً مرتفعًا أيضًا. أشك أن أعضاء اللجنة المثقفين...

في تلك اللحظة مال أحد أعضاء اللجنة ناحية ممثل اللجنة. لم

تكـن كلماتـه مسـموعة ولكـن فحيـح صوتـه كان يحمـل نوعًـا مـن الحـدة. احمـرَّ وجـه ممثـل اللجنـة وقاطـع سـيلدون.

س: نحـن لسـنا هنـا لنسـتمع إلى خطبـك يـا د. سـيلدون. دعنـا نفـترض أنـك قـد أثبـت وجهـة نظـرك. دعنـي أقـترح عليـك أن تنبؤاتـك بالكارثـة قـد يكـون الهـدف منهـا تدمـير ثقـة الجمهـور في الحكومـة الإمبراطوريـة لأغـراض في نفسـك.

ج: هذا ليس صحيحًا.

س: دعنـي أقـترح أنـك تنـوي الادعـاء أن هنـاك فـترة زمنيـة تسـبق خـراب ترانتـور المزعـوم، سـتكون مليئـة بأنـواع مختلفـة مـن الاضطرابـات.

ج: هذا صحيح.

س: وهـذا محـض تنبـؤ، لـذا فأنـت تأمـل تحقيـق الأمـر وأن يكـون رهـن إشـارتك حينهـا جيـش مـن مئـة ألـف.

ج: هـذا ليـس صحيحًـا مـن الأسـاس، وإن كان صحيحًا فـإن تحقيقاتك سـتُظهر أنـه بالـكاد هنـاك عـشرة آلاف مـن الرجـال في سـن العسـكرية، وأن أيًّـا منهـم لم يتلـقَّ تدريبًـا عـلى حمل السـلاح.

س: هل تتصرف بالنيابة عن شخص آخر؟

ج: أنا لا أتلقَّى راتبًا من أي شخص يا سيادة الممثل.

س: هل أنت نزيه بالكامل؟ هل تخدم العلم؟

ج: أجل.

س: إذن دعنا نرى. هل يُمكن تغيير المستقبل يا د. سيلدون؟

ج: بالطبـع، هـذه المحكمـة قـد تنفجـر في السـاعات القليلـة التاليـة وقـد لا تنفجـر، إن انفجـرت فـلا شـك أن المسـتقبل سـيتغير في بعـض

النواحي البسيطة.

س: أنت تراوغ يا د. سيلدون، هل يُمكن تغيير المستقبل البشري إجمالًا؟

ج: أجل.

س: بسهولة؟

ج: لا، بصعوبة شديدة.

س: لماذا؟

ج: إن التوجه التاريخي النفسي لكوكب مليء بالبشر يحتوي على قصور ذاتي عظيم، لتغييره يجب أن يُقابله شيء بنفس القصور الذاتي، إما أنه يجب أن يتدخل عدد كبير من الأشخاص، أو إن كان عدد الأشخاص قليلًا فإنهم سيحتاجون إلى وقتٍ هائل للتغيير. هل تفهم؟

س: أعتقد أنني أفهم. يجب ألا يتدمر ترانتور. إن قرر عدد كبير من الأشخاص أن يتدخلوا فإن هذا لن يحدث.

ج: هذا صحيح.

س: عدد كبير مثل مئة ألف شخص؟

ج: لا يا سيدي، هذا عدد قليل للغاية.

س: هل أنت واثق؟

ج: بالأخذ في الاعتبار أن كثافة ترانتور السكانية أكثر من أربعين مليارًا، وبالأخذ في الاعتبار أيضًا أن التوجه الذي يقود إلى الدمار لا ينتمي إلى ترانتور وحده، ولكن إلى الإمبراطورية بأكملها، والإمبراطورية تحتوي على قُرابة كوينتليون إنسان.

س: فهمت. ربما يستطيع مئة ألف شخص تغيير التوجه إن عمل

أحفادهـم بجهـد لثلاثمئـة عام.

ج: للأسف لا، ثلاثمئة عام هو وقت قصير للغاية.

س: حسـنًا، في هـذه الحالـة يـا د. سـيلدون فـإن كلامـك يقودنـا إلى نتيجـة واحـدة، لقـد جمعـت مئـة ألـف شـخص في إطـار مشروعـك، وهـذا رقـم غـير كافٍ لتغيـير تاريـخ ترانتـور في غضـون ثلاثمئـة عـام. بمعنـى آخـر أنهـم لا يسـتطيعون منـع دمـار ترانتـور مهـما فعلـوا.

ج: أنت محق للأسف.

س: ومـن ناحيـة أخـرى فـإن المئـة ألـف الذيـن جمعتهـم لا يسـعون إلى فعـل أي شيء غـير قانـوني.

ج: بالضبط.

س: (ببطء وارتيـاح) في هـذه الحالـة اسـمعني جيـدًا يـا د. سـيلدون فإننـا نريـد إجابـة معتـبرة، مـا هـو الغـرض مـن جَمْعِـك لمئـة ألـف رجـل؟

كان صـوت ممثـل اللجنـة قـد صـار أكـثر عدوانيـة، لقـد نصـب فخَّـهُ وضَيَّـق الخنـاق عـلى سـيلدون ليدفعـه بدهـاء بعيـدًا عـن أي رد محتمـل.

كان هنـاك أزيـز مُحادثـات متصاعـد اجتـاح صفـوف الحضـور، واقتحـم حتـى صفًّـا مـن أعضـاء اللجنـة. كانـوا يميلـون أحدهـم ناحيـة الآخـر بأزيائهـم القرمزيـة والذهبيـة، وحـده كبـير اللجنـة بقـي صامتًـا.

لم يتأثَّر هاري سيلدون وانتظر حتى تلاشت الثرثرة.

ج: لتقليل آثار الدمار.

س: وما الذي تعنيه بهذا بالضبط؟

ج: إن شرح هــذا بســيط، إن دمــار ترانتــور القــادم ليــس حدثًــا

مستقلًا بذاته أو معزولًا عن سلسلة التطور البشري. سوف يكون ذروة أحداث درامية متشابكة، بدأت منذ قرون وتتسارع وتيرتها بشكلٍ مستمر. أنا أُشير أيها السادة إلى الانحدار المتزايد وسقوط الإمبراطورية المجرية.

تحول الأزيز إلى هدير مرتفع. صرخ ممثل اللجنة في احتجاج: «أنت تعترف صراحة بأنك...». ثم توقَّف لأن صيحات «خيانة» من الحضور أوضحت نقطته دون حاجة للتأكيد عليها.

ببطءٍ رفع كبير اللجنة مطرقته ثم هوى بها فتردد صوت رنين معدني، وما إن انتهى صداه حتى توقَّفت الثرثرة بين الحضور. أخذ ممثل اللجنة نفسًا عميقًا.

س: (بشكلٍ مسرحي) هل تُدرك يا د. سيلدون أنك تتحدث عن إمبراطورية قد صمدت لاثني عشر ألف سنة في وجه كل تقلبات الأجيال، وهي تحظى بدعم وحب كوادريليون من البشر؟

ج: أنا أُدرك الوضع الحاضر للإمبراطورية تمامًا كما أُدرك تاريخها المنصرم. مع خالص احترامي فأنا أزعم أنني أكثر معرفة بهذا الشأن من أي شخص في هذه القاعة.

س: وأنت تتنبَّأ بدمارها؟

ج: إنه تنبُّؤ مبني على الحسابات الرياضية، أنا لا أُصدر أيَّ حكم أخلاقي. بشكلٍ شخصي أنا أشعر بالحزن لهذا الاحتمال. حتى لو اعتبر أحد أن الإمبراطورية هي أمر سيئ (وهو أمر لا أعتبره) فإن حالة الفوضى التي ستلي سقوطها ستكون أسوأ. إن حالة الفوضى هذه هي ما يتعهَّد مشروعي بأن يقاومها. إن سقوط الإمبراطورية أيها السادة المحترمون هو حدث جلل، وليس من السهل مقاومته. إنه يترتَّب على صعود البيروقراطية وتراجع الأخذ بزمام المُبادرة

وتجمُّد الحالة الطبقية، ومُحاربة التفكير خارج الصندوق، ومئات العوامل الأُخرى. إنه أمر يجري كما قلت منذ قرون، وهي حركة هائلة وضخمة للغاية لا يُمكن إيقافها.

س: أليس من الواضح للجميع أن الإمبراطورية قوية كما كانت دومًا؟

ج: إن مظهر القوة يتوقَّف على من ينظر إليه، قد يبدو لك أنه سيستمر للأبد، ولكن يا سيدي الممثل إن جذع الشجرة المتعفن سيظهر عليه آثار القوة كالعادة، حتى تحين اللحظة التي يقصمه فيها هبوب الرياح إلى نصفين. إن هبوب الرياح يخشخش بين أغصان الإمبراطورية حتى في هذه اللحظة. أصغِ السمع بآذان علم التاريخ النفسي وسوف تسمع الحفيف.

س: (في تردد) نحن لسنا هنا يا د. سيلدون لنستمع إلى...

ج: (بحزم) إن الإمبراطورية ستتلاشى وسيتلاشى معها كل معرفتها المتراكمة والنظام الذي فرضته. الحروب بين المجموعات الشمسية ستكون بلا نهاية، وحركة التجارة بين المجموعات الشمسية ستتدهور، وعدد السكان سيتناقص، والكواكب ستفقد اتصالها بجسد المجرة الرئيسي، وهكذا ستبقى الأمور.

س: (صوت صغير من وسط الصمت المطبق) إلى الأبد؟

ج: علم التاريخ النفسي الذي يُمكنه أن يتنبَّأ بالسقوط يُمكنه أيضًا أن يُدلي ببيانات عن العصور المظلمة اللاحقة، لقد استمرَّت الإمبراطورية كما قلتم أيها السادة المحترمون لاثني عشر ألف سنة، العصور المظلمة التي ستأتي لن تدوم لاثني عشر، بل ثلاثين ألف سنة. هناك إمبراطورية ثانية ستنهض ولكن سيكون هناك بينها وبين حضارتنا ألف جيل من المعاناة البشرية، يجب أن

نقـاوم هـذا.

س: (اسـتعاد رباطـة جأشـه بعـض الـشيء) أنـت تناقـض نفسـك. لقـد قلـت مـن قبـل إنـك لا تسـتطيع منـع دمـار ترانتـور، وبالتـالي هـذا السـقوط المزعـوم للإمبراطوريـة.

ج: أنـا لا أقـول إننـا نسـتطيع منـع السـقوط، ولكـن لم يفـت الأوان بعـد عـلى تقليـص الفـترة التـي سـتتبعه. مـن المحتمـل أيهـا السـادة أن نقلـص فـترة الفـوضى إلى ألفيـة واحـدة، إذا سـمحتم لمجموعتـي أن تتـصرف عـلى الفـور. نحـن في لحظـة فارقـة مـن التاريـخ. إن هـذه الكتلـة الهائلـة مـن الأحـداث المتدفقـة يجـب أن نعكـس مسـارها قليـلًا، قليـلًا فقـط، قـد لا يكـون هـذا كثـيرًا، ولكنـه ربمـا يكـون كافيًـا لإزالـة تسـعة وعشريـن ألـف سـنة مـن المعانـاة مـن التاريـخ البـشري.

س: كيف تقترح عمل هذا؟

ج: بحفـظ كل معـارف الجنـس البـشري، لا يسـتطيع رجـل واحـد أن يحمـل خلاصـة المعرفـة البشريـة، ولا حتـى ألـف رجـل. عندمـا يتدمـر نسـيجنا المجتمعـي فـإن العلـم سيتشـظَّى إلى مليـون قطعـة. سـوف يعـرف العديـد مـن الأشـخاص بعـض الأوجـه بالغـة الصغـر مـما نعرفـه نحـن، سـوف يكونـون عاجزيـن وعديمـي النفـع بذاتهـم، هـذه القطـع الصغـيرة مـن المعرفـة، التـي سـتصير بـلا معنـى، لـن تُنقـل إلى الأجيـال التاليـة وسـوف تضيـع عـبر الأجيـال، ولكـن إن أعددنـا الآن ملخصًـا ضخـمًا لـكل المعـارف فإنهـا لـن تضيـع. الأجيـال التاليـة سـوف تبنـي عليهـا، ولـن تضطـر لأن تعيـد استكشـاف كل شيء بنفسـها. ألـف سـنة واحـدة سـوف تـؤدي عمـل ثلاثـين ألـف سـنة.

س: كل هذا...

ج: إن مشروعـي برمتـه؛ رجـالي الثلاثـين ألـف وزوجاتهـم وأطفالهـم

يسخرون أنفسهم لإعداد "موسوعة مجرية". إنها لن تكتمل أثناء حياتهم، وأنا لن أعيش حتى لأرى بدايتها الحقيقية، ولكن بحلول الوقت الذي سيسقط فيه ترانتور فإنها ستكون اكتملت وسيوجد نسخٌ منها في كل مكتبة كبيرة في المجرة.

رفع كبير اللجنة مطرقته وهوى بها مُجددًا، فترك سيلدون المنصة وجلس بهدوء في مقعده بجانب جال.

ابتسم وقال: «هل أعجبك العرض؟».

قال جال: «لقد كان عرضًا مُبهرًا. ولكن ما الذي سيحدث الآن؟».

"سيأجلون المحاكمة، وسيحاولون أن يصلوا معي لاتفاق شخصي".

"كيف تعرف هذا؟".

قال سيلدون: «لأكون صادقًا أنا لا أعرف، الأمر يعتمد على كبير اللجنة. لقد درست شخصيته لسنوات وحاوت أن أحلل أعماله، ولكن أنت تعرف مدى مُخاطرة إدخال تقلبات شخص واحد إلى معادلات التاريخ النفسي. ومع هذا فأنا متفائل».

الفصل السابع

اقترب أفاكيم، وأومأ برأسه إلى جال، ثم مال ليهمس إلى سيلدون. تعالت صيحة تأجيل المحاكمة، ثم عزلهما الحراس عن أحدهما الآخر، وكان جال في المقدمة.

كانت جلسة الاستماع في اليوم التالي مختلفة تمامًا، كان هاري سيلدون وجال دورنيك وحدهما مع اللجنة. كانوا يجلسون معًا على طاولة، وبالكاد هناك أي شيء يفصل بين القضاة الخمسة والمتهمين الاثنين. بل إنهم حتى قد قدَّموا لهما السيجار من صندوق بلاستيكي قزحي اللون، يحمل هيئة ماء يتدفق بلا انقطاع، تنخدع العين برؤية الحركة ولكن الأصابع تُخبر بأنه صلب وجاف.

قبل سيلدون سيجارًا بينما رفض جال.

قال سيلدون: «إن المحامي الخاص بي ليس حاضرًا».

قال أحد أعضاء اللجنة: «إن هذه لم تعد محاكمة يا د. سيلدون، نحن هنا لمناقشة أمن الدولة».

قال لينج تشين: «أنا سأتحدث». فتراجع أعضاء اللجنة الآخرون إلى الوراء في مقاعدهم، واستعدوا للإنصات. خيم الصمت حول تشين استعدادًا لأن يكسره بكلماته.

كتم جال أنفاسه، إن تشين النحيف الصارم، الذي يبدو أكبر من عمره الحقيقي، كان في الواقع هو الإمبراطور الحقيقي للمجرة، الطفل نفسه الذي يحمل اللقب كان مجرد رمز اصطنعه تشين، ولم يكن الأول في هذا أيضًا.

قال تشين: «أنت تكدر صفو الإمبراطور والإمبراطورية يا د.

سيلدون، لا أحد من الكوادريليونات الذين يعيشون الآن بين كل نجوم المجرة سوف يحيا لقرن آخر من الزمان، لِمَ يجب علينا إذن أن نشغل أنفسنا بأحداث ستقع بعد ثلاثة قرون؟».

قال سيلدون: «أنا لن أعيش لنصف عقد آخر، ومع ذلك فإن الأمر هو شغلي الشاغل، فلتقل إنها مثالية، فلتقل إنني أُعرِّف نفسي بهذا التعريف العام الغامض الذي يُشار إليه باسم الإنسانية».

"أنا لا أُريد أن أكلف نفسي عناء فهم الغموض، هل يُمكنك أن تُخبرني الآن لم لا أُريح نفسي بالتخلص منك ومن مستقبل ثلاثة قرون مزعج وغير ضروري، لن أراه أبدًا بإعدامك الليلة؟».

قال سيلدون ببساطة: «منذ أسبوع مضى كان بإمكانك أن تفعل هذا، وربما كنت لتحتفظ بنسبة واحد إلى عشرة بأن تبقى على قيد الحياة إلى نهاية العام، اليوم نسبة الواحد إلى عشرة هذه هي بالكاد واحد إلى عشرة آلاف».

شهق بعض الحضور وساد بينهم جو من التوتر. أحسَّ جال بالشعر القصير ينتصب على مؤخرة عنقه.

ضيَّق شين عينيه قليلًا وقال: «وكيف هذا؟».

قال سيلدون: «إن سقوط ترانتور لا يُمكن منعه بأي وسيلة ممُكنة، ولكن من الممكن التعجيل به بسهولة. إن حكاية مُحاكمتي المبتورة سوف تنتشر في أرجاء المجرة. إن إفشال خططي للتخفيف من الكارثة سيقنع الناس أن المستقبل لا يحمل لهم أي أمل. إنهم بالفعل يتذكرون حياة أجدادهم بنوع من الحسد، سوف يرون تزايد الثورات السياسية والكساد التجاري، سوف يجتاح المجرة إحساس بأن ما يستطيع المرء أن يحوذه لنفسه في هذه اللحظة

هـو المهـم. الرجـال الطموحـون لـن ينتظـروا، ومعدومـو الضمـير لـن يقفـوا مكتـوفي الأيـدي. إن كل شيء سـيفعلونه سـوف يعجـل بدمـار الكواكـب، اقتلنـي ولـن يسـقط ترانتـور في غضـون ثلاثـة قـرون، بـل في غضـون خمسـين عامًـا. وأنـت نفسـك في غضـون سـنة واحـدة».

قـال تشـين: «هـذه الكلـمات قـد تُخيـف طفـلًا، ومـع ذلـك فـإن موتـك ليـس هـو الإجابـة الوحيـدة التـي سـتُرضينا».

رفـع يـده النحيفـة مـن عـلى الأوراق التـي كان يُريحهـا عليهـا، فلـم يبـقَ سـوى إصبعـين يلمسـان الورقـة العليـا بخفـة.

قـال: «أخـبرني هـل سـيكون عملـك الوحيـد هـو إعـداد هـذه الموسـوعة التـي تحدثـت عنهـا؟».

"أجل".

"وهل يجب أن يتم هذا على ترانتور؟".

"إن ترانتـور يـا سـيدي اللـورد يحتـوي عـلى المكتبـة الإمبراطوريـة، وكذلـك عـلى المـوارد العلميـة لجامعـة ترانتـور".

"ومـع ذلـك إذا نُقلـت إلى مـكانٍ آخـر، دعنـا نقـول كوكبًـا لا تؤثـر فيه سرعـة الحيـاة في العاصمـة وملهياتهـا عـلى الاهتمامـات العلميـة، حيـث يسـتطيع رجالـك أن يسـخروا أنفسـهم لعملهـم بالكامـل وبمنتهـى التركيـز. ألـن يكـون لهـذا مميـزات؟".

"مميزات قليلة ربما".

"لقـد وقـع الاختيـار عـلى هـذا الكوكـب، يُمكنـك يـا دكتـور أن تعمـل كـما يحلـو لـك، مـع مجموعتـك المكونـة مـن مئـة ألـف. المجرة سـتعرف أنكـم تعملـون عـلى مقاومـة السـقوط، بـل سـنخبرهم حتـى أنكـم سـتمنعون السـقوط". ثـم ابتسـم وأكمـل: «بمـا أننـي لا أؤمـن بالفعـل بأشـياء عديـدة فإنـه ليـس مـن الصعـب عـليَّ ألا أصـدق في

هـذا السـقوط أيضًـا، لـذا فأنـا مقتنـع بالكامـل أننـي سـأخبر النـاس الحقيقـة، وفي تلـك الأثنـاء يـا دكتـور فأنـت لـن تزعـج ترانتـور ولـن يكـون هنـاك أي تكديـر لصفـو الإمبراطـور.

البديـل هـو موتـك أنـت والعـدد الـذي نـراه ضروريًـا مـن أتباعـك. سـوف أتغـاضى عـن تهديداتـك السـابقة. الفرصـة الممنوحـة لـك لـكي تختـار بـين المـوت أو النفـي تبـدأ مـن الآن ولمـدة خمـس دقائـق».

قـال سـيلدون: «مـا هـو الكوكـب الـذي وقـع عليـه الاختيـار يـا سـيدي اللـورد؟».

قـال تشـين بـلا اكـتراث: «إن اسـمه حسـبما أعتقـد هـو تيرمينـوس". ثـم قلـب الأوراق الموضوعـة عـلى مكتبـه بأطـراف أصابعـه لتواجـه سيلدون وقـال: «إنـه غـير مأهـول ولكنـه صالـح للعيـش، ومـن الممكـن إعـادة تشـكيله ليناسـب احتياجـات العلـماء. إنـه منعـزل بعـض الـشيء...».

قاطعه سيلدون قائلًا: «إنه في أطراف المجرة يا سيدي».

"كـما قلـت، إنـه منعـزل بعـض الـشيء، هيـا لم يتبـقَّ لـك سـوى دقيقتـين".

قـال سـيلدون: «سـوف نحتـاج لبعـض الوقـت لتنظيـم مثـل هـذه الرحلـة، هنـاك عـشرون ألـف عائلـة مشـتركة في الأمـر».

"سوف تُمنح هذا الوقت".

فكَّـر سـيلدون لوهلـة، وبينـما توشـك الدقيقـة الأخـيرة عـلى الانتهـاء قـال: «أنـا أقبـل النفـي».

خفـق قلـب جـال لسـماع هـذه الكلـمات، بشـكلٍ كبـير كان يشـعر بفرحـة غامـرة، فمـن لا يشـعر بهـذا وقـد هـرب مـن المـوت، ولكـن وسـط ارتياحـه الهائـل وجـد مكانًـا لقليـل مـن الحـزن لأن سـيلدون قـد هُـزِم.

الفصل الثامن

جلسا صامتين لوقتٍ طويل بينما عربة الأُجرة تشق طريقها عبر مئات الأميال من الأنفاق الدودية ناحية الجامعة، ثم تململ جال وقال: «هل ما أخبرت به اللجنة صحيح؟ هل سيُعجِّل إعدامك حقًّا بالسقوط؟».

قال سيلدون: «أنا لا أكذب أبدًا حيال نتائج علم التاريخ النفسي، ولم يكن لينفعني الكذب في هذه الحالة. لقد كان تشين يعرف أنني أقول الحقيقة، إنه سياسي بارع، والسياسيون بطبيعة عملهم يجب أن يكون لهم حدس فطري حيال حقائق التاريخ النفسي».

قال جال: « هل كان يجب أن تقبل النفي إذن". ولكن سيلدون لم يُجِبه.

عندما اندفعوا خارجين إلى أرض الجامعة تصرَّفت عضلات جال من تلقاء نفسها، أو بالأحرى لم تتصرف قط، لقد احتاجوا تقريبًا إلى حمله من عربة الأجرة.

كانت الجامعة غارقة في ضوء ساطع، لقد كاد جال أن ينسى أن هناك شمسًا من الممكن أن توجد.

كانت مباني الجامعة تفتقد إلى الفولاذ الرمادي كبقية ترانتور، بل كانت فضية، وكان البريق المعدني له لون عاجي.

قال سيلدون: «يبدو أن هناك جنودًا».

قال جال: «ماذا؟». ثم نظر إلى الأرض ذات الألوان المبهجة فرأى أن هناك حارسًا أمامهما.

توقفا أمامه ثم سمعا صوت قائد الحرس يأتي من باب قريب

مفتوح وهو يقول: «د. سيلدون؟».

"أجل".

"لقد كنا في انتظارك. أنت ورجالك ستخضعون إلى الحكم العسكري من الآن فصاعدًا. لقد تلقَّيت تعليمات بأن أخبرك أنكم ستُمنحون ستة أشهر للمُغادرة إلى تيرمينوس".

قال جال: «ستة أشهر!». ولكن أصابع سيلدون ضغطت على مرفقه ضغطة خفيفة.

قال الكابتن مُجددًا: «هذه هي التعليمات التي لديَّ».

ثم رحل، فنظر جال إلى سيلدون وقال: «لماذا؟ ما الذي يُمكن فعله في ستة أشهر؟ إن هذه عملية قتل بطيئة».

"اهدأ، اهدأ. دعنا نذهب إلى مكتبي».

لم يكن مكتبًا كبيرًا، ولكنه كان مُحصَّنًا ضد التجسس، وبطريقة لا يُمكن كشفها. أشعة التجسس التي ستُسلَّط عليه لن تتلقَّى صمتًا مريبًا أو حتى صوت تشويش أكثر إثارة للريبة. بل ستتلقى محادثات تُبنى بشكلٍ عشوائي من مخزونٍ كبير من الجمل البريئة بأصوات ولهجات متعددة.

قال سيلدون باطمئنان: "ستة أشهر ستكون كافية».

"لا أفهم كيف هذا".

"لأنه في خطة مثل خطتنا هذه يا فتى تخضع أفعال الآخرين لاحتياجاتنا. ألم أقل لك بالفعل إن تركيبة تشين المتقلبة قد خضعت لفحص عظيم أكبر مما قد خضع له أي رجل في التاريخ؟ لم نكن لنسمح أن تبدأ المحاكمة حتى يكون الوقت والظروف ملائمين للنهاية التي نختارها».

"ولكن هل يمكن أن تكون قد رتَّبت...".

"لأن أُنفى إلى تيرمينوس؟ لِمَ لا؟". ثم وضع أصابعه على بقعة معينة في مكتبه فانزلق قطاع صغير من الجدار خلفه جانبًا. أصابعه وحده هي من يُمكنها أن تفعل هذا، فالماسح الضوئي الموجود بالأسفل لا يُمكن تشغيله إلا ببصمات أصابعه.

قال سيلدون: «ستجد العديد من شرائط الميكروفيلم بالداخل، أحضر هذا الذي يحمل حرف ت».

فعل جال هذا وانتظر بينما سيلدون يضعه داخل جهاز العرض، ثم أعطى سيلدون جال نظّارة فارتداها وراقب الفيلم يدور أمام عينيه .

قال: «ولكن هذا يعني...».

قال سيلدون: «ما الذي يُفاجئك؟».

"هل كنتم تستعدون للمغادرة منذ عامين؟".

"عامين ونصف. بالطبع لم يكن باستطاعتنا أن نتيقن من أنهم سيختارون تيرمينوس، ولكننا كنا نأمل أنهم سيفعلون هذا وتصرَّفنا بناءً على هذا الافتراض".

"ولكن لماذا يا د. سيلدون؟ إن كنت تُخطط للنفي، فلماذا؟ ألا يُمكن السيطرة على الأحداث بشكل أفضل بكثير هنا على ترانتور؟».

"هناك بعض الأسباب، العمل على تيرمينوس سيمنحنا الدعم الإمبراطوري دون أن نثير مخاوف عن تهديدنا لأمن الإمبراطورية».

قال جال: «ولكنك أثرت هذه المخاوف فقط لتجبرهم على نفيكم. ما زلت لا أفهم».

"ربما لأن عشرين ألف عائلة لن تسافر إلى حافة المجرة بإرادتها".

قال جال: «ولكن لمَ يجب إجبارهم على الذهاب إلى هناك؟ ألا يُمكن أن أعرف؟».

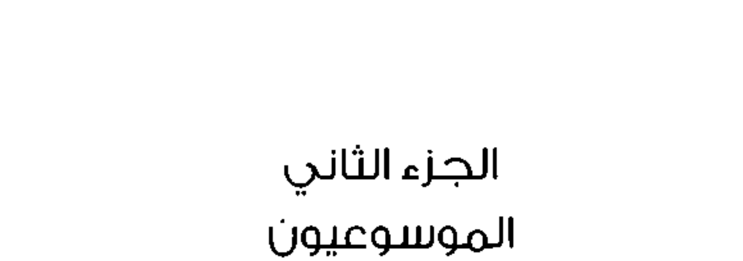
قال سيلدون: «ليس بعد. يكفيك في هذه اللحظة أن تعرف أن هناك ملاذًا علميًا سوف يؤسَّس على تيرمينوس. وهناك واحد آخر سيؤسَّس على الطرف الآخر من المجرة». ثم ابتسم وقال: «دعنا نقول عند منتهى النجوم، أما بالنسبة للبقية فأنا سأموت قريبًا، وأنت سترى أكثر مما سأرى... لا، لا، فلتعفني من صدمتك وأمنياتك الطيبة، إن أطبائي يقولون إنني لن أستطيع العيش أكثر من عام أو عامين، ولكني قد حققت في حياتي كل ما أردت تحقيقه، ولا يوجد ظروف يموت المرء فيها أفضل من هذه".

"وبعد موتك يا سيدي؟".

"حسنًا، سوف يكون هناك خلفاء، ربما أنت نفسك، وهؤلاء الخلفاء سوف يكونون قادرين على وضع اللمسة الأخيرة في الخطة وإشعال فتيل الثورة في أناكريون في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة. وهكذا فسوف تدور عجلة الأحداث دون أن يقدر أحد على إيقافها».

"أنا لا أفهم".

"سوف تفهم". ثم صارت ملامح سيلدون مُطمئنّة ومتعبة في الوقت ذاته. «معظمنا سيغادر إلى تيرمينوس، ولكن بعضنا سيبقى. سيكون من السهل ترتيب الأمر. ولكن بالنسبة لي...". ثم ختم حديثه بهمسة بالكاد سمعها جال: "فقد انتهى أمري".



الجزء الثاني
الموسوعيون

تيرمينـوس: ... إن موقعـه (انظـر الخريطـة) كان غريبًا بالنسـبة للدور الـذي وقـع عليـه الاختيـار لـكي يلعبـه في تاريـخ المجـرة، ومـع ذلـك فإن العديـد مـن النقـاد قـد فشـلوا في الإشـارة إلى أنـه كان حتميًـا. لم يسـتقر فيـه أحـد طيلـة خمسـة قـرون بعـد اكتشـافه؛ لوقوعـه عـلى أقـصى حـدود الدوامـة المجريـة، ولكونـه الكوكـب الوحيـد لشـمسٍ منعزلـة، ولفقـر مـوارده وضآلـة قيمتـه الاقتصاديـة، حتـى هبـوط الموسـوعيين...

لقـد كان مـن الحتمـي ـ مـع ترعـرع جيل جديـد ـ أن يصـير تيرمينوس شـيئًا أكـبر مـن مجـرد تابـع لعلـماء التاريـخ النفـسي عـلى ترانتـور. مـع ثـورة أناكريـون وصعـود سـالفور هارديـن إلى السـلطة، الأول مـن نسـلٍ عظيـم مـن ...

الموسوعة المجرية

الفصل الأول

كان لويس بيرين منشغلًا وراء مكتبه في الركن المضاء جيدًا من غُرفته، هناك عمل يجب تنسيقه، وجهود يجب تنظيمها، وخيوط يجب أن تُحاك معًا في نمط واحد.

لقد مرَّت خمسون سنة، خمسون سنة لتأسيس أنفسهم وإنشاء القاعدة الموسوعية رقم واحد لتصير منظومة تعمل بسلاسة. خمسون سنة لجمع المواد الخام. خمسون سنة للاستعداد.

لقد نجح الأمر، وبعد خمس سنوات أُخرى سيصدر أول مجلد من أعظم عمل قد شهدته المجرة. وبعد ذلك سيصدر المجلد تلو الآخر بشكلٍ منتظم كل عشر سنوات، ومعهم سيكون هناك ملحقات؛ مقالات خاصة عن الأحداث الهامة الراهنة، حتى...

جفل بيرين فجأة عندما سمع أزيز جهاز الاتصال على مكتبه. لقد كاد أن ينسى المقابلة. ضغط زرَّ فتح الباب، ومن ركن عينه رأى الباب ينفتح وهيئة سالفور هاردين العريضة وهو يدلف إلى الداخل. لم يرفع بيرين عينيه.

ابتسم هاردين في قرارة نفسه، لقد كان في عجالة من أمره، ولكنه كان يعرف جيدًا أنه لا يجب أن يشعر بالإهانة من تصرف بيرين المتعجرف تجاه أي شيء أو أي شخص يزعجه أثناء عمله. ألقى بجسده على الكرسي في الجانب الآخر من المكتب وانتظر.

كان قلم بيرين يُصدر حفيفًا خافتًا وهو يسرع عبر الورقة، عدا ذلك لم يكن هناك أي حركة أو صوت. ثم أخرج هاردين من جيب سترته عملة معدنية قيمتها نقطتان وألقى بها في الهواء فلمع الضوء على سطحها المصنوع من فولاذ مقاوم للصدأ بينما هي

تـدور في الهـواء. أمسـك بهـا ثـم قلبهـا في الهـواء مُجـددًا وهـو يُراقـب الضـوء المنعكـس بتكاسـل. إن الفـولاذ المقـاوم للصـدأ هـو وسـيط جيـد للمقايضـة في كوكـب يحتاجـون فيـه إلى اسـتيراد كل المعـادن.

رفع بيرين عينيه ورمش ثم قال بضيق: «كُفَّ عن هذا».

"ماذا؟".

"إلقاء العملة اللعينة، كُفَّ عنه".

قـال هارديـن وهـو يعيـد القـرص المعـدني إلى جيبـه: «حسـنًا، أخـبرني عندمـا تكـون مُسـتعدًّا مـن فضلـك. أعـدك أننـي سـأعود إلى اجتـماع مجلـس المدينـة قبـل أن يعـرض مـشروع القنـوات المائيـة الجديـد للاقـتراع».

تنهَّـد بيريـن وتراجـع للـوراء بعيـدًا عـن مكتبـه ثـم قـال: «أنـا مسـتعد، ولكنـي آمـل أنـك لـن تُزعجنـي بمشـاكل المدينـة. فلتهتـم بهـا بنفسـك رجـاءً؛ إن الموسـوعة تأخـذ كل وقتـي».

سأله هاردين بشكلٍ عملي: «هل سمعت الأخبار؟».

"أي أخبار؟".

"الأخبـار التـي تلقَّاهـا جهـاز الموجـات فـوق الصوتيـة في مدينـة تيرمينـوس منـذ سـاعتين. إن حاكـم ولايـة أناكريـون قـد اتخـذ لنفسـه لقـب ملـك".

"حسنًا؟ ما المشكلة؟".

أجابـه هارديـن: «هـذا يعنـي أننـا سـننقطع عـن المناطـق الداخليـة مـن الإمبراطوريـة. لقـد كنـا نتوقـع هـذا الأمـر ولكـن هـذا لا يجعلنـا نشـعر بالراحـة. إن أناكريـون تقـع بيننـا وبـين آخـر المسـارات التجاريـة المتبقيـة لدينـا مـع سـانتاني وترانتـور وڤيجـا نفسـه. مـن أيـن يُمكـن أن تـأتي معادننـا؟ نحـن لم نتمكـن مـن الحصـول عـلى شـحنة فـولاذ أو

ألمونيوم طيلة ستة أشهر، والآن لن نكون قادرين على الحصول عليها على الإطلاق إلا إذا تعطف علينا ملك أناكريون».

قال بيرين في نفاد صبر: «فلتحصل عليها من خلاله إذن».

"ولكن هل سنستطيع؟ اسمعني يا بيرين، بحسب الميثاق الذي تأسست وفقه هذه القاعدة فإن مجلس أمناء لجنة القاعدة قد مُنح الصلاحيات الإدارية الكاملة. أنا بصفتي عُمدة مدينة تيرمينوس لديَّ الصلاحية الكافية لتنظيف أنفي وربما لكي أعطس إذا صدَّقت أنت على أمر يمنحني الإذن بهذا. الأمر في يدك ويد المجلس إذن. أنا أطلب منك باسم المدينة ـ التي يعتمد ازدهارها على التجارة غير المنقطعة مع المجرة ـ أن تدعو لاجتماعٍ عاجل...".

"توقَّف! هذا ليس مجال الخطب الانتخابية. اسمعني يا هاردين إن مجلس الأمناء لم يمنع تأسيس حكومة محلية على تيرمينوس. نحن نتفهم أن هذا ضروري بسبب ازدياد الكثافة السكانية منذ تأسيس القاعدة قبل خمسين عامًا، وبسبب تزايد عدد الأشخاص المعنيين بشئون أُخرى غير الموسوعة. ولكن هذا لا يعني أن الهدف الأول والأخير للقاعدة لم يعد نشر الموسوعة النهائية لكل العلوم الإنسانية. نحن مؤسسة علمية تدعمها الدولة يا هاردين. لا يُمكننا أن نتدخل في السياسة المحلية، ولا يجب أن نفعل هذا».

"السياسة المحلية! بحق إصبع قدم الإمبراطور الأيسر يا بيرين، إنها مسألة حياة أو موت. إن هذا الكوكب تيرمينوس لا يُمكنه بنفسه أن يدعم حضارة صناعية. إنه يفتقر إلى المعادن، أنت تعرف هذا، لا يوجد أدنى أثر للحديد أو النحاس أو الألمونيوم في صخور سطحه وأقل القليل من أي شيء آخر. ما الذي تظنه سيحدث للموسوعة إن حاصرنا ملك أناكريون هذا أيًا كان اسمه؟".

"يُحاصرنـا؟ هـل نسـيت أننـا تحـت الإدارة المُبـاشرة للإمبراطور نفسـه، نحـن لسـنا جـزءً مـن ولايـة أناكريـون أو أي ولايـة أُخرى. تذكَّـر هـذا! نحـن جـزءٌ مـن ملكيـة الإمبراطـور ذاتـه ولا يسـتطيع أحـد أن يلمسـنا، إن الإمبراطـور يسـتطيع أن يحمـي خاصتـه».

"إذن لمـاذا لم يمنـع حاكـم أناكريـون مـن هـذا الفعـل المتهـور؟ وهـل هـذا يحـدث في أناكريـون وحـده؟ عـلى الأقـل عـشرون ولايـة مـن الولايـات الموجـودة في الأطـراف الأبعـد مـن المجـرة، أو بالأحـرى النطـاق الخارجـي بأكملـه، قـد بـدأوا في إدارة الأمـور كـما يحلـو لهـم. أنـا أُخـبرك أننـي لا أضـع ثقتـي في الإمبراطـور وحمايتـه».

"هـذا هـراء! حـكام أو ملـوك، مـا الفـارق؟ لطالمـا مـرَّت الإمبراطوريـة بحـركات سياسـية مختلفـة، حيـث يتجـاذب الأشـخاص المختلفـون أطـراف الأمـور، لقـد تمـرد حـكام الولايـات مـن قبـل وفي مثـل هـذه الحـالات خُلـع الأباطـرة أو تعرَّضـوا للاغتيـال، ولكـن مـا علاقـة هـذا بالإمبراطوريـة نفسـها؟ انـسَ الأمـر يـا هارديـن، إنـه ليـس مـن شـأننا. نحــن علـماء أولًا وأخـيراً، واهتمامنـا هـو الموسـوعة. آه أجـل، كـدت أنـسى يـا هارديـن!».

"ماذا؟".

قال بيرين بصوتٍ غاضب: «افعل شيئًا حيال صحيفتك تلك!».

"جريـدة مدينـة تيرمينـوس؟ إنهـا ليسـت ملـكي، بـل ملكيـة خاصـة. مـاذا فعلـت؟».

"منـذ أسـابيع وهـي تقـترح أن تكـون الذكـرى السـنوية الخمسـون لتأسـيس القاعـدة مناسـبة عامـة للأعيـاد والاحتفـالات غـير اللائقـة".

"ولم لا؟ إن السـاعة الحاسـوبية سـوف تفتـح الخزانـة في غضـون ثلاثـة أشـهر. أنـا أرى أن فتحهـا لأول مـرة يُعـد مناسـبة كبـيرة، ألا تـرى هذا؟".

"ليس من أجل الاحتفالات السخيفة يا هاردين، إن الخزانة وفتحها هو أمر يخص مجلس الأمناء فقط، أي شيء ذي أهمية سوف نعلنه للناس. هذا أمر نهائي وأرجوك وضح هذا للجريدة».

"المعذرة يا بيرين ولكن ميثاق المدينة يمنح شيئًا صغيرًا يُسمى حرية الصحافة».

"ربما، ولكن مجلس الأمناء لا يمنح هذا. أنا أمثل الإمبراطور على تيرمينوس يا هاردين، ولديَّ الصلاحيات الكاملة بهذا الصدد".

ظهر على ملامح هاردين كأنه يعد من واحد إلى عشرة في عقله، ثم قال باكتئاب: «بالنسبة لموقعك كممثل الإمبراطور فلديَّ خبر أخير لأُخبرك به».

ضم بيرين شفتيه ثم قال في انزعاج: «بخصوص أناكريون؟».

"أجل، هناك مبعوث خاص سوف يُرسل إلينا من أناكريون في غضون أسبوعين".

"مبعوث؟ هنا؟ من أناكريون؟". فكَّر بيرين في هذا مليًّا ثم قال: «من أجل ماذا؟».

اعتدل هاردين واقفًا ثم دفع الكرسي مجددًا ناحية المكتب قبل أن يقول: «يمكنك تخمين هذا وحدك".

ثم غادر المكان بشكلٍ فظ.

الفصل الثاني

كان أنسِلم هاوت رودريك - «هاوت» ذاتها تُشير إلى دماء نبيلة - هو نائب حاكم بلوما ومبعوثًا استثنائيًا لجلالة ملك أناكريون، ونصف دستة أُخرى من الألقاب. التقى به سالفور هاردين عند ميناء الفضاء مع كل الطقوس التي تفرضها المناسبة الرسمية.

بابتسامة مصطنعة وانحناءة خفيفة أخرج نائب الحاكم مسدسه من جرابه وقدَّمه إلى هاردين من ناحية المقبض، بادله هاردين المجاملة بمسدس قد استعاره خصيصًا من أجل المناسبة. هكذا وُضعت أسس الصداقة وحُسن النية، وإن كان هاردين قد لاحظ الانتفاخ البسيط عند كتف هاوت رودريك، فقد اختار بحكمة ألا يقول شيئًا.

كانت العربة الأرضية التي استقبلتهما محاطة من أمامها وخلفها وعلى جانبيها بسحابة مناسبة من صغار الموظفين، بينما هي تتقدم بطريقة رسمية بطيئة ناحية ميدان الموسوعة، ويهلل لها في طريقها حشد متحمس إلى حدٍّ كبير.

تلقَّى نائب الحاكم أنسِلم المجاملات والهتافات بلا مبالاة وبكياسة تليق بجندي ورجل نبيل.

قال لهاردين: «وهذه المدينة هي كل عالمكم؟».

رفع هاردين صوته فوق الصخب لكي يسمعه: «نحن عالم حديث العهد، سموكم. خلال تاريخنا القصير لم يزر كوكبنا المتواضع سوى عدد قليل من الأفراد من الطبقة النبيلة العُليا".

من المؤكد أن هذا النبيل لم يتعرَّف على السخرية في مصطلح

«الطبقة النبيلة العُليا» عندما سمعه.

قال مُفكِّرًا: «تأسس منذ خمسين عامًا مضت. هممم! لديكم هنا مساحة شاسعة من الأراضي الصالحة للاستخدام أيها العمدة. هل فكَّرتم من قبل في تقسيمها إلى إقطاعيات؟».

"ليس هناك حاجة إلى هذا بعد، إننا مركزيون إلى حد كبير، ويجب علينا هذا، بسبب الموسوعة. ربما في يوم ما عندما تزداد كثافتنا السكانية...".

"عالم غريب! ألا يوجد لديكم فلاحون؟».

فكَّر هاردين أن الأمر لا يحتاج إلى قدر كبير من الفطنة لمعرفة أن سموه كان يحاول جس النبض بشكلٍ ساذج. قال ببساطة: «لا، ولا نبلاء».

رفع هاوت رودريك حاجبيه وقال: «وقائدكم، الرجل الذي سألتقيه؟».

"هل تقصد دكتور بيرين؟ أجل، إنه رئيس مجلس الأمناء، والممثل الشخصي للإمبراطور».

"دكتور؟ ألا يوجد أي ألقاب أُخرى؟ عالِم؟ ومرتبته تفوق السلطة المدنية؟".

أجابه هاردين بكياسة: «أجل بالتأكيد، جميعنا علماء بشكلٍ أو بآخر. ففي نهاية الأمر نحن لسنا عالَمًا بقدر كوننا مؤسسة علمية، تحت الإشراف المباشر للإمبراطور».

كان هناك نوع من التشديد على الجملة الأخيرة، التي يبدو أنها قد أزعجت نائب الحاكم، فبقي صامتًا وغارقًا في التفكير لبقية الرحلة البطيئة نحو ميدان الموسوعة.

إن كان هاردين قد أحس بالضجر طيلة الظهيرة والمساء الذي تلاها، إلا أنه قد أحسَّ بالرضا لإدراكه أن بيرين وهاوت رودريك ـ اللذين التقيا وتبادلا مجاملات التقدير والاحترام المشتركة بصوتٍ عالٍ ـ كانا يكرهان صحبة أحدهما الآخر أكثر بكثير.

أنصت هاوت رودريك بنظرة تفتقر للحماس إلى محاضرة بيرين أثناء «الجولة التفقدية» لمبنى الموسوعة. كان يستمع بابتسامة مهذبة مصطنعة إلى الأخير وهو يتحدث بسرعة بينما يمران عبر المستودعات الضخمة للأفلام المرجعية وغُرف العرض العديدة.

لم ينطق بأول جملة مفهومة له إلا بعد أن هبطوا طابقًا تلو الآخر داخلين وخارجين عبر أقسام التأليف وأقسام التحرير وأقسام النشر وأقسام التصوير.

قال: «هذا كله مثير للاهتمام، ولكنها تبدو وظيفة غريبة لرجال بالغين، ما الفائدة من كل هذا؟».

لاحظ هاردين أن هذا تعليق لم يجد له بيرين إجابة، رُغم أن تعبيرات وجهه كانت تُفصح عن كل شيء.

كان العشاء هذا المساء هو صورة طبقة الأصل من الأحداث التي جرت بعد الظهيرة، فقد احتكر هاوت رودريك المُحادثة بوصفه ـ بالتفاصيل الدقيقة وببهجة لا تصدق ـ لمآثره الخاصة أثناء الحرب الأخيرة بين أناكريون والمملكة المجاورة التي أعلنت استقلالها حديثًا، مملكة سميرنو.

لم تنتهِ تفاصيل حكاية نائب الحاكم إلا بعد انتهاء العشاء وانصراف الموظفين الصغار واحدًا تلو الآخر. لم يذكر نائب الحاكم آخِر جزء من تفاصيل انتصاره المتعلقة باشتباك بين سفن فضائية إلا بعد أن اصطحب بيرين وهاردين إلى الشرفة ليسترخوا في هواء

ليـل الصيـف الدافـئ.

قال بابتهاج عظيم: «والآن لنتحدث في الأمور الهامة».

قـال هارديـن: «عـلى الرحـب والسـعة». ثـم أشـعل سـيجارًا طويـلًا مـن التبـغ النبـاتي. قـال لنفسـه إنـه لم يتبـقَّ منـه الكثـير، ثـم مـال بكرسـيه إلى الـوراء عـلى سـاقيه الخلفيتـين.

كانـت المجـرة عاليـة في السـماء وقـد امتـدَّت هيئتهـا الضبابيـة الزجاجيـة بتكاسـل مـن أفـق لأُفـق. كانـت النجـوم القليلـة هنـا في آخـر حـدود المجـرة وتبـدو كنقـاط ضئيلـة متلألئـة.

قـال نائـب الحاكـم: «بالطبـع كل النقاشـات الرسـمية وتوقيـع الأوراق وكل هـذه الشـكليات المملـة سـوف تتـم أمـام... مـا هـو اسـم مجلسـكم».

أجابه بيرين ببرود: «مجلس الأمناء».

"اسـم غريـب! عـلى أي حـال فلنـترك هـذا لأوانـه، ربمـا يُمكننـا الآن أن نوضـح بعـض الأمـور المبهمـة رجـل لرجـل. مـا رأيكما؟".

قال هاردين ليحثه على الحديث: "وهذا يعني...».

"مـا أعنيـه فقـط، هـو أن هنـاك تغـيراً في الموقـف هنـا في الطـرف البعيـد للمجـرة. ولقـد صـار وضـع كوكبكـما غـير محـدد المعـالم، سـيكون مـن الملائـم حقًّـا إذا نجحنـا في الوصـول إلى اتفـاق بخصـوص الوضـع الحـالي. بالمناسـبة يـا عمـدة، هـل لديـك واحـدة أُخـرى مـن تلـك السـجائر؟».

تردد هاردين ثم أعطاه واحدة على مضض.

اشـتم أنسِـلم هـاوت رودريـك رائحتهـا ثـم أصـدر صوتًـا يـدل عـلى البهجـة قبـل أن يقـول: «تبـغ نبـاتي! مـن أيـن حصلـت عليهـا؟».

"لقد تلقَّينا بعضها في الشحنة السابقة، بالكاد تبقَّى منها أي شيء. الفضاء وحده يعلم متى سنحصل على المزيد، هذا إن كنا سنحصل على المزيد إطلاقًا".

تجهم بيرين، لم يكن يدخن، وبهذا الصدد كان يكره الرائحة. «دعني أفهم هذا، سموك. إن مهمتك هي مهمة توضيحية فقط؟».

أومأ رودريك برأسه من بين دخان أنفاسه الأولى المتلذذة.

"في هذه الحالة فهي ستنتهي سريعًا، إن الموقف بخصوص قاعدة الموسوعة هو ما كان عليه دومًا".

"حسنًا، وما الذي كان عليه دومًا؟".

"ببساطة مؤسسة علمية مدعومة من الدولة وجزء من الملكية الخاصة لجلالة الإمبراطور المعظم».

بدا أن نائب الحاكم غير مكترث وهو ينفخ حلقات الدخان ثم قال: «هذه نظرية جميلة يا د. بيرين، أعتقد أن لديك مواثيق تحمل الختم الإمبراطوري، ولكن ما هو الموقف الحقيقي؟ ما هو موقفك بخصوص سميرنو؟ إن بينكم وبين عاصمة سميرنو أقل من خمسين فرسخًا نجميًّا كما تعرف، وماذا عن كونوم وداريبو؟».

قال بيرين: "ليس لدينا أي علاقة بأي ولاية. كجزء من ملكية الإمبراطور...".

قال هاوت رودريك مُذكرًا: «إنها ليست ولايات، إنها ممالك الآن».

"ممالك إذن، نحن ليس لدينا أي علاقة بها. كمؤسسة علمية...".

سب الآخر في غضب: «اللعنة على العلم! بحق الشيطان ما علاقة هذا بحقيقة أن تيرمينوس عرضة لأن تستولي عليه سميرنو في أي وقت؟».

"والإمبراطور، هل سيقف مكتوف الأيدي؟".

هدأ هاوت رودريك ثم قال: «حسنًا، اسمعني يا د. بيرين، أنت تحترم ملكية الإمبراطور، وكذلك تفعل أناكريون، ولكن سميرنو قد لا تفعل. تذكَّر أننا قد وقَّعنا اتفاقية مع الإمبراطور ـ سوف أُقدِّم نسخة منها إلى مجلسكم في الغد ـ تضع على عاتقنا مسؤولية الحفاظ على النظام داخل حدود ولاية أناكريون القديمة بالنيابة عن الإمبراطور. إن مهمتنا واضحة إذن، أليس كذلك؟».

"بالتأكيد، ولكن تيرمينوس ليس جزءً من ولاية أناكريون".

"وسميرنو...".

"ولا جزء من ولاية سميرنو، إنه ليس جزءً من أي ولاية".

"هل تعرف سميرنو هذا؟".

"أنا لا أبالي بما تعرفه".

"نحن نُبالي. لقد انتهينا للتو من حرب معها وهي لا تزال تحتل مجموعتين شمسيتين ملكًا لنا. إن تيرمينوس يحتل بقعة استراتيجية للغاية بين المملكتين".

أحسَّ هاردين بالضجر فتدخل قائلًا: «ما هو عرضكم، سموك؟».

بدا على نائب الحاكم أنه مستعد لأن يتوقف عن المراوغة ويتحدث بشكلٍ مباشر. قال بحيوية: «يبدو واضحًا أنه بما أن تيرمينوس لا يقدر على الدفاع عن نفسه فإن أناكريون يجب أن تتولى هذه المهمة من أجل مصلحته. أنت تفهم أنه ليس لدينا أدنى رغبة في التدخل في الإدارة الداخلية...".

قال هاردين بسخرية: "بالطبع».

"... ولكننا نرى أنه سيكون من الأفضل لجميع المعنيين بالأمر أن

تؤسس أناكريون قاعدة عسكرية على الكوكب".

"وهذا هو كل ما تريدونه؛ قاعدة عسكرية في قطعة أرض شاسعة غير مأهولة، ويتوقف الأمر عند هذا الحد؟».

"حسنًا، بالطبع سيكون هناك مسألة دعم قوات الحماية".

هبط كرسي هاردين على أرجله الأربعة ثم وضع مرفقيه على ركبتيه وقال: «الآن وصلنا إلى لب الموضوع، دعني أصيغ هذا بكلمات مباشرة، سيكون تيرمينوس تحت الوصاية وعليه أن يدفع الجزية».

"ليست جزية، بل ضرائب. نحن نحميكم وأنتم تدفعون مقابل هذا".

ضرب بيرين بيده على كرسيه في حركة مفاجئة عنيفة وقال: «دعني أتحدث يا هاردين. سموك، أنا لا أُبالي مقدار عُملة صدئة بشأن أناكريون أو سميرنو أو كل سياساتكم المحلية وحروبكم السخيفة. أنا أقول لك إن هذه مؤسسة مدعومة من الدولة ومُعفاة من الضرائب».

"مدعومة من الدولة؟ ولكن نحن الدولة يا د. بيرين، ونحن لا ندعمكم".

اعتدل بيرين واقفًا في غضب وقال: «سموكم، أنا الممثل المباشر لـ...».

"جلالة السلطان المعظم". كرر أنسِلم هاوت رودريك جملته بسخرية ثم قال: «وأنا الممثل المباشر لملك أناكريون، وأناكريون أقرب لكم بكثير يا د. بيرين".

قال هاردين: «دعنا نعود إلى الموضوع، كيف تحب أن تتلقَّى هذه الضرائب المزعومة سموكم؟ هل تحب أن تأخذها على هيئة

قمح أم بطاطس أم خضروات أم قطعان ماشية؟».

قال نائب الحاكم بدهشة: «ما هذا بحق الشيطان؟ ما حاجتنا إلى هذه الأشياء، لدينا ما يزيد عن حاجتنا منها. نُريد الذهب بالطبع. الكروم أو الفاناديوم سيكونان أفضل، هذا إن كان لديكم كميات منها».

ضحك هاردين وقال: «كميات! ليس لدينا كميات حتى من الحديد. ذهب! هاك، انظر إلى عملتنا». ثم ألقى بعملة معدنية إلى المبعوث.

تفحَّصها هاوت رودريك ثم قال: «ما هذا؟ فولاذ؟».

"هذا صحيح".

"أنا لا أفهم".

"إن تيرمينوس هو كوكب بدون معادن تقريبًا. إننا نستورد كل شيء، وهذا يعني أنه ليس لدينا ذهب أو أي شيء لندفعه، إلا إذا كنت تريد بضعة آلاف مكيال من البطاطس".

"حسنًا، السلع المصنعة".

"بدون معادن؟ مم سنصنع آلاتنا؟".

ساد الصمت لبعض الوقت ثم قال بيرين: "إن هذه المناقشة بأكملها بعيدة عن النقطة الأساسية. إن تيرمينوس ليس كوكبًا، بل مؤسسة علمية، تعد موسوعة عظيمة. بحق الفضاء يا رجل أليس لديك أي احترام للعلم؟".

عقد هاوت رودريك حاجبيه وقال: «الموسوعات لا تربح الحروب. كوكب غير إنتاجي بالكامل إذن، وغير مأهولٍ إلى حد ما. حسنًا يُمكنكم أن تدفعوا بالأراضي".

سأله بيرين: "ما الذي تعنيه؟".

"هـذا الكوكـب شـبه فـارغ، والأراضي غـير المسـتغلة عـلى الأرجـح خصبـة. هنـاك العديـد مـن النبـلاء عـلى أناكريـون سـيرغبون في توسـعة إقطاعياتهـم".

"لا يُمكنك أن تعرض مثل هذا...".

"ليـس هنـاك حاجـة لأن تبـدو منزعجًـا هكـذا يـا د. بيريـن. هنالـك مـا يكفينـا جميعًـا. إن حـدث هـذا، وتعاونـت أنـت معنـا، فيمكننـا عـلى الأرجـح أن نرتـب الأمـر لكيـلا تخـسر شـيئًا. مـن الممكـن منـح الألقـاب والإقطاعيـات. أعتقـد أنـك تفهمنـي».

قال بيرين بسخرية: «شكرًا لك!».

ثـم قـال هارديـن ببسـاطة: «هـل يمكـن أن تزودنـا أناكريـون بكميات كافيـة مـن البلوتونيـوم مـن أجـل محطـة الطاقـة النوويـة الخاصـة بنـا؟ لم يعـد لدينـا مـن الإمـدادات إلا مـا يكفينـا لبضـع سـنوات".

شـهق بيريـن ثـم خيَّـم صمـت مُطبـق لبضـع دقائـق، ثـم تحـدَّث هـاوت رودريـك بنـبرة مختلفـة تمامًـا عـن النـبرة التـي كان يتحـدث بهـا حتـى هـذه اللحظـة: «لديكـم طاقـة نوويـة؟».

"بالتأكيـد، مـا الغريـب في هـذا؟ أعتقـد أن الطاقـة النوويـة عمرهـا الآن خمسـون ألـف سـنة، لمَ لا يجـب علينـا أن نمتلكهـا؟ عـدا أنـه مـن الصعـب قليـلًا الحصـول عـلى البلوتونيـوم".

"أجـل... أجـل». توقَّـف المبعـوث قليـلًا ثـم قـال بعـدم ارتيـاح: «حسـنًا، أيهـا السـيدان المحترمـان، سـوف نكمـل الموضـوع في الغـد. أسـتميحكما عـذرًا...».

راقبـه بيريـن وهـو يبتعـد ثـم جزَّ عـلى أسـنانه وقـال: «هـذا الحـمار البليـد الـذي لا يُطـاق! هـذا...».

قاطعـه هارديـن قائـلًا: «لا عـلى الإطـلاق، إنـه مجـرد نتـاج لبيئتـه، إنـه لا يفهـم شـيئًا آخـر سـوى: أنـا أمتلـك مسدسًـا وأنـت لا تمتلـك واحـدًا".

التفـت بيريـن ناحيتـه في سـخط وقـال: «مـا الـذي كنـت تعنيـه بحـق الفضـاء بالحديـث عـن قواعـد عسـكرية وجزيـة؟ هـل فقـدت عقلـك؟».

"لا، أنـا فقـط أعطيتـه خيطًـا وتركتـه يجذبـه. ستُلاحِظ أنه قـد أفصح دون أن يشـعر بنوايـا أناكريـون الحقيقيـة؛ وهـي تقسـيم تيرمينـوس إلى أراضٍ إقطاعيـة. بالطبـع أنـا لا أنـوي أن أدع هـذا يحـدث».

"أنـت لا تنـوي. أنـت. ومـن أنـت؟ وهـل يُمكـن أن أسـألك مـا الـذي كنـت تعنيـه بثرثرتـك عـن محطـة الطاقـة النوويـة الخاصـة بنـا؟ هـذا بالضبـط هـو الـشيء الـذي سـيجعلنا هدفًـا عسـكريًّا".

ابتسـم هارديـن وقـال: «أجـل، هـدف عسـكري يجـب البقـاء بعيـدًا عنـه. أليـس مـن الواضـح لمَ تطرقـت إلى الموضـوع؟ لقـد أكَّـد هـذا شـكًّا قويًّـا لـديَّ".

"وما هو؟".

"أن أناكريـون لم يعـد لديهـا اقتصـاد قائـم عـلى الطاقـة النوويـة. لـو كان لديهـم فـإن صديقنـا بـلا شـك كان سـيُدرك أن البلوتونيـوم لا يسـتخدم في محطـات الطاقـة إلا في الأنمـاط القديمـة. وهـذا يعنـي بالتـالي أن بقيـة النطـاق الخارجـي للمجـرة لم يعـد لديهـم طاقـة نوويـة أيضًـا. بالتأكيـد سـميرنو لا تمتلكهـا، وإلا فـإن أناكريـون لم تكـن لتنتـصر في معظـم معاركهـا في حربهـما الأخـيرة. أمـر مثـير للاهتـمام، ألا تـرى هـذا؟».

قال بيرين: "هذا هراء!". ثم اندفع خارجًا في غضب.

ابتسـم هارديـن بهـدوء ثـم ألقـى سـيجاره بعيـدًا، قبـل أن ينظـر لأعـلى نحـو المجـرة الممتـدة وتمتـم قائـلًا: «لقـد عـادوا إلى البـترول والفحـم، أليـس كذلـك؟». أمـا بقيـة أفـكاره فقـد احتفـظ بهـا لنفسـه.

الفصل الثالث

عندما أنكر هاردين امتلاكه للجريدة ربما كان محقًّا من الناحية التقنية لا أكثر. لقد كان هاردين مصدر الإلهام وراء المطالبة بأن يكون لتيرمينوس حكومة محلية مستقلة، وقد جرى اختياره ليكون أول عمدة له، لذا فليس من المفاجئ أنه يتحكم في قرابة ستين بالمئة من الجريدة بشكلٍ غير مباشر، رُغم عدم امتلاكه لسهم واحد من أسهمها.

هناك دومًا سبل لتحقيق هذا.

وبالتالي عندما بدأ هادرين يقترح على بيرين السماح له بحضور اجتماعات مجلس الأمناء لم يكن من المصادفة أن الجريدة قد بدأت حملة مماثلة، وقد عُقد أول اجتماع جماهيري في تاريخ القاعدة للمطالبة بتمثيل المدينة في الحكومة «الوطنية».

وأخيرًا اضطر بيرين للرضوخ على مضض.

بعدما جلس هاردين عند نهاية الطاولة راح يفكر متأملًا فيما يجعل علماء الفيزياء حكامًا سيئين، ربما هي فقط حقيقة أنهم معتادون على التعامل مع الحقائق الجامدة وغير معتادين تمامًا على الطبيعة البشرية المرنة.

على أي حال كان هناك توماز سوت وجورد فارا على يساره، ولوندين كراست ويات فولهام على يمينه، وبيرين نفسه على رأس الطاولة. كان يعرفهم جميعًا بالطبع، ولكن يبدو أنهم قد اكتسوا بنوعٍ من التباهي غير المعتاد من أجل المناسبة.

لقد غفا هاردين أثناء الإجراءات الرسمية الأولية ثم انتبه

عندما رشف بيرين من كأس الماء الزجاجي الموضوع أمامه كنوعٍ من التمهيد قبل أن يقول: «من دواعي سروري أن أُخبر المجلس أنه منذ اجتماعنا الأخير قد تلقَّيت رسالة بأن لورد دوروين مستشار الإمبراطور سوف يصل إلى تيرمينوس في غضون أسبوعين. إن تذليل علاقتنا مع أناكريون من أجل مصلحتنا التامة قد يعد أمرًا مفروغًا منه، بمجرد أن يعرف الإمبراطور بالوضع».

ثم ابتسم وهو يخاطب هاردين على الناحية الأُخرى من الطاولة: «لقد أُعطيت معلومات بخصوص هذا الأمر إلى الجريدة».

ضحك هاردين ساخرًا بشكلٍ غير مسموع. يبدو جليًا أن رغبة بيرين في التباهي بهذه المعلومات أمامه كانت السبب الوحيد وراء السماح له بالدخول إلى هذا الحرم المقدس.

قال بهدوء: «فلنضع التعبيرات المبهمة جانبًا، ما الذي تتوقع أن يفعله لورد دوروين حقًّا؟».

أجابه توماز سوت. كان لديه عادة سيئة في أن يُخاطب الشخص بضمير الغائب عندما يكون في حالاته المزاجية الأكثر رسمية. قال: «من الواضح تمامًا أن العمدة هاردين رجل متشائم بشكلٍ محترف، إنه لا يستطيع أن يدرك أنه من المستبعد أن يسمح الإمبراطور لأحد بأن يتعدّى على حقوقه".

"لماذا؟ ما الذي سيفعله في حالة حدوث هذا؟".

كان هناك جلبة غاضبة، ثم قال بيرين: "أنت تتعدى حدودك". ثم تدارك قائلًا: «كما أن ما تُدلي به أقرب للخيانة".

"هل أعتبر أن هذه إجابة سؤالي؟".

"أجل، وإن لم يكن لديك شيء آخر لتقوله...".

"لا تقفز إلى استنتاجات، أنا أُريد أن أسأل سؤالًا، بغض النظر

عـن هـذه المجامـلات الدبلوماسـية التـي قـد ثبـت أو لم يثبـت أنهـا تعنـي شـيئًا، هـل فعلتـم أي شيء ملمـوس لمواجهـة خطـر أناكريـون؟".

داعــب يـات فولهـام شـاربه الكـث بيـده وقـال: «أنــت تـرى أن هنــاك خطــرًا أليــس كذلــك؟».

"ألا ترى أنت هذا؟».

قال بتساهل: «هذا مستبعد، إن الإمبراطور...».

قـال هارديـن بانزعـاج: «بحـق الفضـاء، مـا هـذا؟ بـين الحـين والآخـر يذكـر أحدهـم الإمبراطـور أو الإمبراطوريـة كأنهـا كلمـة سـحرية. إن الإمبراطـور عـلى بُعـد آلاف الفراسـخ النجميـة، وأشـك أنـه يبـالي بنـا البتـة. وإن كان يبـالي، فـما الـذي يسـتطيع أن يفعلـه؟ مـا كان موجـودًا مـن الأسـطول الإمبراطـوري في هـذه المناطـق قـد صـار الآن في أيـدي الممالـك الأربعـة، وقـد حصلـت أناكريـون عـلى نصيبهـا. اسـمعوني، يجـب أن نُقاتـل بالأسـلحة وليـس بالكلـمات.

والآن افهمـوا هـذا، لقـد حصلنـا عـلى مهلـة شـهرين حتـى الآن لأننـا أعطينـا أناكريـون إيحـاءً بـأن لدينـا أسـلحة نوويـة. حسـنًا نحـن جميعًـا نعـرف أن هـذه كذبـة بيضـاء صغـيرة. لدينـا طاقـة نوويـة، ولكنهـا فقـط مـن أجـل الاسـتخدامات التجاريـة، ولدينـا القليـل منهـا فقـط. سـوف يكتشـفون هـذا قريبًـا، وإن كنتـم تعتقـدون أنهـم سـيحبون تعرضهـم للخـداع فأنتـم مخطئـون».

"يا سيدي الفاضل...".

"انتظـر، أنـا لم أكمـل حديثـي". كان هارديـن يـزداد حماسًـا، لقـد أحـب الأمـر. "مـن الجيـد حقًـا أن نجلـب المستشـارين ليتدخلـوا في الأمـر، ولكـن سـيكون مـن الجيـد أكـثر لـو جلبنـا بعـض أسـلحة الحصار المهيـأة لحمـل قنابـل نوويـة جميلـة. لقـد أضعنـا شـهرين أيهـا السـادة

وقد لا يكون لدينا شهران آخران لإضاعتهما، ما الذي تقترحون فعله؟".

قال لوندين كراست وأنفه الطويل يتجعد في غضب: «إن كنت تقترح تسليح القاعدة فلن أسمع كلمة عن هذا الأمر، هذا سيعني بداية دخولنا إلى مجال السياسة. نحن يا سيادة العمدة مؤسسة علمية ولا شيء آخر».

أضاف سوت: «علاوة على ذلك فهو لا يُدرك أن عملية التسليح ستتطلب سحب رجال ـ رجال مهمين ـ من الموسوعة. هذا لن يحدث أبدًا".

اتفق معه بيرين: «هذا حقيقي، الموسوعة أولًا ودائمًا».

تذمَّر هاردين في قرارة نفسه؛ بدا أن المجلس يعاني هوسًا شديدًا بالموسوعة.

قال بِرود: «هل خطر على بال هذا المجلس يومًا مُجرد احتمال أن تيرمينوس قد يكون له اهتمامات أُخرى عدا الموسوعة؟».

قال بيرين: «لا أتصور يا هاردين أن يكون للقاعدة أي اهتمامات أُخرى عدا الموسوعة».

"أنا لم أقل القاعدة، لقد قلت تيرمينوس. أخشى أنكم لا تفهمون الموقف، هناك قُرابة مليون منا هنا على تيرمينوس، وليس أكثر من مئة وخمسين ألف يعملون بشكلٍ مباشر على الموسوعة. بالنسبة لبقيتنا هذا هو وطننا. لقد وُلِدنا هنا. نحن نعيش هنا. إن الموسوعة لا تعني إلا القليل لنا بالمقارنة مع مزارعنا وبيوتنا ومصانعنا. إننا نريد حمايتها...".

صاحت أصوات معترضة لإسكاته.

قال كراست غاضبًا: «الموسوعة أولًا، لدينا مهمة لتحقيقها».

صاح هاردين: «أي مهمة بحق الجحيم؟ ربما كان هذا صحيحًا منذ خمسين سنة. ولكن هذا جيل جديد".

أجابه بيرين: «هذا ليس له علاقة بنا، نحن علماء».

قال هاردين على الفور مستغلًا هذه الفرصة: «هل أنتم حقًا؟ هذا وهم رائع، أليس كذلك؟ أنتم جميعًا مثال جيد على مشكلة المجرّة لآلاف الأعوام. أي نوع من العلماء هذا الذي يظل عالقًا هنا لقرون ليصنف عمل العلماء في آلاف السنوات السابقة؟ هل فكّرتم من قبل في العمل من أجل المستقبل؛ بالتوسع في معارفهم وتطويرها؟ لا! أنتم سعداء بهذا الركود، المجرة بأكملها راكدة، وهي كذلك منذ وقتٍ طويل لا يعلمه إلا الفضاء. لهذا يتمرد القطاع الخارجي من المجرة بأكمله، لهذا قد انقطعت الاتصالات، لهذا أصبحت الحروب السخيفة بلا نهاية، لهذا تفقد مجموعات شمسية بأكملها الطاقة النووية وتعود مُجددًا إلى وسائل الطاقة الكيميائية البربرية ".

صاح أخيرًا: «إذا سألتموني فإن الإمبراطورية المجرية تحتضر».

صمت ثم جلس في كرسيه ليلتقط أنفاسه دون أن يلتفت إلى الاثنين أو الثلاثة الذي كانوا يحاولون إجابته في الوقت ذاته.

تولّى كراست زمام الأمور فقال: «أنا لا أعرف ما الذي تحاول أن تجنيه بكلماتك الهستيرية يا سيادة العمدة. أنت لم تُضِف شيئًا بنّاءً للمناقشة بالتأكيد. أقترح يا سيادة الرئيس أن تُحذف تعليقات المتحدث وأن تُستأنف المناقشة من النقطة التي انقطعت عندها».

تحدّث جورد فارا للمرة الأولى. إلى هذه اللحظة لم يكن فارا قد اشترك في المناقشة حتى في أَوَجِّها. ولكن الآن صوته الثقيل ـ بنفس مقدار ثقل جسده الذي يزن ثلاثمئة رطل ـ تردد بشكلٍ جهور.

"ألم ننسَ شيئًا أيها السادة؟".

سأله بيرين بانزعاج: «ماذا؟».

"أنه في غضون شهر سوف نحتفل بمرور خمسين عامًا". كان لدى فارا طريقة في نطق أكثر الجمل وضوحًا بعمقٍ شديد.

"وماذا في هذا؟".

أكمل فارا بهدوءٍ شديد: «وأنه في هذه الذكرى السنوية فإن خزانة هاري سيلدون ستُفتح. ألم تفكروا قط فيما قد يوجد في الخزانة؟».

"أنا لا أعرف، أشياء روتينية، ربما خطبة مسجلة للتهنئة. أنا لا أعتقد أن هناك أي أهمية يجب أن نوليها للخزانة، رُغم أن الجريدة..."، ثم حدَّق ناحية هاردين الذي ابتسم له، «تحاول أن تصنع قضية من الأمر. أنا سأضع حدًّا لهذا».

قال فارا: «ولكن ربما أنت مُخطئ، ألم يخطر ببالك»، ثم صمت برهة ليضع إصبعه بجانب أنفه الدائري الصغير، «أن الخزانة ستُفتح في وقتٍ ملائم للغاية؟».

تمتم فولهام: «تقصد وقتًا غير ملائم للغاية، لدينا أشياء أُخرى لنقلق حيالها».

"أشياء أُخرى أكثر أهمية من رسالة من هاري سيلدون؟ لا أعتقد هذا".

كان فارا يزداد عمقًا مع مرور الوقت، فرمقه هاردين مفكرًا. ما الذي يحاول التلميح له؟

قال فارا بسعادة: «في الواقع يبدو أنكم جميعًا قد نسيتم أن سيلدون كان أعظم عالم نفسي في زمننا، وأنه كان مؤسس قاعدتنا. يبدو من المعقول أن نفترض أنه قد استخدم علمه ليحدد المسار

المحتمـل لتاريـخ المسـتقبل القريـب. إن فعـل هـذا ـ وهـو مـا يبـدو مرجحًـا للغايـة ـ أكـرر أنـه سيسـتطيع بالتأكيـد أن يجـد طريقـة لتحذيرنـا مـن الخطـر، وربمـا ليرشـدنا إلى الحـل. لقـد كانـت الموسـوعة عزيـزة حقًّـا عـلى قلبـه كـما تعرفـون».

خيَّـم عـلى المـكان هالـة مـن الشـك والحـيرة. تراجـع بيريـن للـوراء وقـال: "حسـنًا، أنـا لا أعـرف، إن علـم النفـس هـو علـم عظيـم، ولكـن لا يوجـد بيننـا في هـذه اللحظـة أي علـماء نفسـيين حسـبما أعتقـد، يبـدو أننـا نقـف عـلى أرضيـة غـير مسـتقرة».

التفـت فـارا إلى هارديـن وقـال: «ألم تـدرس علـم النفـس عـلى يـد ألوريـن؟».

أجابـه هارديـن وهـو شـبه غـارق في التفكـير: «أجـل، ولكنـي لم أكمـل دراسـتي. لقـد مللـت مـن النظريـة، لقـد أردت أن أدرس علـم النفـس الهنـدسي، ولكننـا كنـا نفتقـر إلى المنشـآت، لـذا فعلـت الـشيء الأفضـل التـالي؛ توجَّهـت إلى السياسـة، إنهـا عمليًّـا الـشيء ذاتـه».

"حسنًا، ماذا تعتقد بشأن الخزانة؟".

أجابه هاردين بحذر: «أنا لا أعرف».

لم يقـل كلمـة أُخـرى لبقيـة الاجتـماع، رُغـم أنهـم قـد عـادوا إلى موضـوع مستشـار الإمبراطـور.

لم يكـن ينصـت إليهـم حقًّـا، لقـد وضـع عقلـه في مسـار جديـد، وبـدأت الأشـياء تسـتقر في موضعهـا، شـيئًا فشـيئًا، بعـض الزوايـا القليلة كانـت تتـلاءم معًـا، واحـدة أو اثنتـين.

وعلم النفس هو المفتاح، كان واثقًا من هذا.

كان يحـاول يائسًـا أن يتذكـر نظريـة علـم النفـس التـي تعلَّمهـا يومًـا مـا، ومـن خلالهـا فهـم شـيئًا واحـدًا صحيحًـا مـن البدايـة.

عـالم نفـسي عظيـم مثـل سـيلدون يُمكنـه أن يسـبر أغـوار المشـاعر البشريـة وردود الفعـل البشريـة بشـكلٍ كافٍ لـكي يكـون قـادرًا عـلى التنبـؤ بشـكلٍ عـام بالمسـار التاريخـي للمسـتقبل.

ولكن ما الذي قد يعنيه هذا؟

الفصل الرابع

استنشق لورد دوروين بعض التبغ المطحون. كان له شعر طويل مموج بشكلٍ متداخل، ومن الواضح أيضًا أنه صناعي، وقد أُضيف له زوج من السوالف الشقراء الناعمة، راح يداعبها بأصابعه برقة. كان يتحدث أيضًا بجملٍ متقعرة دون أن ينطق حرف الراء.

في تلك اللحظة لم يكن لدى هاردين وقتٌ للتفكير في المزيد من الأسباب للكراهية التي أحس بها على الفور تجاه المستشار النبيل. أجل، بالفعل، إشارات اليد الرشيقة التي تتبع كل جملة، والتعالي المدروس الذي كان يصحب حتى أبسط التعليقات.

على أي حال كانت المشكلة الآن هي العثور عليه. لقد اختفى مع بيرين قبل نصف ساعة وغاب تمامًا عن ناظريه، اللعنة عليه.

كان هاردين واثقًا أن غيابه أثناء المناقشات الأولية سيُريح بيرين.

ولكن بيرين قد شوهد في هذا الجناح وفي هذا الطابق. لم يتبقَّ أمامه سوى تجربة كل باب. في منتصف الطريق قال: «بالطبع!»، ثم خطا إلى داخل الغُرفة المظلمة. كانت هيئة تسريحة شعر لورد دوروين المتداخلة واضحة بلا شك أمام الشاشة المضيئة.

رفع لورد دوروين بصره وقال: «موحبًا، هاودين. لقد كنت تبحث عنا بلا شك؟». ثم قدَّم له صندوق التبغ المطحون، لاحَظ هاردين أنه مزخرف بشكلٍ مبالغ فيه وأن صنعته سيئة، ولكنه رفض بتهذيب فأخذ دوروين حفنة منه وهو يبتسم بلباقة.

عقد بيرين حاجبيه متجهمًا ولكن هاردين أجابه بنظرة خاوية لا مبالية.

الصوت الوحيد الذي كسر الصمت القصير الذي تلا ذلك كان صوت تكة غطاء صندوق تبغ لورد دوروين، قبل أن يضعه جانبًا ويقول: «إنجاز وائع موسوعتكم هذه. إنجاز عظيم يقاوَن بأعظم إنجازات البشو على مو الزمن».

"مُعظمنا يعتقد هذا يا سيدي اللورد؟ ولكنه إنجاز لم يُنجز تمامًا بعد".

"من القليل الذي وأيته من كفاءة قاعدتكم فلا أشعو بأدنى قلق حيال هذا الأمو». ثم أومأ ناحية بيرين الذي أجابه بانحناءة مبتهجة.

قال هاردين لنفسه، يا لها من قصة حب، ثم قال: «أنا لم أكن أشتكي من نقص الكفاءة يا سيدي اللورد، بقدر ما أشتكي من الكفاءة المفرطة من ناحية أناكريون، رُغم أنها في اتجاه آخر أكثر تدميرًا».

قال وهو يلوح بيده في إيماءة لا مبالية: «آه، أجل، أناكويون، لقد أتيت من هناك للتو، كوكب بوبوي للغاية، لا يُمكنني تصوو أن هناك بشوًا باستطاعتهم العيش هنا في أطواف المجوة. نقص معظم الأدوات الأولية للوجال المثقفين وغياب أبسط المقومات الأساسية للواحة والوفاهية، والإهمال التام...».

قاطعه هاردين بجمود: «أناكريون للأسف لديها كل الأدوات الأولية للحرب وكل المقومات الأساسية للتدمير».

"بالطبع، بالطبع". بدا لورد دوروين منزعجًا، ربما بسبب مقاطعته في منتصف جملته. "ولكننا لسنا هنا لمناقشة العمل كما تعوف. حقًا أنا منشغل بأمو آخو. دكتوو بيوين ألن تجعلني أوى المجلد الثاني؟ فلتويني إياه من فضلك».

اشـتعلت الأضـواء، ولنصـف سـاعة أحـس هارديـن أنـه لا فـارق بـين وجـوده في هـذا المـكان وبـين وجـوده حتـى عـلى أناكريـون بسـبب كل هـذه الاهتـمام الـذي أوليـاه إيـاه. بـدا الكتـاب الموجـود عـلى الشاشـة بـلا معنـى بالنسـبة لـه، ولم يُزعـج نفسـه بمحاولـة متابعتـه، إلا أن لـورد دورويـن كان ينتابـه حـماس بـشري مـن وقـتٍ لآخـر. لاحـظ هارديـن في تلـك اللحظـات مـن الحماسـة أن المستشـار ينطـق حـرف الـراء.

عندمـا انطفـأت الأضـواء مُجـددًا قـال لـورد دورويـن: «وائـع، وائـع حقًّـا. بالمناسـبة، ألسـت مهتـمًّا بعلـم الآثـاو القديمـة يـا هاوديـن؟».

قـال هارديـن وهـو يفيـق مـن شروده: «مـاذا؟ لا يـا سـيدي اللـورد، لا يُمكننـي القـول إننـي كذلـك. لقـد كنـت أرغـب في المـاضي أن أصـير عالمًـا نفسـيًّا، ولكنـي اخـترت السياسـة في النهايـة».

"آه! لا شـك أنهـا دواسـات مثيـوة للاهتـمام". ثـم أخـذ حفنـة أخـرى مــن التبـغ قبـل أن يقـول: "أتعـوف، أنـا عـن نفـسي مهتـم بعلـم الآثـاو".

"حقًّا؟".

تدخَّـل بيريـن قائـلًا: «إن سـيدي اللـورد عـلى إطـلاع واسـع بهـذا المجـال».

قـال سـيده اللـورد برضـا: «حسـنًا، وُبَّمـا. لقـد عملـت كثيـوًا في هـذا العلـم. لقـد قـوأت الكثيـو في الواقـع. لقـد قـوأت كل كتـب جـاودون، أوبيجـاسي، كوومويـل... حسـنًا، جميعهـم».

قال هاردين: «لقد سمعت عنهم بالطبع، ولكني لم أقرأ لهم».

"يجـب أن تفعـل هـذا يومًـا مـا يـا صديقـي العزيـز، سـينفعك هـذا كثيـوًا. أوى أن الأمـو يسـتحق وحلـة إلى أطـواف المجـوة لوؤيـة هـذه النسـخة مـن لامـث. هـل تصـدق أن مكتبتـي تفتقـو تمامًـا إلى نسـخة.

بالمناسـبة يـا دكتـوو بيويـن، أنـت لم تنـسَ وعـدك بإعـداد نسـخة متوجمـة مـن أجـلي قبـل أن أُغـادو، أليـس كذلـك؟».

"هذا من دواعي سروري".

أكمـل المستشـار بلهجتـه المتقرعـة: «لامـث كـما يجـب أن تعـوف يقـدم إضافـة جديـدة ومثيـوة للاهتـمام لمعوفتـي السـابقة عـن سـؤال الأصـل».

سأله هاردين: «أي سؤال هذا؟».

"سـؤال الأصـل، المـكان الـذي يعـود إليـه أصـل الجنـس البشـوي. بالتأكيـد أنـت تعـوف أن الجنـس البشـوي كان يعيـش في البدايـة في مجموعـة شمسـية واحـدة".

"حسنًا، أجل، أنا أعرف هذا".

"بالطبـع لا أحـد يعـوف بالضبـط أي مجموعـة هـي، لقـد ضـاع الأمـو في ضبـاب العصـوو القديمـة. ولكـن هنـاك نظويـات. البعـض يقـول سـيويوس، البعـض الآخـو يصـو عـلى ألفـا سـينتووي، أو عـلى سـول، أو عـلى 61 سـيجني؛ جميعهـا في قطـاع سـيويوس كـما تـوى".

"ما الذي يقوله لامث؟".

"حسـنًا، لقـد اتخـذ مسـاوًا آخـو مختلفًـا، لقـد حـاول أن يُظهـو أن البقايـا الأثويـة عـلى الكوكـب الثالـث للمجموعـة الأوكتوويـة، تُظهـو أن البشـو قـد وُجـدوا هنـاك قبـل أن يكـون هنـاك أدنى أثـو للسـفو عبـو الفضـاء».

"وهذا يعني أن هذا الكوكب كان مهد البشرية؟".

"وُبّمـا، يجـب أن أقـوأه بحـوص وأقيّـم الدليـل قبـل أن أسـتطيع أن أجـزم بـشيء. يجـب عـلى المـوء أن يـوى مـدى موثوقيـة ملحوظاتـه».

بقـي هارديـن صامتًـا لوقـتٍ قصـير ثـم قـال: «متـى كتـب لامـث هـذا الكتـاب؟».

"أوه، يجـب أن أقـول منـذ قوابـة ثمانمئـة عـام، لقـد اعتمـد بشـكلٍ كبيـو بالطبـع عـلى أعـمال جلـين السـابقة».

"إذن، لمـاذا تعتمـد عليـه؟ لمَ لا تذهـب إلى أركتـورس وتـدرس البقايـا بنفسك؟".

رفـع لـورد دورويـن حاجبيـه وأخـذ نشـقة مـن التبـغ عـلى الفـور قبـل أن يقـول: «لمـاذا؟ ولأي سـبب يـا صديقـي العزيـز؟».

"لكي تحصل على المعلومات بنفسك بالطبع".

"ولكـن مـا الداعـي لذلـك؟ إنهـا تبـدو طويقـة غيـو مألوفـة ومعقـدة بشـكلٍ ميـؤوس منـه للحصـول عـلى المعلومـات. انظـو هنـا، أنـا لـديَّ أعـمال الأسـاتذة القدامـى، علـماء الآثـاو العظـماء السـابقون، أنـا أقاونهـم ببعضهـم الآخـو، وأوازن الاختلافـات وأحلـل الجمـل المتعاوضـة وأسـتنتج أيهـا صحيـح عـلى الأوجـح، ثـم أصـل إلى نتيجـة. هـذه هـي الطويقـة العلميـة". ثـم أضـاف بلهجـة متعاليـة: «عـلى الأقـل هكـذا أواهـا، سـيكون قاسـيًا بشـكلٍ غيـو محتمـل أن أذهـب إلى أوكيتـوس أو سـول عـلى سـبيل المثـال وأتخبـط هنـاك، بينـما أعـمال الأسـاتذة القدامـى غطَّـت الأعـمال الأساسـية بشـكلٍ أكثـو فاعليـة مـما قـد يُمكننـي أن أطمـح في تحقيقـه».

تمتم هاردين بتهذيب: «فهمت».

قـال بيريـن: «هيـا يـا سـيدي اللـورد أعتقـد أنـه مـن الأفضـل أن نعـود".

"آه، أجل، وُبّما يجب علينا هذا".

وبينـما هـما يسـتعدان لمُغـادرة الغُرفـة قـال هارديـن فجـأة: «هـل

يُمكنني أن أسألك سؤالًا يا سيدي اللورد؟».

ابتسم لورد دوروين ابتسامة باهتة وأشار بيده إشارة متسامحة تؤكد على إجابته: «بالتأكيد يا صديقي العزيز، يُسعدني أن أكون في خدمتك. إن كان باستطاعتي مُساعدتك بمخزون معرفتي المتواضع...».

"إنه ليس سؤالًا في علم الآثار بالضبط يا سيدي اللورد".

"حقًّا؟".

"لا. السؤال هو: في العام الماضي تلقَّينا أخبارًا هنا في تيرمينوس عن الانصهار النووي في محطة الطاقة على الكوكب V من جاما أندروميدا، لقد تلقَّينا الخطوط العريضة للحادثة بلا أدنى تفاصيل على الإطلاق. أتساءل إن كان بإمكانك أن تُخبرني عمَّا حدث بالضبط».

تلوَّى فم بيرين وقال: «أعتقد أنك تُزعج سيادة اللورد بأسئلتك عن موضوع غير ذي أهمية على الإطلاق".

تدخَّل المستشار قائلًا: «لا بأس يا دكتور بيرين، لا مشكلة. ليس هناك الكثير مما يُقال بخصوص هذا الأمر. لقد حدث انصهار نووي في محطة الطاقة وكان أمرًا كارثيًّا. أعتقد أنه كان دمارًا إشعاعيًّا. حقًّا إن الحكومة تفكر بجدية في وضع قيود صارمة على الاستخدام العشوائي للطاقة النووية، ولكن هذا ليس أمرًا يخص العامة كما تعرف».

قال هاردين: «أنا أفهم، ولكن ماذا كان الخطأ في محطة الطاقة؟».

أجابه لورد دوروين بلا اكتراث: «حسنًا، من يعرف حقًّا. لقد تعطَّلت قبل هذا بسنوات، ويُقال إن الإصلاحات وقطع الغيار

كانـت سـيئة للغايـة. مـن الصعـب للغايـة في هـذه الأيـام أن تعثـو علـى وجـل يفهـم حقًّـا في التفاصيـل التقنيـة لأنظمـة الطاقـة الخاصـة بنـا». ثـم أخـذ حفنـة أُخـرى مـن التبـغ بـأسى.

قـال هارديـن: «هـل تُـدرك أن الممالـك المسـتقلة في أطـراف المجـرة قـد فقـدت الطاقـة النوويـة تمامًـا؟».

"حقًّـا؟ أنـا لسـت متفاجئًـا عـلى الإطـلاق، ولكـن يـا صديقـي العزيـز لا تصفهـا بأنهـا مسـتقلة، إنهـا ليسـت كذلـك كـما تعـوف. إن المواثيـق التـي أبومناهـا معهـم هـي أكبـو دليـل عـلى هـذا، إنهـم يعتوفـون بسـلطة الإمبواطـوو، إنهـم مجبـوون عـلى هـذا بالطبـع وإلا لم نكـن لنتعامـل معهـم".

"قـد يكـون هـذا صحيحًـا، ولكـن لديهـم قـدرًا معقـولًا مـن الحريـة في التـصرف".

"أجـل، أفتـوض هـذا، قـدوًا معقـولًا. ولكـن هـذا غيـو مهـم. إن الإمبواطوويــة أفضــل حــالًا مــن دون أن يقــع عــلى عاتقهــا الجــزء الخاوجـي مـن المجـوة، وهـذا هـو الوضـع نوعًـا مـا. إنهـم غيـو مفيدين بالنسـبة لنـا. كواكـب بوبويـة تمامًـا، بالـكاد بهـا أي حضـاوة".

"لقـد كانـوا متحضريـن في المـاضي. لقـد كانـت أناكريـون واحـدة مـن أغنـى الولايـات النائيـة. أعتقـد أنهـا كانـت تُقـارن بشـكل إيجـابي بـڤيجـا نفسـه».

"ولكـن لقـد كان هـذا منـذ قـوون مضـت يـا هاوديـن. لا يُمكنـك أن تبنـي أي افتـواض عـلى هـذا. الأمـوو كانـت مختلفـة في الأيـام العظيمـة السـابقة. نحـن لم نعـد الوجـال الذيـن كانـوا في المـاضي، كـما تعـوف. بحقـك يـا هاوديـن، أنـت وجـل عنيـد للغايـة، لقـد حـذَّوني دكتـوو بيويـن منـك، أخبـوني أنـك سـتحاول أن تُلـحَّ عـليَّ، ولكننـي أكثـو خبـوة

مـن هـذا، فلتتـوك الأمـو لليـوم التـالي".

وهكذا انتهى النقاش.

الفصل الخامس

لقد كان هذا هو اجتماع المجلس الثاني الذي يحضره هاردين، إذا استثنى المحادثات غير الرسمية التي أجراها أعضاء المجلس مع لورد دوروين قبل رحيله. مع ذلك كان لدى العمدة فكرة أكيدة عن عقد اجتماعٍ آخر ـ وربما اثنين أو ثلاثة ـ دون أن يتلقى أي دعوة بطريقة ما.

وبدا له أنه لم يكن ليتلقى أي تنبيه لهذا الاجتماع لولا الإنذار.

على الأقل لقد بدا كإنذار رُغم أن القراءة الظاهرية للوثيقة الفيزوغرافية قد تجعل المرء يظن أنه مجرد تبادل ودي للتحيات بين اثنين من الحكام.

مرر هاردين إصبعه على الوثيقة بحذر. لقد بدأت بشكلٍ مزخرف بتحية من «جلالة ملك أناكريون المعظم إلى صديقه وأخيه د. لويس بيرين رئيس مجلس أمناء قاعدة الموسوعة رقم واحد». وانتهت بشكلٍ أكثر زخرفة بختم ضخم من ألوان متعددة ورموز متداخلة.

ولكنه كان إنذارًا رُغم هذا.

قال هاردين: «اتضح أنه ليس لدينا الكثير من الوقت في نهاية الأمر؛ ثلاثة أشهر فقط. ولكن رُغم قلة الوقت إلا أننا أضعناه دون استغلاله. هذا الشيء يمنحنا أسبوعًا. ماذا سنفعل الآن؟».

عقد بيرين حاجبيه بقلق وقال: «لا شك أن هناك ثغرة، من غير المعقول أنهم قد يدفعون بالأمور إلى هذا الحد، رُغم تأكيد لورد دوروين لنا على موقف الإمبراطور والإمبراطورية».

قال هاردين بغضب: « فهمت. لقد أخبرت ملك أناكريون بهذا الموقف المزعوم، أليس كذلك؟».

"لقد فعلت، بعد أن طرحت الأمر على المجلس للتصويت وحصلت على موافقة بالإجماع".

"ومتى حدث هذا التصويت؟".

استعاد بيرين كرامته وقال: «لا أعتقد أنني أخضع لمساءلتك بأي شكل من الأشكال أيها العمدة هاردين».

"حسنًا، أنا لست مهتمًا كثيراً بالأمر. في رأيي أن رسالتك الدبلوماسية الموجهة بخصوص مساهمة لورد دوروين القيمة في الموقف..."، رفع ركن فمه في نصف ابتسامة مريرة، "...هي السبب المباشر وراء هذه الرسالة الودية القصيرة. ربما كانوا قد أجّلوا الأمر لوقتٍ أطول رُغم أنني لا أعتقد أن هذا الوقت الإضافي كان سيفيد تيرمينوس على أيِّ حال، بأخذ موقف المجلس في الاعتبار».

قال يات فولهام: «وكيف وصلت إلى هذا الاستنتاج الملحوظ يا سيادة العمدة؟».

"بطريقة بسيطة للغاية، الأمر يتطلب فقط استخدام التفكير المنطقي، الذي يتجاهله الناس كثيراً. هناك فرع في المعرفة البشرية يُعرف باسم المنطق الرمزي الذي يُمكن استخدامه لإزالة العوائق التي تعرقل اللغة البشرية".

قال فولهام: «ما علاقته بالأمر؟».

"لقد طبّقته ـ بجانب أشياء أُخرى عديدة ـ على هذه الوثيقة التي لدينا هنا، لم أحتج لفعل هذا بنفسي لأنني أعرف فحواها جيدًا، ولكني أعتقد أن باستطاعتي أن أشرحه بسهولة أكثر لخمسة من علماء الفيزياء باستخدام الرموز بدلًا من الكلمات».

أخـرج هارديـن بضـع أوراق مـن دفـتر أسـفل يـده وفردهـا أمامـه. ثـم قـال: «لم أفعـل هـذا بنفسي بالمناسـبة. لقـد وقّـع مولـر هولـك مـن قسـم المنطـق باسـمه عـلى كل هـذه التحليـلات كـما تـرون».

مـال بيريـن عـلى الطاولـة ليسـتطيع الرؤيـة بشـكلٍ أفضـل، بينـما أكمـل هارديـن: «إن رسـالة أناكريـون كان تحليلهـا سـهلًا وهـذا بديهـي لأن الرجـال الذيـن كتبوهـا هـم رجـال أفعـال لا أقـوال. يُمكـن تلخيصهـا ببسـاطة وبشـكلٍ مبـاشر في جملـة قاطعـة: وهـي الرمـوز التـي ترونهـا والتـي يُمكـن ترجمتهـا إلى كلـمات بشـكلٍ تقريبـي كالتـالي: فلتعطونـا مـا نُريـد في غضـون أسـبوع وإلا أخذنـاه بالقـوة».

خيَّـم الصمـت بينـما أعضـاء المجلـس الخمسـة يتفحَّصـون صـف الرمـوز، ثـم جلـس بيريـن وسـعل في توتـر.

قال هاردين: «لا يوجد أي ثغرات، أليس كذلك يا د. بيرين؟».

"يبدو أنك مُحق".

اسـتبدل هارديـن الأوراق وقـال: «حسـنًا أمامـك الآن نسـخة مـن المعاهـدة بـين الإمبراطوريـة وأناكريـون، المعاهـدة التـي صـادف أن وقَّـع عليهـا لـورد دورويـن نيابـة عـن الإمبراطـور، لـورد دورويـن ذاتـه الـذي كان عندنـا منـذ أسـبوع، ومعهـا هنـا التحليـل الرمـزي».

كانـت المعاهـدة مكتوبـة في خمـس أوراق بخـطٍ رفيـع، ولكـن التحليـل قـد خُـطَّ في أقـل مـن نصـف صفحـة.

"كـما تـرون أيهـا السـادة أن قرابـة تسـعين بالمئـة مـن المعاهـدة قـد اسـتبعدها التحليـل باعتبارهـا عديمـة المعنـى، ومـا تبقَّـى يُمكـن وصفـه بالطريقـة التاليـة المثـيرة للاهتـمام:

التزامات أناكريون تجاه الإمبراطورية: لا شيء!

سلطات الإمبراطورية على أناكريون: لا شيء!».

مُجدداً راح الخمسة يُراجعون التحليل المنطقي بقلق وهم يتحقَّقون من المعاهدة بحرص، وعندما انتهوا قال بيرين بقلق: «هذا يبدو صحيحًا».

"أنت تعترف إذن أن هذه المعاهدة هي لا شيء سوى إعلان الاستقلال التام من جانب أناكريون والاعتراف بهذه الحالة من جانب الإمبراطورية".

"يبدو الأمر هكذا".

"وهل تعتقد أن أناكريون لا تُدرك هذا، وأنها لا تتوق للتأكيد على استقلالها، لذا فإنها بطبيعة الحال ستميل لإبداء استيائها من أي مظهر للتهديد من جانب الإمبراطورية؟ وخصيصًا عندما يظهر بشكلٍ واضح أن الإمبراطورية عاجزة عن تنفيذ مثل هذا التهديد، وإلا فإنها لم تكن لتسمح بمثل هذا الاستقلال".

تدخَّل سوت قائلًا: «ولكن كيف يُمكن للعمدة هاردين أن يُفسر إذن تأكيدات لورد دوروين على دعم الإمبراطورية؟ لقد بدت...». ثم هز كتفيه وقال: «حسنًا، لقد بدت مرضية».

تراجع هاردين للوراء في كرسيه وقال: «أتعرف، هذا هو أكثر جزء مثير للاهتمام في الأمر برمته. سأعترف أني ظننت أن سيادة اللورد هو حمار من الطراز الأول عندما التقيته لأول مرة، ولكن اتضح أنه بالفعل دبلوماسي مُحنَّك ورجل بارع. لقد سمحت لنفسي بتسجيل كل أحاديثه».

حدث اهتياج وفتح بيرين فمه في رعب.

قال هاردين: «ما المشكلة؟ أنا أُدرك أن هذا ليس من أدب الضيافة وأنه شيء لن يفعله من يُسمَّون بالسادة المحترمين. وأيضًا أن سيادة اللورد لو أدرك بالأمر لكان من الممكن أن يحدث ما لا

يُحمَد عُقباه. ولكنه لم يُدرك، وأنا لديَّ التسجيلات، وما حدث قد حدث. لقد أخذت التسجيلات ونسختها وأرسلتها إلى هولك من أجل التحليل أيضًا».

قال لوندين كراست: «وأين هذا التحليل؟».

أجابه هاردين: «هذا هو الأمر المثير للاهتمام، لقد كان هذا هو التحليل الأصعب من بين الثلاثة من كل الوجوه. عندما نجح هولك ـ بعد يومين من العمل المتواصل ـ في حذف الجمل عديمة المعنى والثرثرة الفارغة والتحفظات عديمة الجدوى، باختصار كل الجمل اللزجة والمراوِغة، وجد أنه لم يتبقَّ شيء. لقد جرى استبعاد كل شيء.

أيها السادة إن لورد دوروين في خمسة أيام من المناقشة لم يقل شيئًا لعينًا واحدًا، وقال هذا بطريقة لم تلاحظوها قط. هذه هي الضمانات التي حصلتم عليها من إمبراطوريتكم العزيزة».

لو أن هاردين قد وضع على الطاولة قنبلة موقوتة توشك على الانفجار لما صنع بلبلة أكثر مما حدث بعد جملته الأخيرة. انتظر في نفاد صبر حتى هدأت، ثم أكمل حديثه قائلًا: «إذن، عندما أرسلت تهديدًا ـ وهذه هي حقيقته ـ بخصوص تصرف الإمبراطورية مع أناكريون فإنك لم تفعل شيئًا سوى استفزاز ملك يعرف حقيقة الأمور أفضل منك. إن كبرياءه بشكلٍ بديهي سيتطلب تصرفًا فوريًا، وهذا الإنذار هو النتيجة، مما يُعيدني إلى جُملتي الأصلية؛ لم يتبقَّ لدينا سوى أسبوع واحد، فماذا سنفعل الآن؟».

قال سوت: «يبدو لي أنه ليس لدينا خيار سوى السماح لأناكريون بتأسيس قواعد عسكرية على تيرمينوس».

أجابه هاردين: «أنا أتفق معك في هذا، ولكن ما الذي سنفعله

لـكي نطردهـم مُجـددًا عنـد أول فرصـة؟».

ارتعـش شـارب يـات فولهـام وقـال: «يبـدو لي أنـك قـد حسـمت أمـرك بأنـه يجـب اسـتخدام العنـف ضدهـم».

أجابـه قائـلًا: «العنـف هـو الملاذ الأخير للعاجـز، ولكنـي بالتأكيـد لا أنـوي أن أفـرش لهـم ورود الترحيـب، أو أن أهيـئ لهـم أفرشـتنا ليناموا عليها».

قـال فولهـام بـإصرار: «مـا زلـت لا أحـب الطريقـة التـي قلـت بهـا هـذا، إنـه سـلوك خطـير، وأكـثر خطـرًا لأننـا لاحظنـا مؤخـرًا أن جـزءًا كبـيرًا مـن الجماهـير يسـتجيب ـ عـلى مـا يبـدو ـ لـكل اقتراحاتـك إلى حـدٍ كبـير. يجـب أن أخـبرك أيضًـا أيهـا العمـدة هارديـن أن المجلـس غـير غافـل عـن أنشـطتك الأخـيرة».

صمـت قليـلًا فـكان هنـاك موافقـة عامـة. هـز هارديـن كتفيـه في لا مبـالاة.

أكمـل فولهـام قائـلًا: «إذا حاولـت أن تؤجـج أعـمال العنـف في المدينة فلـن تُحقـق شـيئًا سـوى انتحـار جماعـي، ونحـن لا ننـوي السـماح بذلـك. إن سياسـتنا لهـا مبـدأ جوهـري واحـد، وهـو الموسـوعة، مهـما كان مـا نقـرر فعلـه أو عـدم فعلـه، فإننـا نقـرره لأنـه سيكون الإجـراء المطلـوب لإبقـاء الموسـوعة آمنـة".

قـال هارديـن: «إذن فأنتـم قـد خلصتـم إلى أننـا يجـب أن نُكمـل سياسـتنا المشـددة في عـدم فعـل شيء».

قـال بيريـن بمـرارة: «لقـد بينـت بنفسـك أن الإمبراطوريـة لا تسـتطيع مُسـاعدتنا، رُغـم أني لا أفهـم كيـف يُمكـن أن يكـون هـذا، أو لمـاذا. إن كان التنـازل ضروريًـا...».

أحـس هارديـن بالإحسـاس الكابـوسي لمـن يركـض بأقـصى سرعـة دون

أن يصل إلى أي مكان. "ليس هناك أي تنازلات! ألا تدركون أن هذا الهراء عن القواعد العسكرية هو مجرد محاولة رديئة لتشتيت انتباهنا؟ لقد أخبرنا هاوت رودريك بما تسعى إليه أناكريون حقًا؛ الاحتلال الكامل وأن تفرض علينا نظامها الإقطاعي وسياستها الاقتصادية المعتمدة على وجود طبقتين: أرستقراطيين وفلاحين. ما تبقَّى من خدعتنا عن الطاقة النووية قد يُجبرهم على التحرك ببطء، ولكنهم سيتحركون رُغم هذا».

اعتدل واقفًا في سخط، فوقف البقية معه عدا من جورد فارا، الذي تحدث قائلًا: «فلتجلسوا جميعًا من فضلكم. أعتقد أننا قد تمادينا كثيرًا بالفعل. بحقكم لا داعي لأن يبدو أحد منا غاضبًا هكذا. لا يوجد أحد منا قد ارتكب خيانة أيها العمدة هاردين».

"سيكون عليك إقناعي بهذا!".

ابتسم فارا بلطف وقال: «أنت تعرف أنك لا تقصد هذا. دعني أتحدث!».

كانت عيناه الفطنتان نصف مغلقتين، والعرق يلمع على ذقنه الحليق. «يبدو أنه لا داعي لإخفاء أن المجلس قد وصل لقرار بأن الحل الحقيقي لمشكلة أناكريون يكمن فيما سينكشف لنا عند فتح الخزانة بعد ستة أيام من الآن».

"هل هذه هي مساهمتكم في المسألة؟".

"أجل".

"ألّا نفعل شيئًا، أليس هذا صحيحًا، عدا الانتظار في هدوء تام وإيمان مُطلق في المعجزة الإلهية التي ستخرج من الخزانة؟».

"هذه هي الفكرة، بغض النظر عن تعليقاتك الساخرة".

"مجرد هروب أحمق من الواقع! إن هذا نوع عبقري حقًّا من

الحماقة يا د. فارا، لن يقدر عقل ضئيل على التفكير في هذا".

ابتسم فارا بتسامح وقال: «إن ذوقك في السخرية مثير للاهتمام يا هاردين، ولكنه في غير محله. في الواقع أعتقد أنك تتذكر حجتي بخصوص الخزانة منذ قرابة ثلاثة أسابيع».

"أجل أنا أتذكرها، لا أُنكر أنها لم تكن سوى فكرة غبية من منظور التحليل المنطقي وحده. لقد قلت ـ نبِّهني إذا أخطأت ـ إن هاري سيلدون كان أعظم علماء التاريخ النفسي في المجرة، ولذلك فقد كان باستطاعته أن يتنبَّأ بهذا الموقف الحرج والشائك الذي نحن فيه الآن، ولذلك فإنه قد وضع هذه الخزانة كوسيلة لإخبارنا بمخرج من هذا الموقف».

"لقد فهمت لب الفكرة".

"هل ستتفاجؤون عندما تعرفون أنني قد فكَّرت في هذه المسألة بشكلٍ جدي في الأسابيع الماضية؟".

"هذا إطراء كبير. ما هي النتيجة؟".

"النتيجة التي وصل إليها التحليل تفتقر إلى الكثير. كل ما نحتاجه مرةً أخرى هو القليل من التفكير المنطقي».

"على سبيل المثال؟".

"على سبيل المثال؛ إن كان قد تنبَّأ بمشكلة أناكريون فلمَ لم يضعنا على كوكب آخر بالقرب من مركز المجرة؟ من المعروف أن سيلدون قد تلاعب بأعضاء اللجنة على ترانتور لكي يأمروا بتأسيس القاعدة على تيرمينوس، ولكن لماذا فعل ذلك؟ لمَ وضعنا هنا من البداية إن كان يستطيع أن يتنبأ مسبقًا بانقطاع الاتصالات وعزلتنا عن المجرة وتهديد جيراننا وعجزنا بسبب نقص المعادن على تيرمينوس؟ وفوق كل هذا! إن كان باستطاعته أن يتنبَّأ بكل

هـذا فلـم لم يُحـذر المسـتوطنين الأوائـل مُسـبقًا لـكي يكـون لديهـم وقـت للاسـتعداد، بـدلًا مـن الانتظـار ـ كـما فعـل ـ حتـى نتـورط بالفعـل قبـل أن يحذرنـا؟

ولا تنسـوا هـذا، رُغـم أنـه كان باسـتطاعته حينهـا أن يتنبَـأ بالمشـكلة إلا أننـا نراهـا بأعيننـا الآن، ولـذا إن كان باسـتطاعته أن يتنبَـأ بالحـل حينهـا، فيجـب علينـا نحـن أن نكـون قادريـن عـلى رؤيتـه الآن. فسـيلدون لم يكـن سـاحرًا في نهايـة الأمـر. لا يوجـد أي خـدع سـحرية للهـرب مـن المـأزق قـد اسـتطاع هـو رؤيتهـا بينـما لا نسـتطيع نحـن هـذا".

قال فارا: «ولكن يا هاردين نحن لا نستطيع».

"ولكنكـم لم تحاولـوا، لم تحاولـوا ولـو مـرة واحـدة. في البدايـة رفضتـم الاعـتراف بـأن هنـاك أي خطـر عـلى الإطـلاق! ثـم وضعتـم إيمانكـم المطلـق والأعمـى في الإمبراطـور! والآن نقلتـم هـذا الإيمـان إلى هـاري سـيلدون. إنكـم تعتمـدون طيلـة الوقـت بشـكلٍ كامـل عـلى السـلطة أو المـاضي، لم تحاولـوا أبـدًا أن تعتمـدوا عـلى أنفسـكم».

ثـم ضـم قبضتيـه في حركـة عصبيـة وقـال: «إن هـذا تفكـير مريـض؛ مجـرد رد فعـل لا إرادي يُنحِّـي جانبًـا اسـتقلال عقولكـم كلـما تعلـق الأمـر بمعارضـة السـلطة. يبـدو أنـه لا يوجـد أدنى شـك في عقولكـم أن الإمبراطـور أكـثر قـوة منكـم أو أن هـاري سـيلدون أكـثر حكمـة منكـم، وهـذه هـي المشـكلة، ألا تفهمـون؟".

لسبب ما لم يُبالِ أحد بإجابته.

أكمـل هارديـن: «المشـكلة ليسـت فيكـم فقط، بـل في المجـرة بأسرها، لقـد سـمع بيريـن فكـرة لـورد دورويـن عـن البحـث العلمـي، إن لـورد دورويـن يعتقـد أن أفضـل طريقـة ليصـير عالمًـا أثريًـا هـي أن يقـرأ كل

الكتب التي كتبها رجال قد ماتوا منذ قرون عن الموضوع، إنه يعتقد أن أفضل طريقة لحل ألغاز الآثار القديمة هي المقارنة بين السلطات المتعارضة، وقد سمع بيرين هذا ولم يُبدِ أي اعتراض. ألا ترون أن هناك شيئًا خاطئًا في هذا؟».

مرَّة أُخرى كانت نبرته أقرب للتوسل، ومرة أُخرى لم يُجبه أحد.

أكمل قائلًا: «أنتم ونصف سكان تيرمينوس لا تقلون عنه سوءً. نحن نجلس هنا معتبرين أن الموسوعة هي كل شيء، نحن نعتبر أن غاية العلم هي تصنيف معلومات الماضي. هذا الأمر هام، ولكن ألا يوجد المزيد من العمل لفعله؟ نحن نتدهور وننسى، ألا ترون؟ لقد فقدوا الطاقة النووية هنا في أطراف المجرة. في جاما أندروميدا حدث انصهار نووي في محطة طاقة بسبب فقر الإصلاحات، مستشار الإمبراطور يشتكي ندرة عمال الإصلاح النوويين. والحل؟ تدريب عمال جدد؟ أبدًا! إنهم بدلًا من هذا يفرضون قيودًا على الطاقة النووية».

وللمرة الثالثة قال: «ألا ترون؟ إن الأمر في المجرة بأسرها، إنها عبادة الماضي، إنه تدهور وركود!».

حدَّق إليهم واحدًا تلو الآخر بينما أنظارهم متعلقة به.

كان فارا هو أول من استعاد رباطة جأشه: «حسنًا، إن الفلسفة الباطنية لن تساعدنا هنا، فلنكن عمليين؛ هل تنكر أن هاري سيلدون كان باستطاعته بسهولة أن يتنبَّأ بالمسارات التاريخية للمستقبل بتقنيات التاريخ النفسي البسيطة؟».

صاح هاردين: «لا، بالطبع لا. ولكن لا نستطيع أن نعتمد عليه من أجل الحل، إنه في أفضل الأحوال قد يُحدد المشكلة، ولكن إن كان هناك حل فيجب أن نفكر فيه بأنفسنا، إنه لا يستطيع أن

يفعل هذا من أجلنا".

تحدث فولهام فجأة: «ما الذي تعنيه بتحديد المشكلة؟ نحن نعرف المشكلة».

التفت إليه هاردين في غضب وقال: «تظن أنك تعرف؟ هل تظن أن أناكريون ستكون هي كل ما أحس هاري سيلدون بالقلق حياله؟ أنا أختلف معك! سأخبركم أيها السادة أنه حتى الآن ليس لدى أي واحد منكم أدنى فكرة عمّا يحدث حقًّا».

سأله بيرين بعدائية: «وأنت لديك؟».

اعتدل هاردين واقفًا وهو يدفع كرسيه بعيدًا: «أعتقد هذا! إن كان هناك شيء واحد أكيد فهو أن هناك شيئًا كريهًا حيال الموقف بأكمله، شيئًا أكبر من كل شيء قد تحدّثتم عنه حتى الآن. فقط اسألوا أنفسكم هذا السؤال؛ لمَ لم يكن بين سكان القاعدة الأصليين أي عالم نفس من الدرجة الأولى عدا بور ألورين؟ ولمَ امتنع بحذر عن تدريب تلاميذه على أي شيء أكثر من الأساسيات؟».

خيّم صمت قصير ثم قال فارا: «حسنًا، لماذا؟».

"ربما لأن عالمًا نفسيًّا كان ليُدرك ما الذي يحدث حقًّا، وبسرعة قد لا تناسب هاري سيلدون. في وضعنا الحالي نحن نتخبط ولا نحصل سوى على لمحات ضبابية من الحقيقة لا أكثر، وهذا هو ما أراده هاري سيلدون».

ثم ضحك بقسوة وقال: «طاب يومكم أيها السادة». واندفع خارجًا من الغُرفة.

الفصل السادس

كان العمدة هاردين يلوك طرف سيجاره، لقد انطفأ منذ وقتٍ طويل ولكن هاردين لم يلاحظ هذا. لم ينم في الليلة السابقة، وكان لديه إحساس قوي أنه لن ينام في هذه الليلة التالية، لقد أظهرت عيناه هذا.

قال بتعب: «هل يُغطِّي هذا كل شيء؟».

وضع يوهان لي يده على ذقنه وقال: «أعتقد هذا، كيف يبدو الأمر؟».

"ليس سيئًا، يجب أن يتم الأمر بحزم كما تعرف، وهذا يعني أنه يجب ألا يكون هناك أي تردد؛ يجب ألا نمنحهم أي وقت لفهم الموقف. ما إن نصير في موقع إصدار الأوامر فيجب أن نصدرها كأننا قد وُلدنا لفعل هذا، سوف يطيعوننا بحكم العادة. هذا هو جوهر الانقلاب».

"إن بقي المجلس مترددًا لأكثر من...".

"المجلس؟ فلتنسَ أمرهم. بعد الغد لن تساوي أهميتهم كعامل مؤثر في شؤون تيرمينوس أكثر من عملة صدئة».

أومأ لي برأسه في بطء ثم قال: «ولكن من الغريب أنهم لم يفعلوا شيئًا لإيقافنا حتى الآن. لقد قلت إنهم لم يكونوا غافلين عن الأمر تمامًا».

"لقد استطاع فارا أن يتحسس أطراف المشكلة، إنه يجعلني متوترًا أحيانًا. وبيرين يشعر بالشك تجاهي منذ انتخابي، ولكن لم يكن لديهم قط القدرة على فهم حقيقة ما يحدث، إنهم يعتمدون

بشكلٍ كامل على السلطة، لقد كانوا واثقين أن الإمبراطور ـ لمجرد أنه الإمبراطور ـ كلي القدرة. وهم واثقون أن مجلس الأمناء ـ ببساطة لأن مجلس الأمناء يتصرف باسم الإمبراطور ـ لا يُمكن أن يكون في موضع لا يسمح له بإعطاء الأوامر. إن عدم قدرتهم على تصور احتمالية التمرد هي أفضل حليف لنا».

ثم اعتدل واقفًا من كرسيه وتوجه ناحية مبرد المياه قبل أن يقول: «إنهم ليسوا أشخاصًا سيئين يا لي، عندما يهتمون فقط بموسوعتهم، وسوف نحرص في المستقبل على أن يكون هذا فقط هو ما يهتمون به. إنهم عاجزون وغير مؤهلين عندما يتعلّق الأمر بحكم تيرمينوس. اذهب الآن لتبدأ في تنفيذ الأمر، أُريد أن أبقى وحدي".

جلس على طرف مكتبه وحدَّق إلى كوب الماء.

بحق الفضاء! ليته كان واثقًا من الأمر كما يحاول أن يتظاهر! سوف تهبط سفن أناكريون في غضون يومين، وليس لديه ما يعتمد عليه سوى بعض التصورات ونصف التخمينات عما كان هاري سيلدون يحاول أن يرمي إليه في الخمسين سنة الماضية. إنه لم يكن حتى عالمًا نفسيًّا حقيقيًّا، بل مجرد شخص متخبط بقليل من التدريب، يُحاول أن يتغلَّب على أعظم العقول في عصره.

إن كان فارا مُحقًّا؛ إن كانت أناكريون هي كل المشكلة التي تنبَّأ بها هاري سيلدون، إن كانت الموسوعة هي كل ما يسعى للحفاظ عليه، فما ثمن الانقلاب العسكري إذن؟

هز كتفيه وشرب الماء.



الفصل السابع

كانـت الخزانـة مُهيّأة بأكـثر مـن سـتة كـراسي، كأنـه كان مـن المتوقـع حضـور عـدد كبـير. لاحـظ هارديـن ذلـك باهتـمام وهـو يجلـس بتعـب في رُكـن بعيـد قـدر الإمـكان عـن الخمسـة الآخريـن.

لم يبـدُ عـلى أعضـاء المجلـس أنهـم يمانعـون هـذا، كانـوا يتحدثـون فيـما بينهـم بهمسـات تحولـت إلى أزيـز رتيـب قبـل أن تختفـي تمامًـا. جـورد فـارا وحـده ـ مـن بينهـم جميعًـا ـ بـدا هادئـا بشـكلٍ معقـول. كان قـد أخـرج سـاعة مـن جيبـه وراح يُحـدق إليهـا مترقّبًـا.

نظـر هارديـن إلى سـاعته ثـم إلى المقصـورة الزجاجيـة الفارغـة تمامًـا، التـي تحتـل نصـف الغرفـة، كانـت هـي الـشيء الغريـب الوحيـد في الحجـرة، وعـدا مـن ذلـك لم يكـن هنـاك أي إشـارة عـلى أن هنـاك حاسـوبًا في مـكانٍ مـا يحسـب الثـواني نحـو اللحظـة الحاسـمة التـي سـتتدفق فيهـا شـحنات الميـوون الكهربائيـة ويحـدث الاتصـال و...

خفتت الأضواء!

لم تنطفـئ، ولكنهـا شـحبت فجـأة، حتـى أن هارديـن قفـز مـن موضعـه. رفـع عينيـه إلى أضـواء السـقف بدهشـة، وعندمـا أعادهـما لأسـفل مُجـددًا وجـد أن المقصـورة الزجاجيـة لم تعـد فارغـة.

كان هناك شخص يشغلها، شخص يجلس على كرسي متحرك!

لم يقـل شـيئًا لبضـع لحظـات، ولكنـه أغلـق الكتـاب الموضـوع عـلى حجـره وراح ينقـر عليـه بـشرود، ثـم ابتسـم وبـدا وجهـه مليئًـا بالحياة.

قال: «أنا هاري سيلدون». كان الصوت عجوزًا وهادئًا.

كاد هارديـن أن يقـف للترحيـب بـه، ولكنـه منـع نفسـه في اللحظـة

الأخيرة.

أكمل الصوت حديثه: «أنا حبيس هذا الكرسي ـ كما ترون ـ ولا أقدر على الوقوف لتحيتكم. لقد غادر أجدادكم إلى تيرمينوس منذ بضعة شهور في زمني، وبعدها أُصبت بشلل في وقت غير مناسب. أنا لا أستطيع أن أراكم كما تعرفون، لذا لا أستطيع تخيلكم بالشكل المناسب. لا أعرف حتى كم عدد الموجودين منكم، لذا يجب أن يتم كل هذا بشكلٍ غير رسمي. إن كنتم واقفين فمن فضلكم اجلسوا، وإن أردتم أن تدخنوا فلن أُمانع»، ثم ضحك ضحكة قصيرة وقال: «ولِمَ قد أُمانع؟ أنا لست هنا حقًّا».

مد هاردين يده إلى سيجارٍ بشكلٍ شبه تلقائي، ولكنه فكر أنه من الأفضل ألا يفعل.

وضع هاري سيلدون كتابه جانبًا ـ كأنما يضعه على مكتب بجواره ـ فاختفى عندما تركته أصابعه.

قال: «لقد مرَّت خمسون سنة منذ تأسيس القاعدة، خمسون سنة كان فيها أعضاء القاعدة جاهلين بما يعملون عليه حقًّا، لقد كان من الضروري أن يكونوا جاهلين، ولكن الآن قد انتفت الضرورة.

إن قاعدة الموسوعة من الأساس كانت خدعة، ولطالما كانت هكذا!».

كان هناك صوت جلبة وراء هاردين وصيحة تعجب مكتومة أو اثنتين، ولكنه لم ينظر وراءه.

لم يتأثر هاري سيلدون بأي من هذا بالطبع، فأكمل قائلًا: «إنها خدعة من حيث أنني وزملائي لم نُبالِ إن كان سيصدر حتى مجلد واحد من الموسوعة، لقد أدَّت دورها بما أننا من خلالها استطعنا

انتزاع ميثاق إمبراطوري من الإمبراطور، ومن خلالها استطعنا أن نجذب مئة ألف شخص تحتاجهم خطتنا، ومن خلالها استطعنا أن نُبقيهم مشغولين بينما الأحداث تُشكل نفسها، حتى فات أوان أن يتراجع أي شخص منهم.

خلال الخمسين سنة التي عملتم فيها على هذا المشروع المُخادِع ـ لا داعي لتجميل الكلام ـ قد قُطِع عليكم طريق الانسحاب، وليس لديكم الآن خيار سوى المضي قدمًا في مشروع أكثر أهمية بكثير، هذا المشروع كان ولا يزال خطتنا الحقيقية.

لهذا الغرض وضعناكم على مثل هذا الكوكب، وفي مثل هذا الوقت، حتى يتم الدفع بكم خلال الخمسين سنة إلى نقطة لا يعود لديكم فيها حرية الاختيار. من الآن فصاعدًا ولمدة قرون سيكون المسار الذي ستأخذونه حتميًّا. سوف تواجهون سلسلة من الأزمات، وأنتم الآن تواجهون الأزمة الأولى. في كل أزمة ستكون حريتكم في التصرف مُقيدة بشكلٍ مُشابه، حتى أنكم ستجبرون على مسار واحد، واحد فقط.

إنه المسار الذي قد رسمه علمنا النفسي، ولسبب وجيه.

طيلة القرون السابقة كانت الحضارة المجرية تعاني من الركود والانحدار، رُغم أن القليل قد لاحظوا هذا. ولكن الآن وأخيرًا فإن الأطراف الخارجية للمجرة تستقل بذاتها، والوحدة السياسية للإمبراطورية تتحطم. في مكان ما في الخمسين السنة التي قد مضت سوف يضع علماء التاريخ في المستقبل خطًّا افتراضيًّا ويقولون إن هذا يُحدد سقوط الإمبراطورية المجرية.

وسوف يكونون محقين، رُغم أنه لن يُلاحظ أحد هذا السقوط ـ إلا نادرًا ـ لعدة قرون أُخرى.

بعد السقوط سوف تأتي فترة بربرية حتمية، هذه الفترة التي أخبرنا عنها علم التاريخ النفسي، كانت لتستمر ـ في الظروف العادية ـ لثلاثين ألف سنة، لا يُمكننا منع السقوط، نحن لا نرغب في هذا، فالثقافة الإمبراطورية قد فقدت كل قيمة وأهمية كانت تمتلكها يومًا. ولكننا نستطيع اختصار فترة البربرية ـ التي يجب أن تلي ذلك ـ إلى ألف سنة فقط.

لا يُمكننا أن نُخبركم عن تفاصيل هذا الاختصار، كما لم نستطع أن نُخبركم بحقيقة القاعدة منذ خمسين سنة. إن اكتشفتم هذه التفاصيل فإن خطتنا قد تفشل، كما كانت لتفشل إن اكتشفتم خدعة الموسوعة باكرًا، فحينها بمعرفة هذا ستتوسع حريتكم في التصرف، وعدد المعطيات المتغيرة المضافة ستكون أكبر مما يستطيع علمنا النفسي التعامل معها.

ولكنكم لن تعرفوا، فلا يوجد أي عالم نفسي على تيرمينوس، ولم يكن هناك أحد سوى ألورين، الذي كان واحدًا منا.

ولكن ما أستطيع أن أُخبركم به هو أن تيرمينوس والقاعدة الشريكة له عند الطرف الآخر من المجرة، هما بذرتا النهضة والمؤسِّستان المستقبليتان للإمبراطورية المجرية الثانية، وهذه الأزمة الحالية هي التي ستجعل تيرمينوس ينطلق نحو هذه الذروة.

هذه بالمناسبة هي أزمة مُباشرة إلى حد كبير، أكثر بساطة من الأزمات التي تنتظركم. لاختصارها في نقاطٍ أساسية فهي كالتالي؛ أنتم كوكب قد انقطع فجأة عن قلب المجرة الذي لا يزال متحضرًا، وتتعرضون للتهديد من جيرانكم الأكثر قوة. أنتم كوكب صغير من العلماء مُحاط بمساحة شاسعة وآخذة في التوسع من البربرية. أنتم جزيرة من الطاقة النووية في قلب مُحيط مُتزايد من الطاقة

الأكثر بدائية، ولكنكم عاجزون رُغم هذا بسبب نقص المعادن، إن ما يواجهكم كما ترون هو حاجة ماسة، وهناك تصرف أنتم مرغمون عليه، إن طبيعة هذا التصرف ـ الذي هو حل لمأزقكم ـ واضحة بالطبع!».

مدَّت صورة هاري سيلدون يدها في الهواء فظهر الكتاب مُجددًا، ثم قال: «ولكن أيًّا كان المسار الملتوي الذي سيأخذه مستقبلكم فلتخبروا أحفادكم دومًا أن هذا الطريق مرسوم، وأن في نهايته إمبراطورية جديدة أعظم!».

وبينما عيناه تنظران إلى الكتاب تلاشت صورته وسطعت الأضواء مرة أُخرى.

نظر هاردين ليجد بيرين يتطلع إليه بعينين حزينتين وشفتين مرتجفتين. كان صوت الرئيس حازمًا ولكنه خالٍ من المشاعر: «يبدو أنك مُحق، إذا التقيت بنا اليوم في الساعة السادسة فإن المجلس سيتشاور معك حيال الخطوة المقبلة».

ثم صافحوه واحدًا تلو الآخر قبل أن يغادروا، بينما هاردين يبتسم في قرارة نفسه. لقد كانوا عاقلين تمامًا في هذا، فهم كعلماء حقيقيين قد اعترفوا أنهم كانوا مخطئين. ولكن بالنسبة لهم لقد فات الأوان.

نظر إلى ساعته، بحلول هذا الوقت سيكون كل شيء قد انتهى. لقد تولى رجال لي السيطرة، ولم يعد المجلس يُصدر أي أوامر.

ستهبط أول سُفن أناكريون في الغد، ولكن هذه لم تكن مُشكلة أيضًا، في غضون ستة أشهر لن يعود بإمكانهم إصدار أي أوامر.

في الواقع، كما قال هاري سيلدون، وكما خمَّن سالفور هاردين منذ اليوم الذي كشف فيه أنسِلم هاوت رودريك له حقيقة

افتقـار أناكريـون للطاقـة النوويـة، فـإن حـل هـذه الأزمـة الأولى كان واضحًـا.

واضحًا تمامًا!

الجزء الثالث

العُمَد

الممالـك الأربعـة: لقـد أُطلـق هـذا الاسـم عـلى تلـك الأجـزاء مـن إقليـم أناكريـون التـي انفصلـت عـن الإمبراطوريـة الأولى في السـنوات الأولى مـن حقبـة القاعـدة، لتُشـكّل ممالـك مسـتقلة قصـيرة العمـر. أكـبر هـذه الممالك وأكثرهـا قـوة كانـت أناكريـون نفسـها، التـي كانـت في منطقـة...

... لا شـك أن أكـثر جانـب مثـير للاهتـمام في تاريـخ الممالـك الأربعـة يتعلـق بالمجتمـع الغريـب الـذي فُـرِض عليهـا أثنـاء حُكـم سـالڤور هارديـن...

الموسوعة المجرية

الفصل الأول

وَفْدٌ منتدب!

رُغم توقُّع هاردين حدوث هذا إلا أن هذا لم يُخفف من ضيقه، بل على النقيض، لقد وجد أن الانتظار مزعج بشدة.

اقترح يوهان لي اتخاذ التدابير القصوى وهو يقول: "لا أعتقد يا هاردين أن علينا إضاعة أي وقت، إنهم لا يستطيعون فعل شيء بشكلٍ قانوني حتى الانتخابات التالية، وهذا يمنحنا عامًا، لا تُنصت إليهم».

ضمَّ هاردين شفتيه ثم قال: «أنت لن تتعلم أبدًا يا لي، طيلة الأربعين عامًا التي عرفتك فيها لم تتعلم مرة واحدة فن التسلل الناعم من الخلف".

قال لي متذمرًا: «إنها ليست طريقتي في القتال».

"أجل، أعرف هذا. أعتقد أن هذا هو السبب الذي يجعلني أثق فيك". ثم صمت وتناول سيجارًا قبل أن يُكمل: «لقد قطعنا شوطًا طويلًا يا لي منذ أن دبرنا انقلابنا ضد الموسوعيين في الماضي. أنا صرتُ عجوزًا، اثنين وستين عامًا. هل فكَّرت من قبل كيف مرَّت هذه السنوات الثلاثون بسرعة؟».

قال لي متهكمًا: «أنا لا أشعر أنني عجوز رُغم أنني في السادسة والستين».

قال هاردين: «ولكني لا أملك قُدرتك على تجاوز الأمور». ثم راح يدخن سيجاره بتكاسل. لقد توقَّف منذ زمن بعيد عن الاشتياق للتبغ النباتي الخفيف الذي كان يدخنه في شبابه. لقد

طـوى النسـيان تلـك الأيـام التـي كان تمـوج بالحركـة تجاريـة بـين كوكـب تيرمينـوس وكل أجـزاء المجـرة، كـما طـوى كل الأيـام الخـوالي، لقـد غابـت في الهاويـة التـي تتجـه ناحيتهـا الإمبراطوريـة المجريـة. تسـاءل مَـن يكـون الإمبراطـور الجديـد، أو إن كان هنـاك أي إمبراطـور جديـد عـلى الإطـلاق، أو أي إمبراطوريـة. بحـق الفضـاء! لقـد مضـت ثلاثـون عامًـا منـذ انقطـاع الاتصـالات هنـا في حافـة المجـرة. إن الكـون بـأسره بالنسـبة لتيرمينـوس صـار متكونًـا مـن الكوكـب نفسـه والممالـك الأربعـة المحيطـة بـه.

كيـف هـوت الإمبراطوريـة العظيمـة إلى هـذا الحـد! ممالـك! لقـد كانـت ولايـات في المـاضي، كلهـا أجـزاء مـن نفـس الإقليـم، الـذي كان بـدوره جـزءً مـن قطـاع، الـذي كان بـدوره جـزءً مـن ربـع دائـرة، الـذي كان بـدوره جـزءً مـن الإمبراطوريـة المجريـة الشـاملة. والآن فقـدت الإمبراطوريـة سـيطرتها عـلى حـدود المجـرة البعيـدة، مجموعـات الكواكـب الصغـيرة المنشـقة قـد صـارت ممالـك، كمسرحيـة هزليـة مـن ملـوك ونبـلاء وحـروب سـخيفة بـلا معنـى، وحيـاة تسـتمر بشـكلٍ بائـس بـين الأطـلال.

الحضـارة تسـقط والطاقـة النوويـة تُنـسى والعلـم يتـلاشى ويتحـول إلى خرافـات، حتـى تدخَّلـت القاعـدة. القاعـدة التـي أسسـها هـاري سـيلدون لهـذا الغـرض هنـا عـلى تيرمينـوس.

كان لي واقفًـا عنـد النافـذة، ثـم أوقـظ صوتُـه هارديـن مـن شروده حـين قـال: "لقـد أتى الجـراء الصغـار في عربـة أرضيـة مـن طـراز قديـم". ثـم قطـع بضـع خطـوات مـترددة ناحيـة البـاب قبـل أن ينظـر إلى هارديـن.

ابتسـم هارديـن وهـو يشـير لـه بيـده كي يعـود، ثـم قـال: «لقـد

أصـدرت أوامـر بإحضارهـم إلى هنـا».

"هنا! لماذا؟ أنت تُضفي عليهم أهمية كبيرة".

"لِـمَ يجـب علينـا تحمـل كل مراسـم مُقابلـة العمـدة الرسـمية؟ لقـد صرت عجـوزًا عـلى الإجـراءات الروتينيـة، كـما أن الإطـراء مفيـد عنـد التعامـل مـع الشـباب، خصيصًـا عندمـا لا يُلزمـك ذلـك بفعـل شيء»، ثـم غمـز وقـال: «اجلـس يـا لي وأعطنـي الدعـم المعنـوي، سـوف أحتاجـه مـع هـذا الشـاب، سـيرماك».

قـال لي بجديـة: «إن هـذا المدعـو سـيرماك شـخص خطـير، إن لديـه أتباعًـا يـا هارديـن، لـذا لا تسـتهن بـه».

"هل استهنت بأي شخص من قبل؟".

"حسـنًا، فلتلـقِ القبـض عليـه إذن، يُمكننـا أن نُلصـق بـه لاحقًـا تهمـة أو أُخـرى".

تجاهـل هارديـن النصيحـة الأخـيرة وقـال: «لقـد وصلـوا يـا لي»، ثـم ضغـط عـلى دواسـة أسـفل مكتبـه ـ اسـتجابة للتنبيـه ـ فانزلـق البـاب جانبًـا.

دلفـوا إلى الداخـل، الأربعـة الذيـن يشـكلُّون الوفـد المنتـدب. فأشـار لهـم هارديـن بلطـف إلى الكـراسي الموضوعـة أمـام مكتبـه في شـبه دائـرة. انحنـوا في تحيـة وانتظـروا كي يتحـدث العمـدة أولًا.

فتـح هارديـن الغطـاء الفـضي المزخـرف بشـكلٍ غريـب لعلبة السـيجار التـي كان يمتلكهـا يومًـا جـورد فـارا عضـو مجلـس الأمنـاء القديـم في أيـام الموسـوعيين الغابـرة. لقـد كانـت منتجًـا إمبراطوريًـا أصليًـا، مـن سـانتاني، رُغـم أن السـجائر الموضوعـة بداخلهـا مُصنعَّـة محليًـا. واحـدًا تلـو الآخـر وبرصانـة شـديدة قَبِـلَ أعضـاء الوفـد الأربعـة السـجائرَ وأشـعلوها بشـكل طقـوسي.

كان سيف سيرماك هو الرجل الثاني من اليمين وأصغر أعضاء المجموعة الشابة، والأكثر إثارة للاهتمام، بشاربه الأصفر الشائك المشذب بعناية وعينيه الغائرتين ذاتا اللون المبهم. تجاهل هاردين الثلاثة الآخرين على الفور، لقد كان من الواضح أنهم أقل أهمية. صبَّ اهتمامه على سيرماك، الذي استطاع في فترته الأولى بمجلس المدينة أن يقلب هذا الكيان الوقور رأسًا على عقب أكثر من مرة. قال مُخاطبًا سيرماك: "لقد كنت أتوق بشكلٍ كبير لرؤيتك أيها النائب، منذ خُطبتك الممتازة في الشهر الماضي. إن انتقادك للسياسة الخارجية للحكومة كان بارعًا للغاية».

اتقدت عينا سيرماك وقال: «إن اهتمامك يشرفني. لقد كان الانتقاد مُبرَّرًا بغض النظر عن كونه بارعًا من عدمه".

"ربما، هذه هي وجهة نظرك أنت بالطبع، ومع هذا فأنت ما زلت صغير السن نوعًا ما».

قال سيرماك بجمود: «إنه عيب يُدان به الناس في فترة ما من حياتهم. لقد صرت أنت عُمدة المدينة عندما كنتَ أصغر من عُمري بعامين».

ابتسم هاردين في قرارة نفسه، لقد كان الشاب اليافع بارد الأعصاب، ثم قال: «أنا أفهم أنك قد أتيت لرؤيتي بخصوص نفس السياسة الخارجية التي تُزعجك كثيرًا في قاعة المجلس. هل تتحدث بالنيابة عن زملائك الثلاثة أم يجب أن أستمع لكل واحد منكم على حدة".

تبادل الشباب الأربعة النظرات وإيماءات خفيفة بالأعين.

قال سيرماك متجهمًا: «أنا أتحدث بالنيابة عن شعب تيرمينوس، الشعب الذي لا يجد من يمثله حقًّا في هذا المجلس الذي يُصدِّق

على كل شيء بدون تفكير".

"فهمت، تحدَّث إذن".

"الأمر كالتالي يا سيادة العمدة؛ نحن غير راضين...".

"عندما تقول نحن فأنت تقصد الشعب، أليس كذلك؟».

حدَّق سيرماك إليه بعدائية وقد أحسَّ بوجود فخ، ثم أجاب ببرود: «أعتقد أن آرائي تعكس آراء غالبية الناخبين في تيرمينوس، هل يناسبك هذا؟».

"حسنًا، إن ادعاءً كهذا يحتاج إلى دليل، ولكن فلتكمل على أي حال. أنتم غير راضين".

"أجل، غير راضين عن السياسة التي جعلت تيرمينوس خلال ثلاثين عامًا عاجزًا عن الدفاع عن نفسه في وجه الهجوم القادم لا محالة من الخارج».

"فهمت. وبناءً على هذا؟ أكمل، أكمل».

"من الجيد أنك تنصت. وبناءً على هذا فنحن نشكل حزبًا سياسيًّا جديدًا، حزبًا سيدافع عن احتياجات تيرمينوس المُلِحَّة، وليس عن قدرٍ غامض مرسوم لإمبراطورية مستقبلية. نحن سنُلقي بك أنت ومتملقيك دعاة المهادنة خارج مبنى البلدية، وسيكون هذا عاجلًا غير آجل».

"إلا إذا؟ هناك دومًا إلا إذا كما تعرف".

"ليس بالضبط في هذه الحالة. إلا إذا استقلت الآن. أنا لا أطلب منك تغيير سياساتك؛ أنا لا أثق بك إلى هذا الحد. إن وعودك لا تساوي شيئًا، لن نقبل إلا بالاستقالة الفورية".

قال هاردين: «فهمت، هذا هو إنذارك النهائي". ثم عقد ساقيه،

ومال بكرسيه إلى الوراء ليستقر على ساقين، قبل أن يقول: "من اللطيف منك أن تعطيني إنذارًا، ولكن أعتقد أنني سأتجاهله".

"لا تظن أنه إنذار يا سيادة العمدة، إنه إعلان لمبادئ وأفعال، الحزب الجديد قد تشكَّل بالفعل، وسوف يبدأ أنشطته الرسمية في الغد، لا يوجد هناك أي مجال أو رغبة في المساومة، وبصراحة، لقد كان اعترافنا بالخدمات التي قدَّمتها للمدينة هو الشيء الوحيد الذي جعلنا نُقدِّم لك مخرجًا سهلًا. لا أعتقد أنك ستقبله ولكن ضميري مستريح. الانتخابات القادمة ستكون تذكيرًا قويًا وحتميًا على أن الاستقالة ضرورية".

ثم اعتدل واقفًا وأشار للبقية كي يقفوا.

رفع هاردين ذراعه وقال: «مهلًا! اجلسوا!».

جلس سيرماك مُجددًا ببهجة يحاول إخفاءها، فابتسم هاردين من وراء وجهه الجامد؛ رُغم كلمات سيرماك إلا أنه كان ينتظر عرضًا.

قال هاردين: «على أي نحو بالضبط تُريد تغيير سياساتنا الخارجية؟ هل ترغب في أن نُهاجم الممالك الأربعة الآن، وعلى الفور؟ أربعتهم في وقت واحد؟».

"أنا لم أقترح هذا يا سيادة العمدة. إن اقتراحنا البسيط هو إنهاء المهادنة على الفور. طيلة فترة حكمك كُنت تنفِّذ سياسة تقديم المساعدة العلمية للممالك. لقد أعطيتهم الطاقة النووية، لقد ساعدتهم على بناء محطات الطاقة على أراضيهم، لقد أسَّست العيادات الطبية والمعامل الكيميائية والمصانع».

"حسنًا؟ وما هو اعتراضك؟".

"لقد فعلت هذا لكي تُثنيهم عن الهجوم علينا. بهذه الرشاوي

لعبت دور الأحمق في لعبة ضخمة من الابتزاز، التي سمحت لهم فيها بأن يستنزفوا تيرمينوس حتى آخر قطرة، والنتيجة الآن هي أننا تحت رحمة هؤلاء البربريين».

"من أي ناحية؟".

"لأنك قد أعطيتهم القوة، أعطيتهم الأسلحة. أنت تُصلح سفن أساطيلهم العسكرية بشكل روتيني، إنهم أقوى بكثير مما كانوا عليه منذ ثلاثة عقود. إن مطالبهم تتزايد، ومع أسلحتهم الجديدة فإنهم عاجلًا أو آجلًا سوف يحققون كل مطالبهم دُفعة واحدة باحتلال تيرمينوس. أليست هذه هي الطريقة التي ينتهي بها الابتزاز عادة».

"وما هو الحل من وجهة نظرك؟".

"أن توقف الرشاوي على الفور، بينما لا يزال بإمكانك هذا. وأن تُركّز مجهودك على تقوية تيرمينوس نفسه، والهجوم أولًا!".

راقب هاردين شارب الشاب الصغير الأصفر باهتمام غريب. لقد بدا سيرماك واثقًا من نفسه، وإلا لم يكن ليتحدث هكذا، لا شكّ أن آراءه هي انعكاس لآراء جزء كبير من الشعب، جزء كبير حقًّا. لم يبدو في صوته أدنى اضطراب في أفكاره، لقد كان يتحدث بتلقائية شديدة.

"هل أنهيت حديثك؟".

"مؤقتًا".

"حسنًا إذن، هل تلاحظ هذه الجملة الموضوعة في إطار على الجدار ورائي؟ اقرأها من فضلك".

ارتعشت شفتا سيرماك ثم قال: «إنها تقول؛ العنف هو الملاذ الأخير للعاجز. هذا شعار يليق برجل عجوز يا سيادة العمدة".

"لقد طبَّقته عندما كنت شابًّا مثلك يا سيادة النائب، وبنجاح. كان هذا قبل أن تولد أنت، ولكن ربما قرأت شيئًا عنه في المدرسة".

ثم نظر إلى سيرماك عن كثب وأكمل حديثه بنبرات محسوبة: «عندما أسس هاري سيلدون القاعدة هنا كانت من أجل هدف مزعوم، ألا وهو إنتاج موسوعة عظيمة. ولمدة خمسين عامًا اتبعنا هذا السراب قبل أن نكتشف ما كان يسعى إليه حقًّا. بحلول هذا الوقت كان الأوان قد فات تقريبًا. عندما انقطعت الاتصالات مع المناطق المركزية للإمبراطورية القديمة وجدنا أننا كوكب من العلماء مُرَكَّزٌ في مدينة واحدة، لا نملك أي قطاعات صناعية، ومحاطون بممالك حديثة النشأة، عدائية وبربرية إلى حد كبير. كنا جزيرة صغيرة من الطاقة النووية في هذا المحيط من البربرية، غنيمة ثمينة للغاية.

كانت أناكريون حينها ـ كما هي الآن ـ أقوى الممالك الأربعة، وقد طلبت منا تأسيس قاعدة عسكرية على تيرمينوس، قبل أن يؤسسوها لاحقًا بالفعل. وكان حكام المدينة في وقتها ـ الموسوعيون ـ يعرفون جيدًا أن هذا مجرد تمهيد لاحتلال الكوكب بأسره. كان هذا هو الوضع الراهن عندما... اممم... وصلت أنا إلى سدة الحكم. ماذا كنت لتفعل أنت؟".

هزَّ سيرماك كتفيه وقال: «هذا سؤال أكاديمي. بالطبع أنا أعرف ماذا فعلت».

"سأكرره على أي حال، ربما لم تفهم المغزى. كان من المغري حقًّا أن نحشد كل القوى التي نقدر عليها وأن نقاتل. لقد كان هذا أسهل حل والأكثر إرضاءً لكبرياء الذات، ولكن كان هذا هو الحل الأغبى إلى حد كبير. أنت كنت ستفعل هذا، أنت وحديثك عن

الهجوم أولًا. ولكن ما فعلته أنا بدلًا من ذلك هو زيارة الممالك الثلاثة الأخرى، الواحدة تلو الأخرى، وأوضحت لهم أن السماح بوقوع سر الطاقة النووية في يد أناكريون هو أسرع طريقة لقطع أعناقهم، واقترحت عليهم ـ بشكلٍ غير مباشر ـ أن يفعلوا الشيء الوحيد البديهي. كان هذا هو كل شيء، بعد شهر واحد من هبوط قوات أناكريون على تيرمينوس تلقَّى ملكهم إنذارًا مشتركًا من الممالك الثلاثة الأُخرى. في غضون سبعة أيام رحل آخر جنود أناكريون عن تيرمينوس.

الآن أخبرني؛ أين كانت الحاجة إلى العنف؟».

غرق النائب الشاب في التفكير وهو ينظر إلى عقب سيجاره ثم ألقى به في كوة محرقة القمامة قبل أن يقول: «أنا لا أستطيع أن أفهم تشبيهك، قد يُعيد الأنسولين مريض السكر إلى حالته الطبيعية بدون أدنى حاجة إلى سكين، ولكن الزائدة الدودية ستحتاج إلى عملية جراحية. أنت لا تستطيع إنكار هذا، عندما تفشل كل الوسائل الأُخرى فماذا سيتبقى لنا ـ كما قلت أنت ـ سوى الملاذ الأخير؟ إنه خطؤك، أنت من دفعنا إليه».

"أنا؟ آه، أجل، إنها مُجددًا سياستي في المداهنة. يبدو أنك ما زلت غير قادر على فهم الضرورات الأساسية لموقفنا، إن مشكلتنا لم تنته برحيل أناكريون، بل بدأت فقط. لقد صارت الممالك الأربعة أعداءنا أكثر من أي وقت مضى، لأن كل واحدة منهم كانت ترغب في الطاقة النووية، ولكن لم تمسنا أي واحدة منهم بسوء خوفًا من الممالك الثلاثة الأُخرى، نحن نحفظ توازننا على طرف سيف حاد للغاية، أي ميل صغير في أي اتجاه ـ على سبيل المثال إن صارت واحدة من الممالك قوية للغاية أو شكَّل اثنتان منهم اتحادًا ـ فأنت تعرف ما سيحدث حينها".

"بالتأكيد. كان هذا هو الوقت المناسب لبدء إعدادات شاملة للحرب".

"على النقيض. كان هذا هو الوقت المناسب لبدء منع شامل للحرب. لقد تلاعبت بهم الواحدة ضد الأُخرى، لقد ساعدت كل واحدة منهم على حدة، لقد قدَّمت لهم العلم، التجارة، التعليم، الأدوية الطبية. لقد جعلت تيرمينوس أكثر قيمة لهم ككوكب مزدهر بدلًا من كونه غنيمة عسكرية. لقد نجح الأمر لثلاثين عامًا".

"أجل، ولكنك كنت مُجبرًا على تسليم هذه الهبات العلمية في طقوس زائفة مشينة للغاية. لقد حولت الأمر إلى نصف ديانة ونصف هراء. لقد أنشأت تسلسلًا هرميًا من الكهنة وطقوسًا معقدة عديمة المعنى».

عقد هاردين حاجبيه وقال: «وما المشكلة؟ أنا لا أرى أن هذا له علاقة بالمناقشة على الإطلاق، قد بدأت الأمر بهذه الطريقة أولًا لأن البربريين كانوا ينظرون إلى علومنا كأنها نوع من الشعوذة السحرية، وكان من السهل جعلهم يقبلونها على هذا الأساس، لقد بنى الكهنوت نفسه بنفسه، وإن كنا ساهمنا في الأمر فإننا قد اتبعنا المسار الذي نواجه فيه أقل قدر من المقاومة، إنها مسألة ثانوية".

"ولكن هؤلاء الكهنة مسؤولون عن محطات الطاقة، هذه ليست مسألة ثانوية".

"هذا حقيقي، ولكن نحن من درَّبناهم، إن معرفتهم بأدواتهم تجريبية تمامًا، وهم لديهم إيمان راسخ في الطقوس الزائفة المحيطة بهم».

"وإن استطاع أحدهم كشف حقيقة هذه الطقوس الزائفة، وكان لديه العبقرية لينحي التجريبية جانبًا، فما الذي يمنعه من تعلم التقنيات الحقيقية وبيعها لمن يستطيع دفع أعلى ثمن؟ ماذا ستكون قيمتنا الحقيقية للممالك حينها؟».

"إن فرصة حدوث هذا ضئيلة للغاية يا سيرماك، أنت تنظر للأمر بسطحية شديدة. إن أفضل الرجال على كواكب الممالك يُرسَلون إلى القاعدة كل عام ليتلقوا تعليمهم هنا وينضموا إلى الكهنوت، وأفضل هؤلاء يبقون هنا ليصيروا طلبة باحثين. إن كنت تعتقد أن هؤلاء الذين يغادرون بدون أدنى معرفة عملية عن عناصر العلم، أو الأسوأ، بالمعرفة المشوهة التي يتلقَّاها الكهنة، باستطاعتهم معرفة أسرار الطاقة النووية أو الإلكترونيات أو نظرية السفر عبر الفضاء الفائق، فإن لديك فكرة حالمة وحمقاء للغاية عن العلم. إن الأمر يحتاج أعمارًا من التدريب، وعقلًا بارعًا للوصول إلى هذا الحد».

كان يوهان لي قد اعتدل واقفًا فجأة أثناء هذه الخطبة، وغادر الغرفة، ولكنه عاد لاحقًا، وعندما أنهى هاردين حديثه مال على أذنه وتبادلا الهمسات ثم أعطاه أسطوانة رصاصية. وبعد نظرة مقتضبة عدائية إلى وفد الانتداب عاد لي إلى كرسيه.

راح هاردين يقلب الأسطوانة بين يديه وهو يُراقب وفد الانتداب من بين رموشه، ثم فتحها بأن أدراها فجأة بقوة، واستطاع سيرماك أن يمنع نفسه من إلقاء نظرة سريعة على لفة الورق التي سقطت منها.

قال هاردين: «باختصار أيها السادة؛ الحكومة تعتقد أنها تعرف ما تفعله".

كان يقرأ وهو يتحدث، كانت الرسالة مكونة من صفوف من

شـفرات متشـابكة عديمـة المعنـى تُغطِّـي الصفحـة وثـلاث كلـمات مكتوبـة في أحـد الأركان. قـرأ كل شيء في نظـرة واحـدة ثـم ألقاهـا ببسـاطة في كـوة محرقـة القمامـة.

قـال هارديـن: "أخـشى أن هـذه هـي نهايـة اللقـاء، سـعيد لرؤيتكـم، وشـكرًا لكـم عـلى الحضـور». ثـم صافـح كل واحـد منهـم بطريقـة روتينيـة، قبـل أن يُغـادروا.

كان هارديـن قـد تخـلَّى تقريبًـا عـن عـادة الضحـك، ولكـن مـا إن ابتعـد سـيرماك ورفاقـه الثلاثـة الصامتـون بمـا يكفـي لكيـلا يسـمعوه حتـى انغمـس في ضحكـة جافـة ثـم نظـر إلى لي بجـزل وقـال: «هـل أعجبتـك لعبـة الخـدع هـذه يـا لي؟».

قـال لي متذمـرًا: «أنـا لسـت واثقًـا مـن أنـه كان يُخـادع، أنـت تعاملـه كطفـل صغـير، ولكنـه عـلى الأرجـح سيكسـب الانتخابـات القادمـة حقًّـا كما قـال".

"هذا مرجحًا حقًّا، إن لم يحدث شيئًا ما قبلها".

"فلتحـرص عـلى ألا يحـدث أي شيء في الاتجـاه الخاطـئ هـذه المـرة يـا هارديـن، لقـد قلـت لـك إن سـيرماك لديـه أتباعًـا، مـاذا لـو لم ينتظـر حتـى الانتخابـات القادمـة؟ لقـد حققنـا نحـن أهدافنـا بشـكلٍ عنيـف قديمًـا، رُغـم شـعارك هـذا عـن العنـف».

رفـع هارديـن حاجبًـا وقـال: «أنـت متشـائم اليـوم يـا لي، وبشـكلٍ اسـتثنائي للغايـة أيضًـا، وإلا لم تكـن لتتحـدث عـن العنـف، لقـد نفَّذنـا انقلابنـا الصغـير بـدون خسـارة أرواح، أنـت تذكـر هـذا، لقـد كان إجراءً ضروريًـا لجأنـا إليـه في اللحظـة المناسـبة، ومرَّ بسلاسـة وبـلا ألم وبلا أدنى مجهـود عـلى الإطـلاق. بالنسـبة لسـيرماك فإنـه يواجـه موقفًـا مختلفًـا. أنـا وأنـت لسـنا الموسـوعيين يـا لي. نحـن مسـتعدان، فلتأمـر رجالـك

بمراقبة هؤلاء الشباب بطريقة غير مباشرة يا صديقي العجوز. لا تدعهم يعرفون أنهم مُراقَبون. ولكن فليبقَ رجالك متيقظين، كما تفهم».

ضحك لي ضحكة جزلة ساخرة وقال: «كنت تظن أنني سأنتظر أوامرك، أليس كذلك يا هاردين؟ إن سيرماك ورجاله تحت المراقبة منذ شهر».

ضحك العمدة وقال: «لقد سبقتني إلى الأمر، أليس كذلك؟ لا بأس. بالمناسبة...". ثم صمت قليلًا قبل أن يضيف بهدوء: "إن السفير فيريزوف سيعود إلى تيرمينوس، أتمنى أن يكون هذا بشكلٍ مؤقت".

خيَّم صمت قصير، قبل أن يقول لي برعب خافت: «هل كانت هذه هي الرسالة؟ هل انكشفت الأمور بالفعل؟».

"لا أعرف، لا يُمكنني أن أجزم حتى أسمع ما سيقوله فيريزوف. ولكن قد يكون هذا ما حدث. على أي حال يجب أن تنكشف الأمور قبل الانتخابات. ولكن لِمَ تبدو خائفًا إلى هذا الحد؟".

"لأني لا أعرف كيف سينتهي الأمر، إن موقفك حرج للغاية يا هاردين، أنت تلعب بالنار".

تمتم هاردين: «حتى أنت؟»، ثم قال: "هل هذا يعني أنك ستنضم إلى حزب سيرماك الجديد؟".

ابتسم لي رُغمًا عنه وقال: «حسنًا، لقد ربحت. ما رأيك أن نتناول الغداء الآن؟».

الفصل الثاني

هناك العديد من الأقوال المنسوبة لهاردين ـ المشهور بأقواله المأثورة ـ عدد كبير منها ملفق على الأرجح، ولكن يُقال إنه في مناسبة معينة قال: «من المفيد أن يكون المرء مُباشِرًا، وخصيصًا عندما يشتهر عنه بأنه مراوِغ».

لقد تصرَّف بولي فيريزوف وفق هذه النصيحة مرات عديدة، وكان الآن في عامه الرابع عشر من لعب دوره المزدوج على أناكريون. الحفاظ على هذا الدور المزدوج جعله يشعر بشكلٍ غير مريح كأنه يرقص بأقدام حافية على معدن ساخن.

بالنسبة لسكان أناكريون كان هو الكاهن الأكبر، ممثل القاعدة التي تعد بالنسبة لهؤلاء البربريين ذروة الغموض ومركز الديانة التي ابتكروها بمساعدة هاردين في العقود الثلاثة الماضية. ولهذا كان يعاملونه بإجلال، وهذا الإجلال قد صار مُرهِقًا إلى حد كبير، فمن أعماق روحه كان يبغض الطقوس التي يوجد هو في مركزها.

ولكن بالنسبة لملك أناكريون ـ العجوز الراحل وحفيده الصغير الجالس الآن على العرش ـ كان ببساطة سفير القوة التي يخشونها ويطمعون فيها في الوقت ذاته.

كانت وظيفة غير مريحة بشكلٍ عام، وكانت هذه هي رحلته الأولى إلى القاعدة منذ ثلاث سنوات. ورُغم الحادثة المزعجة التي جعلتها ضرورية إلا أنها كانت شيئًا أشبه بالعُطلة.

وبما أنها لم تكن المرة الأولى التي يُضطر فيها للسفر بسرية تامة فاستعان مرَّة أُخرى بمقولة هاردين عن المباشرة.

بـدَّل ملابسـه بملابـس مدنيـة، وكان هـذا يُعـد عُطلـة في حـد ذاتـه، واسـتقل خـط المسـافرين إلى القاعـدة مـن الدرجـة الثانيـة. مـا إن وصل إلى تيرمينـوس حتـى شـقَّ طريقـه عـبر الزحـام في مينـاء الفضـاء وأجـرى اتصـالًا بمبنـى البلديـة في كابينـة اتصـال تليفزيونيـة عامـة.

قـال: «اسـمي جـان سـمايت، لـديَّ مقابلـة مـع العُمـدة بعـد ظهـيرة اليوم".

أجـرت السـيدة ذات الصـوت الجامـد العمـلي عـلى الطـرف الآخـر اتصـالًا ثانيًـا وتبادلـت بضـع كلـمات سريعـة ثـم قالـت لفيريـزوف بنـبرة آليـة جافـة: «سـوف يُقابلـك العمـدة هارديـن بعـد نصـف سـاعة يـا سـيدي». ثـم انطفـأت الشاشـة.

في تلـك الأثنـاء اشـترى سـفير القاعـدة لـدى أناكريـون آخـر إصـدار مــن جريــدة مدينــة تيرمينــوس، ثــم ســار ببســاطة إلى متنَّــزه مبنــى البلديـة وجلـس عـلى أول مقعـد فـارغ يقابلـه ثـم قـرأ أثنـاء انتظـاره الصفحــة التمهيديــة وقســم الرياضــة وصفحــة القصــص الهزليــة. في نهايـة النصـف سـاعة وضـع الجريـدة أسـفل ذراعـه ودلـف إلى مبنـى البلديـة وقـدَّم نفسـه إلى الاسـتقبال.

أثنـاء فعـل كل هـذا ظلَّـت هويتـه الحقيقيـة في أمـان دون أن يتعرف عليـه أحـد، فبـما أنـه كان مُباشِرًا للغايـة لم يشـك أحـد فيـه لحظـة واحـدة.

نظـر هارديـن إليـه وابتسـم قائـلًا: «فلتأخـذ سـيجارًا! كيـف كانـت رحلتـك؟».

تنـاول فيريـزوف سـيجارًا وهـو يقـول: «مثـيرة للاهتـمام، لقـد كان هنـاك كاهـن في المقصـورة المجـاورة في طريقـه إلى هنـا ليأخـذ دورة خاصـة في إعـداد التركيبـات المشـعة، لعـلاج السرطـان كـما تعـرف...».

"بالتأكيد لم يُسمِّها تركيبات مشعة، أليس كذلك؟".

"لا أعتقد هذا! إنها الطعام المقدس بالنسبة له".

ابتسم العمدة وقال: «فلتكمل».

"لقد استدرجني إلى مناقشة دينية وبذل قصارى جهده ليسمو بي فوق المادية الدنيئة».

"ولم يتعرَّف قط على كاهنه الأكبر؟".

"من دون عباءتي القرمزية؟ كما أنه كان من سميرنو. لقد كانت تجربة مثيرة للاهتمام مع ذلك. من المدهش حقًا يا هاردين كم قد أحكمت ديانة العلم قبضتها. لقد كتبت مقالًا عن الموضوع، فقط لتسلية نفسي. ليس من المفيد نشره. بالنظر إلى المشكلة من الناحية الاجتماعية سيبدو أن الإمبراطورية القديمة قد بدأت التعفن من أطرافها، من الممكن القول إن العلم ـ كعلم ـ قد خذل الكواكب الخارجية، ولكي يقبلوه مرة أُخرى يجب أن يُقدم نفسه في هيئة جديدة، وهذا ما حدث، وقد نجح بشكلٍ رائع".

قال العمدة: «هذا مثير للاهتمام!». ثم عقد ذراعيه وراء رأسه وقال فجأة: «فلتبدأ بالحديث عن الموقف في أناكريون».

عقد السفير حاجبيه وأخرج السيجار من فمه ونظر إليه بامتعاض قبل أن يضعه جانبًا وهو يقول: «حسنًا، الموقف سيئ للغاية"

"لم تكن لتأتي إلى هنا لو لم يكن كذلك».

"أنت محق. إن الموقف كالتالي: إن أهم رجل في أناكريون هو الأمير وينيس، الوصي على العرش، إنه عم الملك ليبولد».

"أنا أعرف، ولكن ليبولد سيبلغ سن الرشد في العام القادم، أليس كذلك؟ أعتقد أنه سيُكمل السادسة عشر في فبراير".

"أجـل". ثـم صمـت قليـلًا قبـل أن يضيـف بسـخرية: "هـذا إن ظـلَّ عـلى قيـد الحيـاة. لقـد مـات أبـو الملـك في ظـروف مثـيرة للريبـة، رصاصـة مـن بندقيـة صيـد اخترقـت صـدره أثنـاء رحلـة صيـد، لقـد قالـوا إنهـا حادثـة".

"هممـم، أعتقـد أننـي أتذكـر وينيـس مـن تلـك المـرة التـي كنـت فيهـا عـلى أناكريـون عندمـا طردناهـم مـن تيرمينـوس. لقـد كان هـذا منـذ وقـت طويـل. دعنـا نـرى؛ لقـد كان ـ حسـبما أتذكـر ـ شـابًّا أسـمر بشـعر أسـود وحـول في عينـه اليُمنـى وأنـف خطـافي مضحـك".

"إنــه نفــس الشــخص، الأنــف الخطــافي والعــين الحــولاء لا يــزالان موجوديــن، ولكــن شــعره رمــادي الآن. إنــه يلعــب اللعبــة بقــذارة ولكـن لحُسـن حظنـا أنـه أكـثر أحمـق مفضـوح عـلى ظهـر الكوكـب، إنـه يظـن نفسـه شـيطانًا ماكـرًا، مـما يجعـل حماقتـه أكـثر فجاجـة".

"هكذا تكون الأمور عادة".

"إن فكرتـه عـن كـسر بيضـة هـي أن يُطلـق عليهـا قذيفـة نوويـة. الشـاهد عـلى هـذا هـو الضريبـة التـي حـاول أن يفرضهـا عـلى ممتلـكات المعبـد بعـد مـوت الملـك القديـم منـذ عامـين، هـل تذكـر؟».

أومــأ هارديــن برأســه مُفكــرًا ثــم ابتســم: «لقــد صنــع الكهنــة ضجيجًــا».

"لقـد صنعـوا ضجيجًـا يُمكنـك سـماعه مـن لوكريـزا. لقـد أظهـر حـذرًا أكـثر في التعامـل مـع الكهنـوت منـذ ذلـك الوقـت، ولكنـه لا يـزال مصرًّا عـلى إدارة الأمـور بالطريقـة الصعبـة. بطريقـة مـا فالأمـر ليـس في مصلحتنـا، إن لديـه ثقـة غـير محـدودة بالنفـس».

"عـلى الأرجـح لديـه عقـدة نقـص مبالـغ فيهـا. هـذا مـا يصـير إليـه الأبنـاء الأصغـر للعائـلات الملكيـة".

"ولكـن الأمـر يـؤدي إلى النتيجـة ذاتهـا، إن لعابـه يسـيل في لهفـة للهجـوم عـلى القاعـدة، إنـه بالـكاد يبـذل أي جهـد لإخفـاء هـذا، وهـو أيضًـا ـ مـن المنظـور العسـكري ـ في موضـع يسـمح لـه بفعـل هـذا. لقـد بنـى الملـك القديـم أسـطولًا رائعًـا، بينـما وينيـس لم يغمـض لـه جفـن طيلـة العامـين السـابقين، في الواقـع إن الضريبـة التـي حـاول أن يفرضهـا عـلى ممتلـكات المعبـد كان الهـدف منهـا المزيـد مـن التسـليح، وعندمـا فشـل هـذا قـرر مضاعفـة ضريبـة الدخـل".

"هل هناك أي تذمر من هذا؟".

"لا شيء ذا أهميـة، لقـد كانـت طاعـة السـلطات المعينـة هـي نـص كل عظـة في المملكـة لأسـابيع، وهـذا لا يعنـي أن وينيـس قـد أبـدى أي امتنـان".

"حسنًا، لقد فهمت الصورة العامة. الآن ماذا حدث؟".

"منـذ أسـبوعين عـثرت سـفينة تجاريـة مـن أناكريـون عـلى سـفينة حربيـة مـن الأسـطول الإمبراطـوري القديـم، لا شـكّ أنهـا كانـت تنجـرف في الفضـاء لثلاثـة قـرون عـلى الأقـل».

لمـع الاهتـمام في عينـيّ هارديـن، فاعتـدل في جلسـته وقـال: «أجـل، لقـد سـمعت بهـذا. لقـد قـدَّم لي مجلـس الملاحـة التماسًـا يطلبـون مني فيـه الحصـول عـلى السـفينة لغـرض الدراسـة، إنهـا في حالـة جيـدة حسـبما فهمـت».

أجابـه فيريـزوف بسـخرية: «إنهـا في حالـة جيـدة أكـثر مـن الـلازم. عندمـا تلقَّـى وينيـس اقتراحـك في الأسـبوع المـاضي بـأن تسـلم السـفينة إلى القاعـدة كاد أن يُصـاب بتشـنجات».

"إنه لم يُجِب بعد».

"لـن يجيـب إلا بالأسـلحة، أو هكـذا يعتقـد. لقـد جـاء إليَّ في

ذلك اليوم الذي غادرت فيه أناكريون وطلب أن تتولى القاعدة اصلاح السفينة لكي تكون جاهزة للقتال، وأن تسلمها إلى أسطول أناكريون. لقد كان لديه من الصفاقة ما يكفي لكي يقول إن رسالتك في الأسبوع الماضي تشير إلى خطة من القاعدة للهجوم على أناكريون، لقد قال إن رفض إصلاح السفينة الحربية سوف يؤكد شكوكه، وأنه سيكون مُرغمًا على اتخاذ تدابير احترازية للدفاع عن أناكريون. هذه هي كلماته، سيكون مُرغمًا! ولهذا أنا هنا».

ضحك هاردين بهدوء.

ابتسم فيريزوف وأكمل قائلًا: «إنه يتوقع الرفض بالطبع، وهذا سيكون مُبرِّرًا مثاليًا من وجهة نظره للهجوم الفوري».

"فهمت يا فيريزوف. حسنًا، لدينا على الأقل ستة أشهر، لذا فلتأمر بإصلاح السفينة وتقديمها له مع تحياتي. فلتأمر بإعادة تسميتها إلى وينيس كدليل على تقديرنا ومودتنا".

ثم ضحك مُجددًا.

ومُجددًا أجابه فيريزوف بابتسامة شاحبة: «أعتقد أن هذه هي الخطوة المنطقية يا هاردين، ولكني أشعر بالقلق».

"حيال ماذا؟".

"إنها سفينة حربية! باستطاعتهم استغلالها حقًا، إن مساحتها الداخلية تساوي نصف مساحة أسطول أناكريون بأكمله، وبها قنابل نووية قادرة على تفجير كوكب بأسره، ودرعًا باستطاعته أن يتلقَّى شعاعًا كميًا دون أن ينتج عنه أي إشعاع. أشياء جيدة أكثر من اللازم يا هاردين...».

"ظاهريًا يا فريزيوف، ظاهريًا. أنا وأنت نعرف أن التسليح الذي يمتلكه الآن باستطاعته أن يهزم تيرمينوس بسهولة، وقبل حتى أن

نجـد وقتًـا لإصـلاح السـفينة كي نسـتخدمها لصالحنـا. فـما الفـارق حينهـا إن أعطينـاه السـفينة أيضًـا؟ أنـت تعـرف أن الأمـر لـن يصـل إلى حـرب حقيقيـة".

"أفـترض هـذا، أجـل". ثـم نظـر السـفير إليـه وقـال: "ولكـن يـا هارديـن...".

"حسنًا؟ لِمَ توقفت؟ أكمل".

"انظـر، هـذا الأمـر ليـس مـن اختصـاصي، ولكنـي كنـت أقـرأ الصحيفـة». ثـم وضـع الجريـدة عـلى المكتـب وهـو يشـير إلى الصفحـة الأولى ويقـول: «مـا سـبب كل هـذا؟».

ألقـى هارديـن نظـرة عابـرة وقـال: «مجموعـة مـن النـواب يشـكلون حزبًـا سياسـيًّا جديـدًا».

تململ فيريـزوف في مقعـده وهـو يقـول: «هـذا هـو المكتـوب. أنـا أعـرف أنـك عـلى درايـة بالشـئون الداخليـة أكـثر منـي، ولكنهـم يهاجمونـك بـكل مـا يمتلكونـه عـدا العنـف الجسـدي. مـا مـدى قوتهـم؟".

"إنهـم أقويـاء للغايـة، عـلى الأرجـح سـيتحكمون في المجلـس بعـد الانتخابـات التاليـة".

نظـر فيريـزوف إلى العمـدة بشـكلٍ غـير مبـاشر وقـال: «ليـس قبلـه؟ هنـاك طـرق أُخـرى للوصـول إلى السـلطة بخـلاف الانتخابـات".

"هل تظنني مثل وينيس؟".

"لا، ولكـن إصلاح السـفينة سيسـتغرق شـهورًا، وسـيكون هناك هجوم بعدهـا بالتأكيـد، سـيعد رضوخنـا علامـة عـلى ضعـف مشـين، كـما أن إضافـة سـفينة إمبراطوريـة حربيـة إلى أسـطول وينيـس سيُضاعف مـن قوتـه. أنـا واثـق أنـه سـيُهاجمنا مثلـما أنـا واثـق مـن كـوني الكاهـن

الأكبر. لمَ نُغامر؟ فلتفعل شيئًا من اثنين؛ إما أن تكشف خطة الحملة للمجلس وإما فلتحسم الأمر مع أناكريون الآن!".

عقد هاردين حاجبيه وقال: «أحسم الأمر الآن؟ قبل حلول الأزمة؟ هذا هو الشيء الوحيد الذي يجب ألا أفعله. هناك هاري سيلدون والخطة كما تعرف».

تردد فيريزوف ثم تمتم قائلًا: «أنت واثق تمامًا إذن من أنه هناك خطة؟».

أجابه بحزم: «ليس هناك أدنى شك، لقد كنت حاضرًا عند فتح خزانة الزمن، وقد كشفت تسجيلات سيلدون عنها حينها".

"أنا لا أعني هذا يا هاردين، أنا فقط لا أرى كيف يُمكن التخطيط للمستقبل قبلها بألف سنة، ربما بالغ سيلدون في تقدير نفسه". ثم ارتجف قليلًا أمام ابتسامة هاردين الساخرة وقال: «حسنًا، أنا لست عالمًا نفسيًّا».

"بالضبط، لا أحد منا كذلك، ولكني تلقَّيت بعض التدريب الأولي في شبابي بما يكفي لكي أعرف ما يقدر عليه علم النفس، رغم أنني لا أستطيع استغلال قدراته بنفسي. لا شكَّ أن سيلدون قد فعل تمامًا ما يزعم أنه قد فعله. القاعدة - كما قال - قد تأسست كملاذ علمي، يُمكن من خلاله الحفاظ على علوم وثقافة الإمبراطورية المحتضرة عبر قرون البربرية التي بدأت بالفعل، ليُعاد إحياؤها في النهاية كإمبراطورية ثانية".

أومأ فيريزوف برأسه مع لمحة من الشك ثم قال: «الجميع يعرفون أن هذه هي الطريقة التي يُفترض أن تسير بها الأمور، ولكن هل يُمكننا المقامرة؟ هل يُمكننا أن نُغامر بالحاضر من أجل مستقبل غامض؟».

"يجب علينا فعل هذا، لأن المستقبل ليس غامضًا، لقد حسبه سيلدون وخطط له، إن كل أزمة متعاقبة في تاريخنا محسوب لها بدقة، وكل أزمة منهم تعتمد إلى حد ما على النهاية الناجحة للأزمات السابقة، هذه هي الأزمة الثانية فقط، والفضاء وحده يعلم أي تأثير يُمكن أن يؤدي إليه أدنى انحراف بسيط في النهاية".

"هذه مجرد تكهنات جوفاء".

"لا، لقد قال هاري سيلدون في خزانة الزمن إنه مع كل أزمة ستكون حريتنا في التصرف مقيدة، حتى لا يكون أمامنا سوى مسار واحد للتصرف».

"إذن كأنما ليبقينا على الصراط المستقيم".

"لكي يبقينا بعيدًا عن الانحراف، أجل. ولكن بالمقابل طالما هناك أكثر من مسار متاح للتصرف فإننا لم نصل إلى الأزمة بعد. يجب أن نترك الأمور تسير في مسارها دون تدخل منا قدر المستطاع. وبحق الفضاء هذا ما أنوي فعله".

لم يُجبه فيريزوف وعض شفته السفلى في صمت متردد. لم تمضِ سوى سنة على مناقشة هاردين للمشكلة معه لأول مرة، المشكلة الحقيقية، مشكلة مواجهة استعدادات أناكريون العدائية، وهذا فقط لأن فيريزوف قد أظهر احتجاجًا على المزيد من المداهنة.

أدرك هاردين ما يدور في خلد السفير، فقال له: «كنت أفضل ألا أُخبرك أي شيء عن هذا الأمر».

صاح فيريزوف في دهشة: «ما الذي يجعلك تقول هذا؟».

"لأن هناك ستة أشخاص الآن ـ أنا وأنت والسفراء الثلاثة الآخرين ويوهان لي ـ لديهم فكرة عما سيحدث، وأنا أخشى حقًا أن ما أراده سيلدون هو ألا يعرف أي شخص".

"ولِمَ هذا؟".

"لأنه حتى علم نفس سيلدون المتقدم لديه حدوده، إنه لا يستطيع تحمل الكثير من العوامل المتغيرة، إنه لا يستطيع العمل مع أشخاص فرادى لأي وقت من الزمن أكثر من قدرتك أنت على تطبيق النظرية الحركية للغازات على الجزيئات المستقلة، إن هذا العلم يعمل مع الحشود؛ سكان كواكب بأكملها، وفقط الحشود العمياء التي لا تملك أدنى فكرة مسبقة عن نتيجة أفعالها".

"هذه ليست خطة".

"ليس باليد حيلة، أنا لست عالمًا نفسيًّا بما يكفي لكي أشرح الأمر بشكلٍ علمي، ولكن أنت تعرف هذا، لا يوجد أي عالم نفسي متمرس على تيرمينوس، ولا أي نصوص رياضية عن هذا العلم، من الواضح أنه لم يرغب في أن يكون هناك أي شخص على تيرمينوس قادر على تخمين المستقبل. لقد أرادنا سيلدون أن نتقدم بشكلٍ أعمى، ومن ثم نتقدم بشكلٍ صحيح، بحسب قوانين علم نفس الحشود. كما قلت لك؛ أنا لم أكن أعرف إلى أين نحن نتجه عندما تركت أناكريون في البداية، كانت فكرتي هي الحفاظ على التوازن بين القوى، لا أكثر من هذا. بعدها فقط خيِّل إليّ أنني أرى نمطًا في الأحداث، ولكني بذلت قصارى جهدي لكيلا أتصرف بناءً على هذه المعرفة. إن التدخل بناءً على المعرفة المسبقة سيؤدي إلى إفشال الخطة».

أومأ فيريزوف برأسه مفكرًا وقال: «لقد سمعت مناقشات بمثل هذا التعقيد تقريبًا في المعابد على أناكريون. كيف تتوقع تحديد اللحظة المناسبة للتصرف؟».

"لقد حدَّدتها بالفعل، لقد أقررت أننا بمجرد أن نصلح السفينة

الحربيـة فلـن يوجـد شيء ليمنـع وينيـس مـن الهجـوم علينـا، لـن يعـود هنـاك أي بدائـل في هـذا الصـدد».

"أجل".

"حسـنًا، هـذا يشـمل الشـق الخارجـي، في الوقـت ذاتـه لا تنكـر أيضًـا أن الانتخابـات القادمـة سـوف تشـهد مجلسًـا جديـدًا وعدائيًـا سـيجبرنا عـلى اتخـاذ إجـراءات مشـددة تجـاه أناكريـون، لا يوجـد أي بدائـل هنـاك».

"أجل".

"ومـا إن تختفـي كل البدائـل سـتظهر الأزمـة. ولكنـي في الوقـت ذاتـه... أشـعر بالقلـق».

صمـت قليـلًا فانتظـر فيريـزوف، وفي النهايـة أكمـل هارديـن ببطء وبشـكلٍ مـتردد: «لـديَّ اعتقـاد ـ مجـرد حـدس ـ أن الضغـط الخارجـي والضغـط الداخـلي كان مـن المُخطـط أن يحدثـا في وقـت واحـد، ولكـن حسـبما يحـدث الآن فهنـاك فـارق بضعـة أشـهر، إن وينيـس عـلى الأرجـح سـيهجم قبـل الربيـع، ولا يـزال هنـاك عـام قبـل الانتخابـات».

"هذا لا يبدو هامًّا".

"لا أعـرف، ربمـا تكـون مجـرد أخطـاء حسـابية لا يُمكـن تجنبهـا، وربمـا هـذا بسـبب حقيقـة أننـي أعـرف أكـثر مـن الـلازم. لقـد حاولـت دومًـا ألا أجعـل معرفتـي المسـبقة تؤثـر عـلى تصرفـاتي، ولكـن كيـف يُمكـن أن أكـون متيقنًـا؟ ومـاذا سـيكون تأثـير هـذا التفـاوت الزمنـي؟". ثـم نظـر إليـه وقـال: "عـلى أي حـال لقـد قـررت شـيئًا واحـدًا".

"وما هو؟".

"عندمـا تبـدأ الأزمـة سـأذهب إلى أناكريـون، أُريـد أن أكـون في قلـب الحـدث... هـذا يكفـي يـا فيريـزوف، لقـد تأخَّـر الوقـت. دعنـا نخـرج

ونقضي ليلة ممتعة، أُريد بعض الاسترخاء".

قال فيريزوف: «إذن فلنقضها هنا، لا أُريد أن يتعرَّف عليَّ أحد، وإلا فلن تعرف ما الذي يُمكن أن يقوله حزب النواب الجديد هذا. فلتطلب لنا البراندي».

وهذا ما فعله هاردين، ولكنه لم يطلب الكثير.

الفصل الثالث

في الأيـام القديمـة عندمـا كانـت الإمبراطوريـة المجريـة تمتـد عـبر المجـرة بأكملهـا، وكانـت أناكريـون أغنـى ولايـة في الأطـراف الخارجيـة، جـاء أكـثر مـن إمبراطـور لزيـارة القـصر الإقليمـي في الولايـة، ولم يُغـادر أحدهـم بـدون أن يجـرب مهارتـه لمـرة واحـدة عـلى الأقـل مـع العربات الهوائيـة وبنـادق الصيـد في مواجهـة الطيـور الضخمـة التـي يطلقـون عليهـا اسـم نيكبـيرد.

لقـد تناقصـت شـهرة أناكريـون بمـرور الزمـن حتـى لم يبـقَ منهـا شيء، لم يعـد القـصر الإقليمـي سـوى مجموعـة مـن الحطـام والأنقـاض عـدا مـن الجنـاح الـذي جـدده عـمال القاعـدة، ولم يـأتِ أي إمبراطـور إلى أناكريـون طيلـة مئتـي عـام.

ولكـن صيـد النيكبـيرد لا يـزال الرياضـة الملكيـة، وأول شروط أي ملـك مـن ملـوك أناكريـون هـو أن يجيـد التصويـب باسـتخدام بنـادق الصيـد.

ليبولـد الأول ملـك أناكريـون وسـيد العـوالم الخارجيـة ـ كـما يُضـاف دومًـا رُغـم أنـه غـير حقيقـي ـ قـد أثبـت مهارتـه بالفعـل مـرات عديدة رُغـم أنـه لم يكمـل السادسـة عـشر بعـد، لقـد اصطـاد أول نيكبـيرد وهـو بالـكاد في الثالثـة عـشر، وقـد اصطـاد العـاشر بعـد اعتلائـه العـرش بأسـبوع، وهـا قـد عـاد الآن مـن أجـل السـادس والأربعـين.

قـال بابتهـاج: «الخمسـون قبـل أن أبلـغ سـن الرشـد، مـن يُراهنني؟». ولكـن أحـدًا مـن الحاشـية لم يُراهـن ضـد مهـارة الملـك، هنـاك خطـر مميـت في ربـح الرهـان، لـذا لم يفعـل أحـد، فغـادر الملـك لتبديـل ملابسـه في حالـة معنويـة مرتفعـة.

"ليبولد"!

توقَّف الملك في منتصف طريقه على إثر الصوت الوحيد الذي من الممكن أن يجعله يتوقف، ثم التفت عابسًا.

كان وينيس واقفًا عند عتبة جناحه وهو ينظر إلى ابن أخيه.

قال وهو يشير بنفاد صبر: «فلتصرفهم، تخلَّص منهم».

أومأ الملك برأسه في اقتضاب، فانحنى الحاجبان وتراجعا للوراء ناحية السلم. دلف ليبولد إلى غُرفة عمه.

نظر وينيس إلى بدلة الصيد التي يرتديها الملك بتجهم وقال: «قريبًا سيكون لديك أشياء أكثر أهمية من صيد النيكبيرد لتهتم بها».

ثم أدار ظهره وسار بخطوات ثقيلة ناحية مكتبه. إنه ينظر بحقد إلى الرياضة بأكملها، منذ أن صار كبيرًا للغاية على الاندفاع في الهواء والتحليق بشكلٍ خطير بالقرب من النيكبيرد، والدوران في الهواء بالعربة الهوائية بأقل حركة من القدم.

أحس ليبولد بنبرة الحقد في صوت عمه فقال بحماس وبشكلٍ خبيث: «ولكن كان يجب أن تكون معنا اليوم يا عماه، لقد أسقطنا طائرًا في براري ساميا أشبه بالوحش، لقد كان ضخمًا للغاية، تعقَّبناه لساعتين عبر مسافة سبعين ميلًا مربعًا على الأقل، ثم تحرَّكتُ جهة الشمس». كان يشرح بيديه كأنه مرة أُخرى في عربته الهوائية: «ثم انخفضتُ بحركة مائلة وأمسكت به أثناء صعوده عندما كان ناحية الجناح الأيسر بربع دائرة، لقد أثار هذا جنونه واندفع بشكل عرضي فتجرأت ولحقت به وأنا أميل إلى اليسار منتظرًا هبوطه، ثم هبط كما توقعت وكان على مرمى جناح مني عندما تحرَّكت، ثم...».

"ليبولد!".

"حسنًا، لقد أوقعت به".

"أنا واثق أنك فعلت. الآن، هلا أنصتَّ لي؟".

هـز الملـك كتفيـه ثـم سـار ناحيـة نهايـة الطاولـة، حيـث بـدأ يقضـم ثمـرة جَـوْز لـيرا في عبـوس غـير ملـكي. لم يجـرؤ عـلى النظـر في عينـي عمـه.

قال وينيس كنوعٍ من التمهيد: «لقد ذهبت إلى السفينة اليوم».

"أي سفينة؟".

"هنـاك سـفينة واحـدة. السـفينة. السـفينة التـي تُصلحهـا القاعـدة مـن أجـل الأسـطول. السـفينة الحربيـة الإمبراطوريـة القديمـة. هـل أنـا واضـح بمـا يكفـي؟".

"تلـك السـفينة؟ أتـرى، أخبرتـك أن القاعـدة سـتصلحها إذا طلبنـا منهـم، إن قصتـك عـن رغبتهـم في الهجـوم علينـا هـي مجـرد هـراء، لأنهـم إن كانـوا يرغبـون في هـذا فلـمَ قـد يُصلحـون السـفينة؟ هـذا ليـس منطقيًـا".

"ليبولد، أنت أحمق".

احتقـن وجـه الملـك وهـو يرفـع جـوزة لـيرا أخـرى إلى شـفتيه بعـد أن ألقـى قـشرة الجـوزة الأولى. ثـم قـال بغضـب يكتـسي بنـبرة مـن العنـاد: "حسـنًا، اسـمعني، أنـا لا أعتقـد أن مـن حقـك أن تصفنـي بهـذا، لقـد نسـيت نفسـك، سـوف أبلـغ سـن الرشـد في غضـون شـهرين كـما تعـرف".

"أجـل، وسـوف تكـون في وضـع جيـد لتـولي المسـؤوليات الملكيـة. إن قضيـت نصـف الوقـت الـذي تقضيـه في صيـد النيكبـيرد في الاهتـمام بالشـئون العامـة فسـوف أسـتقيل مـن الوصايـة عـلى العـرش بضمـير

مسـتريح».

"أنـا لا أبـالي، هـذا لا علاقـة لـه بالمشـكلة، الحقيقـة هـي أنـه رُغـم كونـك عمـي والـوصي عـلى العـرش، فأنـا مـا زلـت الملـك، وأنـت مـا زلـت أحـد رعايـاي، ليـس مـن حقـك أن تصفنـي بالأحمـق، وليـس مـن حقـك أن تجلـس في حـضرتي عـلى أي حـال، أنـت لم تطلـب إذني. أعتقـد أنـك يجـب أن تكـون حـذرًا وإلا فقـد أفعـل شـيئًا حيـال الأمـر... قريبًـا للغايـة".

كانـت نظـرة وينيـس بـاردة وهـو يقـول: «هـل يُمكـن أن أُشـير إليـك بجلالـة الملـك؟».

"أجل".

"حسنًا! أنت أحمق يا جلالة الملك".

كانـت عينـاه السـوداوان تلمعـان بغضـب أسـفل حاجبيـه الأشـهبين، فجلـس الملـك الصغـير ببـطء. لوهلـة كان هنـاك رضـا سـاخر في وجـه العـم، ولكنـه تـلاشى سريعًـا. انفرجـت شـفتاه الغليظتـان بابتسـامة وضرب بيـده عـلى كتـف الملـك.

"لا عليـك يـا ليبولـد، لم يتوجـب عـليّ أن أتحـدث بقسـوة معـك، إنـه مـن الصعـب أحيانًـا عـلى المـرء أن يتـصرف باللباقـة المطلوبـة عندمـا تضغـط عليـه الأحـداث كـما تفهـم".

ورُغـم أن كلماتـه كانـت اسـترضائية إلا أن هنـاك شـيئًا في عينيـه لم يَلِـن.

قـال ليبولـد مـترددًا: «أجـل، إن إدارة شـئون الدولـة صعبـة أيضًـا كـما تعـرف». تسـاءل بتخـوف عـما إن كان عـلى وشـك أن يتعـرض لحصـار مضجـر مـن التفاصيـل عديمـة المعنـى، عـن التجـارة مـع سـميرنو هـذا العـام، والنـزاع الطويـل المعقـد حـول الكواكـب التـي لا تـكاد تكـون

مأهولة في الممر الأحمر.

تحدَّث وينيس مجددًا قائلًا: «لقد فكَّرت في أن أتحدث معك عن هذا باكرًا يا بني، وربما كان يجب أن أفعل، ولكني أعرف أن روحك الشابة لا تطيق تفاصيل الحكم المملة".

أومأ ليبولد برأسه وقال: «حسنًا، هذا صحيح...».

قاطعه عمه بحزم مُكملًا: «ولكنك ستبلغ سن الرشد في غضون شهرين. وعلاوة على ذلك فهناك أوقات صعبة قادمة، يجب أن يكون لك دورًا كاملًا وفعَّالًا، ستكون الملك من الآن فصاعدًا يا ليبولد».

أومأ ليبولد برأسه مُجددًا، ولكن ملامح وجهه كانت خاوية.

"سوف يكون هناك حربٌ يا ليبولد».

"حرب! ولكن هناك معاهدة سلام مع سميرنو...".

"ليست مع سميرنو، بل القاعدة نفسها».

"ولكنهم قد وافقوا على إصلاح السفينة يا عماه. أنت قلت...".

اختنق صوته عندما التوت شفتا عمه، الذي قال وقد اختفت بعض الودية من صوته: «نحن نتحدث رجل لرجل يا ليبولد، سوف يكون هناك حرب مع القاعدة، سواء أصلحوا السفينة أو لم يصلحوها. في الواقع إن إصلاح السفينة سوف يعجل من الأمر. إن القاعدة هي مصدر قوة ونفوذ. إن كل عظمة أناكريون؛ كل سفنها ومدنها وشعبها وتجارتها تعتمد على فتات وبقايا القوة التي تُعطيها لنا القاعدة على مضض. أنا بنفسي أتذكر وقتًا عندما كانت مدن أناكريون تُدفَّأ بإحراق الفحم والبترول، ولكن دعك من هذا، أنت لا تملك أدنى فكرة عن الأمر».

قال الملك بخجل: «يبدو لي أننا يجب أن نكون ممتنين...».

صاح وينيس في غضب: «ممتنون؟ ممتنون لأنهم يمنون علينا بأقل الفتات، بينما الفضاء وحده يعلم بما يحتفظون به لأنفسهم، والغرض من وراء الاحتفاظ به؟ بالطبع لكي يستطيعوا يومًا ما أن يحكموا المجرة».

ثم ربت بيده على ركبة ابن أخيه وضيَّق عينيه وهو يقول: «أنت ملك أناكريون يا ليبولد، إن أبناءك وأبناء أبنائك قد يصبحون ملوك الكون إذا امتلكت القوة التي تخفيها القاعدة عنا».

لمعت عينا ليبولد واعتدل في جلسته قائلًا: «هناك شيء من الحقيقة في هذا، لمَ يحتفظون بها لأنفسهم على أي حال؟ هذا ليس عدلًا. إن أناكريون لها قيمتها أيضًا».

"هل ترى، لقد بدأت الآن تفهم يا بني، ماذا لو قررت سميرنو أن تُهاجم القاعدة قبلنا فتحوز بهذا على كل هذه القوة؟ إلى متى تعتقد أننا نستطيع الهرب من كوننا قوة تابعة؟ إلى متى تستطيع أن تحتفظ بعرشك؟».

قال ليبولد بحماس متزايد: «بحق الفضاء، أجل، أنت محق تمامًا، يجب أن نهجم أولًا، هذا ببساطة دفاع عن النفس».

اتسعت ابتسامة وينيس قليلًا وقال: «بالإضافة لذلك، ذات يوم في بداية حكم جدك أسست أناكريون بالفعل قاعدة عسكرية على تيرمينوس كوكب القاعدة، قاعدة نحتاجها بشكلٍ حيوي من أجل الدفاع القومي. لقد أُجبرنا على التخلي عن قاعدتنا العسكرية كنتيجة لمؤامرات قائد القاعدة الماكر اللئيم، إنه مجرد عالم بدون أدنى قطرة من الدماء النبيلة في عروقه. هل تفهم يا ليبولد؟ لقد تعرَّض جدك للإهانة على يد هذا القائد. أنا أذكره! لقد كان بالكاد أكبر مني عندما جاء إلى أناكريون بابتسامته الشيطانية

وعقلـه الشـيطاني، وقـوة الممالـك الثلاثـة الأُخـرى وراءه مجتمعـة في اتحـاد جبـان في وجـه عظمـة أناكريـون».

احتقـن وجـه ليبولـد ولمـع الغضـب في عينيـه وهـو يقـول: «بحـق سـيلدون، لـو كنـت في موضـع جـدي لقاتلـت رغـم ذلـك".

"لا يـا ليبولـد، لقـد قررنـا أن ننتظـر، أن نمحـو الإهانـة في الوقـت المناسـب، لقـد كانـت هـذه هـي أمنيـة أبيـك قبـل موتـه المفاجـئ؛ أن يكـون هـو الشـخص الـذي... حسـنًا، حسـنًا". أدار وينيـس وجهـه بعيـدًا لوهلـة ثـم قـال بصـوتٍ مختنـق: "لقـد كان أخـي، ولكـن إن كان ابنـه...".

"أجـل يـا عـمّاه، أنـا لـن أخذلـه، لقـد حسـمت أمـري؛ يبـدو لي أنـه مـن مصلحـة أناكريـون أن تمحـو وكـر المشـاغبين هـؤلاء وعـلى الفـور".

"لا، ليـس عـلى الفـور، أولًا يجـب أن ننتظـر حتـى ينتهـي إصـلاح السـفينة الحربيـة. إن حقيقـة اسـتعدادهم للقيـام بهـذه الإصلاحـات وحدهـا تُثبـت لنـا أنهم يخشـوننا. هـؤلاء الحمقـى يحاولون اسـترضاءنا، ولكننـا لـن ننحـرف عـن مسـارنا، أليـس كذلـك؟».

ضرب ليبولـد كفـه بقبضتـه وقـال: «لـن يحـدث هـذا مـا دمـت أنـا ملـك أناكريـون».

ارتعشـت شـفتا وينيـس في سـخرية وقـال: «كـما أننـا يجـب أن ننتظر وصـول سـالڤور هاردين».

"سـالڤور هارديـن!». اتسـعت عينـا الملـك فجـأة واختفـت التعابـير مـن عـلى وجهـه الأمـرد.

"أجـل يـا ليبولـد، قائـد القاعـدة بنفسـه سـيأتي إلى أناكريـون في يـوم مولـدك، عـلى الأرجـح لـكي يُهادننـا بكلماتـه المعسـولة، ولكـن هـذا لـن ينفعه».

"سالڤور هاردين!». كانت مجرد تمتمة.

عقد وينيس حاجبيه وقال: «هل أنت خائف من الاسم؟ إنه سالڤور هاردين نفسه الذي مرَّغ أنوفنا في التراب في زيارته السابقة. أنت لم تنسَ هذه الإهانة المشينة للعائلة الملكية؟ ومن مجرد قائد، حثالة الحثالة».

"لا، أعتقد لا، لا، لن أنسى، لن أنسى. سنجعله يدفع الثمن، ولكن... ولكن أنا خائف قليلًا".

اعتدل الوصي على العرش واقفًا وقال: «خائف؟ من ماذا؟ من ماذا أيها الـ...». اختنقت الكلمات في حلقه.

"سيكون هذا... اممم... نوعًا من الكُفر كما تعرف، الهجوم على القاعدة. أعني...". ثم صمت.

"أكمل".

قال ليبولد بحيرة: «أعني، إن كان هناك حقًّا روح مجرية فإنها... اممم، قد لا يُعجبها الأمر. ألا تعتقد هذا؟".

أجابه وينيس بصرامة: «لا، لا أعتقد». ثم جلس والتوت شفتاه في ابتسامة غريبة وقال: «إذن فأنت تشغل عقلك حقًّا بشأن الروح المجرية، أليس كذلك؟ هذه هي نتيجة تركك تجمح بخيالك. أفهم من هذا أنك كنت تنصت كثيرًا لفيريزوف".

"لقد شرح الكثير...".

"عن الروح المجرية؟".

"أجل".

"أيها الغر الساذج، إنه يؤمن بهذه الخدع أقل بكثير من إيماني بها، وأنا لا أؤمن بها إطلاقًا. كم مرة يجب أن أُخبرك أن كل هذا

الحديث هراء؟».

"حسنًا، أنا أعرف هذا، ولكن فيريزوف يقول...".

"لا تُنصت إلى فيريزوف، كل ما يقوله هراء».

خيَّم صمت قصير متمرد، ثم قال ليبولد: «الجميع يصدقون في هذا مثلي، أنا أعني كل هذا الحديث عن النبي هاري سيلدون وكيف اصطفى القاعدة لتنفذ وصاياه حتى يكون هناك ذات يوم عودة إلى الفردوس المجري، وكيف أن كل من سيعصي وصاياه سيهلك إلى الأبد. إنهم يؤمنون بهذا، لقد ترأست الاحتفالات الدينية وأنا واثق من أنهم يؤمنون".

"أجل هم يؤمنون، ولكن نحن لا نؤمن. وأنت يجب أن تكون شاكرًا لهذا. فأنت ملك بالحق الإلهي بفضل هذه الحماقات، وأنت نفسك شبه إله بفضلها. هذا الأمر مفيد للغاية؛ إنه يلغي كل احتمالات التمرد ويضمن الطاعة المطلقة في كل شيء. ولهذا يا ليبولد يجب أن يكون لك دور فعَّال في الأمر بالحرب ضد القاعدة. أنا فقط وصي على العرش، ومجرد بشري. أنت ملك وأكثر من نصف إله بالنسبة لهم".

قال الملك مُفكِّرًا: «ولكني أفترض أنني لست كذلك حقًّا».

جاءت الإجابة الساخرة: «لا، ليس حقًّا. ولكنك كذلك بالنسبة للجميع عدا سكان القاعدة. هل تفهم هذا؟ بالنسبة للجميع عدا القاعدة. ما إن تمحوهم فلن يبقى هناك أي شخص لينكر ألوهيتك. فكِّر في هذا!».

"وبعد ذلك سنكون قادرين بأنفسنا على إدارة صناديق الطاقة في المعابد والسفن التي تحلق بدون بشر، والطعام المقدس الذي يُعالج السرطان، وكل الأشياء الأخرى؟ لقد قال فيريزوف إن هؤلاء

فقط الذين تباركهم الروح المجرية هم من يقدرون...".

"أجل، فيريزوف قال هذا! فيريزوف ـ الرجل الثاني بعد سالڤور هاردين ـ هو أخطر أعدائك. ابقَ معي يا ليبولد ولا تقلق بشأنهم. معًا سوف نُعيد إنشاء إمبراطورية، ليست مملكة أناكريون فقط، ولكن واحدة تضم كل مليارات نجوم الإمبراطورية. هل هذا أفضل من مجرد فردوس مجري مزعوم؟».

"أجل".

"هل يُمكن أن يعد فيريزوف بأكثر من هذا؟".

"لا".

قال بصوت قاطع: «حسنًا، أعتقد أننا يُمكننا اعتبار المسألة محسومة». ثم قال دون أن ينتظر رد: «فلتنصرف، سوف أهبط لاحقًا. وهناك أمر آخر يا ليبولد».

التفت الملك الشاب وهو واقف عند العتبة.

قال وينيس وكل شيء فيه يبتسم عدا عينيه: «كن حذرًا في رحلات صيد النيكبيرد هذه يا بني، منذ الحادثة المؤسفة التي حدثت لأبيك وأنا أشعر أحيانًا بقلق شديد عليك. لا أحد يعرف ماذا يُمكن أن يحدث في تلك الفوضى بينما بنادق الصيد تملأ الهواء بالطلقات. آمل أنك ستكون حذرًا، وأنك ستفعل ما أقوله لك بشأن القاعدة، أليس كذلك؟».

اتسعت عينا ليبولد ثم نظر بعيدًا عن عينيّ عمه وقال: «أجل، بالتأكيد".

"جيدا". ثم أخذ يحدق بلا تعبير إلى ابن أخيه وهو يغادر قبل أن يعود إلى مكتبه.

كانت أفكار ليبولد وهو يُغادر كئيبة ومتخوفة، ربما سيكون

مـن الأفضـل أن يهـزم القاعـدة ويحـوز هـذه القـوة التـي تحـدث وينيـس عنهـا، ولكـن بعدهـا عندمـا تنتهـي الحـرب ويجلـس بأمـان علـى عرشـه يجـب عليـه أن يكـون مُـدركًا تمامًـا لحقيقـة أن وينيـس وابنيـه المتغطرسـين هـم الأقـرب للعـرش مـن بعـده.

ولكنه الملك، والملك باستطاعته أن يأمر بإعدام الناس.

حتى الأعمام وأبناء الأعمام.

الفصل الرابع

كان لويس بورت هو الرجل الأكثر نشاطًا بعد سيرماك نفسه في استقطاب العناصر المنشقة وضمها إلى حزب العمل الذي صار صاخبًا، ومع ذلك فإنه لم يكن واحدًا من وفد الانتداب الذي التقى بسالفور هاردين منذ نصف عام تقريبًا، لم يكن هذا بسبب أي عدم تقدير لمجهوداته، بل على النقيض تمامًا، لقد كان غائبًا لسبب وجيه للغاية؛ وهو أنه كان في كوكب عاصمة أناكريون في ذلك الوقت.

لقد زاره كمواطن عادي، لم يُقابل أي مسئولين ولم يفعل أي شيء ذي أهمية، لقد اكتفى فقط بمُراقبة الأركان المغمورة في هذا الكوكب المزدحم، ودسَّ أنفه القصير الثخين في الشقوق المغبرة.

لقد عاد إلى الوطن قُرب نهاية يوم شتوي قصير بدأ بالغيوم، وانتهى بالثلج، وفي غضون ساعة كان يجلس إلى الطاولة ثُمانية الأضلاع في منزل سيرماك.

لم تكن كلماته الأولى محسوبة لتحسين الجو العام للمجتمعين الذين كانوا مكتئبين بالفعل بسبب الشفق الثلجي الآخذ في الإظلام بالخارج.

قال: «أخشى أن موقفنا هو ما يقال عنه عادة في التعبير الميلودرامي: قضية خاسرة".

قال سيرماك باكتئاب: «هل تظن هذا؟».

"الأمر تخطَّى الظن يا سيرماك، لا يوجد مجال لأي آراء أُخرى".

قال دوكور والتو بطريقة شبه رسمية: «إن التسليح...».

ولكن بورت قاطعه على الفور: «انسَ هذا، هذه قصة قديمة». ثم دارت عيناه بين الحاضرين قبل أن يقول: «أنا أُشير إلى الشعب، أنا أعترف أنها كانت فكرتي في البداية أن نحاول إثارة تمرد من نوعٍ ما في القصر لتنصيب ملك أكثر ملاءمة لمصالح القاعدة. لقد كانت فكرة جيدة، لا تزال كذلك. العيب البسيط الوحيد فيها هو أنها مستحيلة، لقد حرص سالڤور هاردين العظيم على هذا».

قال سيرماك بحدة: «إذا تفضلت بإخبارنا بالتفاصيل يا بورت...».

"تفاصيل! لا يوجد أي تفاصيل! الأمر ليس بهذه البساطة، إنه الموقف اللعين بأكمله على أناكريون، إنها هذه الديانة التي أسَّستها القاعدة، لقد نجحت!".

"حسنًا!".

"يجب أن ترى نجاحها بنفسك لتقدرها. كل ما تراه هنا هو أن لدينا مدرسة كبيرة مُكرَّسة لتدريب الكهنة، وأن هناك مناسبة خاصة تقام أحيانًا في أحد الأركان المغمورة في المدينة من أجل الحجاج، هذا كل شيء، الأمر برمته بالكاد يؤثر علينا من الناحية العامة. ولكن على أناكريون...».

مرر ليم تاركي إصبعه على شاربه الأنيق ثم تنحنح وقال: «أي نوع من الديانات هي؟ إن هاردين يقول دومًا إنها مجرد مسرحية هزلية لجعلهم يقبلون علومنا دون مناقشة. أنت تذكر يا سيرماك أنه قد قال لنا ذلك اليوم...».

قال سيرماك: «إن تفسيرات هاردين عادة لا تعني شيئًا من الناحية الظاهرية. ولكن أي نوع من الديانات هي يا بورت؟».

قال بورت مُفكِّرًا: «من الناحية الأخلاقية لا بأس بها، إنها بالكاد تختلف عن الفلسفات العديدة للإمبراطورية القديمة، مُثُل أخلاقية

عُليا وما إلى ذلك. لا شيء يدعو للاعتراض في هذا الصدد. إن الدين هو واحد من أعظم المؤثرات الحضارية في التاريخ، ومن هذه الناحية فإنها تُحقق...».

قاطعه سيرماك في نفاد صبر: «نحن نعرف هذا، ادخل في صلب الموضوع».

أحسّ بورت بقليل من الانزعاج ولكنه لم يُظهر هذا وهو يقول: «الموضوع وما فيه هو أن الديانة ـ التي تبنّتها القاعدة وشجّعتها كما أذكركم ـ مبنية على أسس استبدادية صارمة. إن الكهنوت له التحكم المُطلق في الأدوات العلمية التي أعطيناها إلى أناكريون، ولكنهم لم يتعلموا التعامل مع هذه الأدوات إلا بشكل تجريبي فقط. إنهم يصدقون في هذه الديانة بشكلٍ كامل، وفي الـ... اممم... القيمة الروحية للقوة التي يتعاملون معها، على سبيل المثال منذ شهرين تلاعب أحد الحمقى بمحطة طاقة في معبد ثيساليكيان، إحدى المحطات الكبيرة، مما أدّى إلى تلويث المدينة بالطبع. لقد اعتبر الجميع بما فيهم الكهنة أن الأمر انتقام إلهي».

«أنا أتذكر هذا، لقد ذكرت الجرائد نسخة مُحرفة من القصة في ذلك الوقت. لا أرى ما الذي ترمي إليه».

قال بورت بجدية: «إذن فلتسمعني. إن الكهنوت يشكل تسلسلًا هرميًا على قمته يوجد الملك، وهو يعد إلهًا ثانويًا بطريقةٍ ما. إنه حاكم مطلق بالحق الإلهي، والناس يصدقون هذا تمامًا، والكهنة كذلك، لا يُمكنك أن تُطيح بملك كهذا، الآن هل فهمت الموضوع؟».

حينها قال والتو: «مهلًا، ما الذي قصدته عندما قلت إن هاردين فعل كل هذا؟ ما دوره في الأمر؟».

نظر بورت إليه بمرارة وقال: «إن القاعدة تدعم هذا الوهم

بشـكلٍ دؤوب، إننـا نضـع كل دعمنـا العلمـي وراء هـذه الخدعـة. لا يوجـد احتفـال دينـي يترأسـه الملـك دون أن يُحـاط بهالـة إشـعاعية تلمـع حـول جسـده بأكملـه وتعلـو رأسـه كالإكليـل، أي شـخص يلمسـه سـيُصاب بحـروق شـديدة، إن باسـتطاعته أن يتحـرك مـن مـكان إلى مـكان عـبر الهـواء بشـكلٍ مبهـر، مـن المفـترض أن هـذا بوحـي مـن روح إلهيـة. إنـه يمـلأ المعبـد بضـوء داخـلي سـاطع بإشـارة مـن يـده، لا يوجـد نهايـة لهـذه الخـدع البسـيطة التـي نصنعهـا مـن أجلـه. ولكـن حتـى الكهنـة يصدقونهـا، رُغـم أنهـم يعملـون عليهـا بأنفسـهم».

قال سيرماك وهو يعض شفته: «هذا سيئ!».

قـال بـورت بصـدق: «يمكنـني أن أصرخ مثـل النافـورة في متنـزَّه مبنـى البلديـة عندمـا أُفكـر في الفرصـة التـي أضعناهـا. عـلى سـبيل المثـال الموقـف منـذ ثلاثـين عامًـا عندمـا أنقـذ هارديـن القاعـدة مـن أناكريـون، في ذلـك الوقـت لم يكـن سـكان أناكريـون لديهـم أدنى تصـور عـن حقيقـة سـقوط الإمبراطوريـة، لقـد كانـوا يديـرون شـؤونهم الخاصـة بشـكلٍ أو بآخـر منـذ الثـورة الزيونيـة، ولكـن بعـد انقطـاع الاتصـالات، وبعـد أن نصـب جـد ليبولـد القرصـان نفسـه ملـكًا، لم يدركـوا قـط أن الإمبراطوريـة قـد ذهبـت بـلا عـودة.

لـو كان لـدى الإمبراطـور أدنى شـجاعة للمحاولـة لربمـا اسـتطاع فـرض سـيطرته مُجـددًا بسـفينتين حربيتـين، وبمُسـاعدة الثـورة الداخليـة التـي كانـت سـتحدث حتمًـا. ونحـن، نحـن كان باسـتطاعتنا أن نفعـل المثـل، ولكـن لا، لقـد أسّـس هارديـن مُلـكًا مُقدسًـا. أنـا شـخصيًا لا أفهـم الأمـر. لمـاذا؟ لمـاذا؟».

سـأل جيـم أورسي فجـأة: «مـا الـذي يفعلـه فيريـزوف؟ لقـد كان ذات يـوم ناشـطًا مرموقًـا. مـا الـذي يفعلـه هنـاك؟ هـل هـو أعمـى أيضًـا؟».

قال بورت باقتضاب: «أنا لا أعرف، إنه كاهن أكبر بالنسبة لهم، إنه لا يفعل شيئًا حسبما أعرف إلا العمل بمثابة مستشار للكهنوت في التفاصيل التقنية. مجرد دُمية، اللعنة عليه، مجرد دُمية».

خيَّم الصمت، والتفتت جميع الأعين إلى سيرماك، كان قائد الحزب الشاب يقضم أظافره في توتر، ثم قال بصوتٍ عالٍ: «هذا ليس جيدًا، الأمر مثير للريبة».

ثم تلفَّت حوله قبل أن يضيف بحماس أكبر: «هل هاردين بمثل هذه الحماقة؟».

هزَّ بورت كتفيه وقال: «يبدو لي هذا».

«مستحيل! هناك أمر خاطئ. إن قطع أعناقنا بهذه الدقة وبشكلٍ ميؤوس منه يحتاج إلى قدر هائل من الغباء. أكثر مما يُمكن أن يملكه هاردين، حتى وإن كان أحمق، وهو ما أنكره. من ناحية نؤسس ديانة تمحو أي فرصة للاضطرابات الداخلية، ومن الناحية الأُخرى نسلح أناكريون بكل أسلحة الحرب. أنا لا أفهم».

قال بورت: «أعترف أن الأمر غامض قليلًا، ولكن الحقائق هناك، ما الذي يمكن أن نعتقده سوى هذا؟».

قال والتو بعصبية: «هذه خيانة صريحة، إنهم يدفعون له».

ولكن سيرماك هز رأسه في نفاد صبر وقال: «أنا لا أرى هذا أيضًا، الأمر برمته جنوني وبلا معنى. أخبرني يا بورت، هل سمعت أي شيء عن السفينة الحربية التي يُفترض أن تُصلحها القاعدة من أجل أسطول أناكريون؟».

«سفينة حربية؟».

«سفينة حربية إمبراطورية قديمة...».

«لا لم أسمع عنها. ولكن هذا لا يعني الكثير، إن الساحات الخاصة

بالأسطول هي مقدسات دينية محرم تمامًا على العامة انتهاكها. لا يعرف أحد أي شيء عن الأسطول».

«حسنًا، لقد تسرَّبت الشائعات، بعض رجال الحزب قد طرحوا المسألة في المجلس. لم ينكر هاردين الأمر. المتحدث الرسمي باسمه ندَّد بمروجي الشائعات، ولم يقل أكثر من هذا. قد يعني هذا شيئًا».

قال بورت: «الأمر ينسجم مع بقية الأمور، إن كان هذا حقيقيًا فإنه جنوني تمامًا. ولكنه لن يكون أسوأ من البقية».

قال أورسي: «أفترض أن هاردين ليس لديه أي أسلحة سرية قيد الانتظار. هذا قد...».

قال سيرماك بشراسة: «أجل، عفريت علبة ضخم سوف يقفز في اللحظة المناسبة ليُخيف وينيس العجوز حتى يفقد الوعي. ربما من الأفضل للقاعدة أن تمحو نفسها من الوجود وتوفر على نفسها عناء الانتظار إن كان عليها أن تعتمد على أي أسلحة سرية».

قال أورسي ليغير الموضوع على الفور: «حسنًا، السؤال هو كم تبقَّى لدينا من الوقت؟ ما رأيك يا بورت؟».

«حسنًا، هذا هو السؤال، ولكن لا تنظر إليَّ، أنا لا أعرف. الإعلام في أناكريون لا يذكر القاعدة على الإطلاق، هم الآن مشغولون تمامًا بالاحتفالات القريبة ولا شيء آخر. إن ليبولد سيبلغ سن الرشد الأسبوع المقبل كما تعرفون».

ابتسم والتو لأول مرة هذا المساء وقال: «لدينا بضعة أشهر إذن. هذا يمنحنا بعض الوقت...».

صاح بورت في نفاد صبر: «هذا هراء. الملك إله كما قلت لكم. هل تعتقد أنه بحاجة إلى حملة دعائية ليشعل روح القتال في

شعبه؟ هل تعتقد أنه بحاجة لاتهامنا بالعدوانية وبذل قصارى جهده في تجييش العواطف الرخيصة؟ عندما يحين وقت الهجوم سيُصدر ليبولد أمره وشعبه سيُقاتل، بهذه البساطة. هذه هي قذارة هذا النظام. أنت لا تناقش إلهًا، باستطاعته ـ حسب علمي ـ أن يُصدر هذا الأمر اليوم قبل الغد، وصدقني أنا أعرف ما أقوله».

حاول الجميع أن يتحدثوا في وقتٍ واحد، فضرب سيرماك الطاولة بيده ليصمتوا، حينها انفتح الباب الأمامي ودلف ليفي نوراست، كان قد صعد السلم مرتديًا معطفًا، تاركًا وراءه خطًا من الثلج.

صاح وهو يُلقي بجريدة باردة مُغطاة برقائق الثلج على الطاولة: «انظروا إلى هذا! إن النشرات التلفازية تتحدث عنه أيضًا».

انفتحت الجريدة فانحنت الرؤوس الخمسة عليها، قال سيرماك بصوتٍ هامس: «بحق الفضاء، إنه ذاهب إلى أناكريون! ذاهب إلى أناكريون!».

صاح تاركي بحماس مفاجئ: «إنها خيانة، فلتحل عليَّ اللعنة إن لم يكن والتو محقًا، لقد باعنا والآن سيذهب إلى هناك ليقبض الثمن».

اعتدل سيرماك واقفًا وقال: «ليس لدينا خيار الآن، سأطلب من المجلس غدًا عزل هاردين من منصبه، وإذا لم ينجح هذا...».

الفصل الخامس

كان الثلـج قـد توقَّـف عـن الهطـول، ولكنـه غطَّـى الأرض بطبقـة عميقـة، فكانـت العربـة الأرضيـة الأنيقـة تتقـدم عـبر الشـوارع المهجـورة بحركـة بطيئـة. كان ضـوء أول الفجـر الرمـادي القاتـم بـاردًا وليـس بالمعنـى المجـازي فقـط، ولكـن بالمعنـى الحـرفي. ورُغـم الحالـة السياسـية المضطربـة في القاعـدة إلا أن أحـدًا ـ سـواء كان مـن حـزب العمـل أو مؤيـدي هارديـن ـ لم يجـد الـروح المعنويـة الكافيـة لـكي يبـدأ الأنشـطة الميدانيـة في مثـل هـذا الوقـت المبكـر.

لم يُعجـب هـذا يوهـان لي فقـال متذمـرًا بصـوت مسـموع: «سـيبدو هـذا سـيئًا يـا هارديـن، سـيقولون إنـك تسـلّلت هاربًـا».

«دعهـم يقولـون مـا يقولـون، يجـب أن أذهـب إلى أناكريـون وأُريـد أن أفعـل هـذا بـدون مشـاكل. والآن هـذا يكفـي يـا لي».

مـال هارديـن إلى الـوراء في المقعـد المبطـن، وارتجـف قليـلًا. لم يكـن الجـو بـاردًا داخـل العربـة جيـدة التدفئـة، ولكـن كان هنـاك شيء بـارد حيـال الكوكـب المغطـى بالثلـج قـد أزعجـه حتـى مـن وراء الزجـاج.

قـال مُفكـرًا: « إذا واتتنـا الفرصـة ذات يـوم فيجـب أن نُكيِّـف منـاخ تيرمينـوس. مـن الممكـن فعـل هـذا».

أجابـه لي: «أعتقـد أننـي أُفضِّـل فعـل أشـياء أُخـرى أولًا، عـلى سـبيل المثـال مـاذا عـن تكييـف منـاخ مـن أجـل سـيرماك؟ زنزانـة رائعـة جافـة مجهـزة بحـرارة خمـس وعشريـن درجـة مئويـة طيلـة العـام سـتكون مناسـبة تمامًـا».

قـال هارديـن: «وحينهـا سـأحتاج حقًّـا لحـراس شـخصيين، وليـس

فقط هذان الاثنان». كان يُشير إلى حارسيّ لي الجالسين في المقدمة مع السائق. أعينهم مصوبة على الشوارع الخاوية ويداهما متحفزتان على مسدسيهما الذرين. «من الواضح أنك تريد تأجيج نيران حرب أهلية».

«أنا؟ هناك قطع حطب أُخرى في النار، وصدقني لن تحتاج إلى الكثير من التأجيج». ثم بدأ يعد على أصابعه قائلًا: «واحد: لقد فتح سيرماك أبواب الجحيم بالأمس في مجلس المدينة وطالب بعزلك من منصبك».

أجابه هاردين بهدوء: «لقد كان لديه الحق الكامل في فعل هذا، ولكن اقتراحه قوبل بالرفض من 206 صوت، مُقابل 184 صوت».

«بالتأكيد، أغلبية بفارق اثنين وعشرين صوتًا، بينما كنا نُعوِّل على ستين على الأقل. لا تُنكر هذا؛ أنت تعرف أن هذا ما كنا نُعوِّل عليه».

قال هاردين معترفًا: «لقد كان وشيكًا».

«حسنًا. اثنان: بعد التصويت وقف أعضاء حزب العمل التسعة وخمسون وخرجوا من قاعة المجلس».

ظل هاردين صامتًا فأكمل لي: «ثلاثة: قبل أن يُغادر سيرماك صاح إنك خائن وإنك ذاهب إلى أناكريون لتقبض الثمن، وإن غالبية القاعة برفضهم التصويت على عزلك قد اشتركوا في الخيانة، وإن حزبهم ليس اسمه العمل من فراغ. كيف يبدو لك هذا؟».

«كمشكلة أعتقد».

«والآن أنت تهرب في الفجر كأنك مجرم. يجب أن تواجههم يا هاردين، وأن تُعلن الحكم العسكري إن اضطررت إلى هذا بحق الفضاء!».

«العنف هو الملاذ الأخير...».

«... للعاجز. تبًّا!».

«حسنًا سوف نرى. والآن اسمعني جيدًا يا لي؛ منذ ثلاثين عامًا فُتحت خزانة الزمن، في الذكرى الخمسين لتأسيس القاعدة، وهنالك ظهر تسجيل لهاري سيلدون ليعطينا فكرتنا الأولى عما يحدث حقًّا».

أومأ لي برأسه شبه مبتسم وهو يسترجع الذكرى: «أتذكر هذا، لقد كان اليوم الذي سيطرنا فيه على الحكومة».

«هذا صحيح، لقد كان وقت أزمتنا الكبرى الأولى. هذه هي أزمتنا الثانية، وفي غضون ثلاثة أسابيع من الآن ستحل الذكرى الثمانون لتأسيس القاعدة، هل يبدو لك هذا هامًّا بشكلٍ من الأشكال؟».

«هل تعني أنه سيأتي مُجددًا؟».

«لم أنتهِ بعد. لم يقل سيلدون أي شيء عن عودته كما تعرف، ولكن هذا يتفق مع خطته بأكملها، لقد بذل دومًا قصارى جهده ليمنع عنَّا أي معرفة مسبقة، وليس هناك أي طريقة لمعرفة إن كان الحاسوب مُعدًّا لفتح الخزانة مرة أُخرى إلا بتفكيك الخزانة، وهذا على الأرجح سيجعلها تدمر نفسها إن حاولنا فعل هذا. لقد حرصت على أن أكون هناك في كل ذكرى سنوية منذ الظهور الأول، فقط من باب الاحتياط، ولكنه لم يظهر قط. ولكن هذه هي المرة الأولى التي يكون هناك أزمة حقًّا».

«إذن سيأتي».

«ربما، أنا لا أعرف، ولكن هذا هو المغزى من حديثي. في جلسة اليوم في المجلس بعد أن تُعلن أنني غادرت إلى أناكريون، سيكون

عليك أن تُعلن أيضًا بشكلٍ رسمي أنه في الرابع عشر من مارس المقبل سيكون هناك تسجيل آخر من هاري سيلدون، يحتوي على رسالة ذات أهمية قصوى بخصوص الأزمة التي انتهت بنجاح. هذا بالغ الأهمية يا لي، لا تُضف شيئًا أكثر مهما ألحوا عليك بالأسئلة».

قال لي وهو يحدق إليه: «هل سيصدقون هذا؟».

«هذا لا يهم، المهم أنه سيربكهم وهذا هو كل ما أريده. ما بين التساؤل إن كان هذا حقيقيًّا وبين ما أعنيه إن لم يكن حقيقيًّا، سوف يقررون تأجيل التصرف إلى ما بعد الرابع عشر من مارس. سأكون قد عدت قبل هذا بوقتٍ طويل».

ظهر التردد على وجه لي وقال: «ولكن قولك إنها انتهت بنجاح فهذا هراء».

«هراء مُربك للغاية. ها هو المطار».

كانت سفينة الفضاء التي تنتظرهم تبدو ضخمة ومُظلمة في الضوء الخافت، خطا هاردين عبر الثلج ناحيتها ثم وقف عند باب غُرفة معادلة الضغط والتفت وراءه وهو يلوح بيده.

«إلى اللقاء يا لي، أكره أن أتركك في القِدر المغلي هكذا. ولكن لا يوجد أي شخص آخر يُمكنني أن أثق به. والآن من فضلك ابقَ بعيدًا عن النار».

«لا تقلق، القدر ساخن بما يكفي. سوف ألتزم بالأوامر». ثم خطا إلى الوراء قبل أن ينغلق الباب.

الفصل السادس

لم يُسافر هاردين إلى كوكب أناكريون ـ الذي أخذت المملكة منه اسمها ـ على الفور. لم يصل إلا في اليوم الذي يسبق التتويج، بعد زيارة ثمانية من أكبر المجموعات الشمسية في المملكة، متوقفًا هناك فقط بما يكفي للاجتماع مع الممثلين المحليين للقاعدة.

جعلته هذه الرحلة يدرك الاتساع المهول للمملكة. لقد كانت مجرد شظية صغيرة، ذرة غبار، بالمقارنة مع مساحات الإمبراطورية المجرية المهولة، التي كانت المملكة يومًا جزء مرموقًا منها. ولكن بالنسبة لشخصٍ قد تشكّلت أنماط تفكيره حول كوكب واحد، يتمتع ـ علاوة على ذلك ـ بكثافة سكانية منخفضة، فإن حجم أناكريون من حيث المساحة والكثافة السكانية كان مذهلًا.

كانت تتشكل إلى حد كبير من حدود ولاية أناكريون القديمة، فتضم خمسًا وعشرين مجموعة شمسية، ست منها تتضمن أكثر من كوكب واحد مأهول. كانت الكثافة السكانية تسعين مليارًا، ورُغم أنها أقل بكثير مما كانت عليه في أزهى عصور الإمبراطورية إلا أنها كانت تتزايد بشكلٍ ملحوظ مع زيادة التطور العلمي الذي تتبناه القاعدة.

وفي تلك اللحظة فقط أحسّ هاردين بجسامة المهمة، إن كوكب العاصمة وحده هو المزود بمحطات الطاقة رُغم مرور ثلاثين عامًا، بينما الأقاليم الخارجية ـ التي تُمثل مساحات شاسعة ـ ما زالت تنتظر عودة الطاقة النووية. والشيء الوحيد الذي جعل إحراز هذا التقدم ممكنًا هو المخلفات التي لا تزال صالحة للعمل، والتي تركتها وراءها أمواج الإمبراطورية المنحسرة.

عندما وصل هاردين إلى كوكب العاصمة وجد أن كل الأعمال الاعتيادية متوقفة تمامًا. في الأقاليم الخارجية كان ـ ولا يزال ـ هناك احتفالات، ولكن هنا على كوكب أناكريون لم يكن هناك شخص واحد لا يُشارك بشكل محموم في المهرجان الديني الحافل، الذي يُبشر بوصول الملك الإله ليبولد إلى سن الرشد.

لم يستطع هاردين سوى أن ينتزع نصف ساعة من فيريزوف المنهك والمتعجل، قبل أن يضطر سفيره إلى الإسراع للإشراف على احتفال في معبد آخر. ولكن نصف الساعة تلك كانت مثمرة للغاية، فهيأ هاردين نفسه لألعاب الليلة النارية برضا تام.

كان مكتفيًا طيلة الوقت بالمراقبة من بعيد، فلم يكن لديه أي رغبة في القيام بالمهام الدينية التي سيضطر لتوليها بلا شك في حال معرفة هويته الحقيقية. لذا عندما امتلأت قاعة الاحتفال في القصر بحشد متألق من أسمى وأجَلّ نُبلاء المملكة اختار أن يجلس بالقرب من الجدار فلم يتلقَّ سوى القليل من الاهتمام، أو التجاهل التام.

كان قد وقف وسط صف طويل من المتقدمين ليتعرف عليه ليبولد، ومن مسافة آمنة، فقد وقف الملك منعزلًا في عظمة مذهلة، مُحاطًا بهالة متألقة من الأشعة المميتة. وفي غضون أقل من ساعة سيجلس هذا الملك على عرش ضخم مصنوع من مزيج من معدني الروديوم والإيريديوم، مرصع بالمجوهرات والنقوش الذهبية. وبعدها سيرتفع العرش بمهابة في الهواء ويحلِّق فوق الأرض ببطء حتى يحوم أمام النافذة الكبيرة، التي يستطيع من خلالها جمهور العامة المحتشد أن يروا ملكهم فيصيحوا حتى يكادوا أن يفقدوا الوعي. كان العرش ضخمًا للغاية لسبب واحد بالطبع؛ وهو أنه يحتوي على محرك نووي مخفي بداخله.

تجاوزت الساعة الحادية عشرة، فتململ هاردين في جلسته ثم اعتدل واقفًا على أصابع قدميه ليرى بشكلٍ أفضل، قاوم رغبة عابرة في أن يقف على الكرسي، ثم رأى وينيس يشق الزحام ناحيته فاسترخى.

كان وينيس يقترب ببطء، فبعد كل خطوة تقريبًا كان يضطر إلى تبادل جملة لطيفة مع هذا النبيل أو ذاك، والذي كان جده قد ساعد جد ليبولد في الاستيلاء على المملكة، وحصل بعدها على لقب دوق.

وأخيراً خلَّص نفسه من آخر ضيف يرتدي زيًا رسميًا ووصل إلى هاردين. تحوَّلت ابتسامته إلى ابتسامة ساخرة، وأطل بعينيه السوداوين من أسفل حاجبين أشهبين بلمعة رضا.

قال بصوت منخفض: «من البديهي أن تشعر بالملل يا عزيزي هاردين عندما ترفض الإفصاح عن هويتك».

«أنا لا أشعر بالملل جلالتك. هذا كله مثير للاهتمام للغاية، ليس لدينا احتفالات مشابهة على تيرمينوس كما تعرف».

«بلا شك، ولكن هل تُمانع المجيء إلى جناحي الخاص، حيث يُمكننا أن نتحدث باستفاضة وبخصوصية كبيرة؟».

«بالتأكيد».

بذراعين متشابكتين صعد كلاهما السلم، وقد نظرت إليهما أكثر من دوقة أرملة في دهشة، وتساءلت عن هوية هذا الغريب الذي يرتدي ملابس بسيطة ولا يبدو هامًا، والذي أسبغ عليه الأمير الوصي على العرش بهذا الشرف الكبير.

في جناح وينيس استرخى هاردين في راحة تامة وقَبِلَ بتمتمة شكر كأس الشراب الذي صبه له الوصي على العرش بيده.

قال وينيس: «هذا نبيذ لوكريس يا هاردين، من القبو الملكي. نبيذ حقيقي، عمره مئتا عام، وُضِع قبل الثورة الزيونية بعشر سنوات».

قال هاردين بلباقة: «مشروب ملكي حقيقي. نخب ليبولد الأول ملك أناكريون».

ثم شربا قبل أن يُضيف وينيس بجمود من بين رشفاته: «وقريبًا سيصير إمبراطور المحيط الخارجي، وبعدها مَن يعرف؟ قد تتوحد المجرة مرة أُخرى ذات يوم».

«بلا شك، ولكن على يد أناكريون؟».

«لِمَ لا؟ بمساعدة القاعدة لن يكون هناك جدال في تفوقنا العلمي على بقية المحيط الخارجي».

وضع هاردين كأسه الفارغ جانبًا وقال: «حسنًا، أجل، عدا أن القاعدة ملتزمة بالطبع بمساعدة أي أمة تطلب منها المساعدة العلمية. غير أننا لا نقدر على محاباة أحد بسبب المثالية العُليا لحكومتنا، والغرض الأخلاقي العظيم لمؤسسنا هاري سيلدون. ليس باليد حيلة جلالتك».

اتسعت ابتسامة وينيس وقال: «إن الروح المجرية ـ إذا استخدمنا المصطلح الشائع ـ تُساعد هؤلاء الذين يساعدون أنفسهم، أنا أفهم تمامًا أننا إذا تركنا القاعدة وشأنها فإنها لن تتعاون أبدًا».

«ما كنت لأقول هذا، فإننا قد أصلحنا السفينة الإمبراطورية من أجلكم رُغم أن مجلس الملاحة لديَّ كانوا يرغبون في الحصول عليها من أجل أغراض بحثية».

كرَّر الوصي على العرش الكلمات الأخيرة بسخرية: «أغراض بحثية! أجل! ومع ذلك لم تكونوا لتصلحوها لو لم أهدد بالحرب».

هز هاردين كتفيه وقال: «لا أعرف».

«أنا أعرف، وهذا التهديد كان قائمًا دومًا».

«ولا يزال قائمًا الآن؟».

«الآن قد فات أوان التهديدات». ثم ألقى وينيس نظرة سريعة على الساعة الموضوعة على مكتبه وقال: «اسمعني يا هاردين، لقد كنتَ هنا على أناكريون ذات مرة من قبل، لقد كنتَ شابًّا حينها. كان كلانا شابًّا، ولكن حتى حينها كان لدينا طريقتان مختلفتان تمامًا في النظر للأمور؛ أنت ما يسمونه برجل السلام، أليس كذلك؟».

«أفترض أنني كذلك. على الأقل أعتبر العنف وسيلة غير اقتصادية لتحقيق الغايات. هناك دومًا بدائل أفضل، رُغم أنها أحيانًا قد لا تكون مُباشِرة بعض الشيء».

«أجل، لقد سمعت عن شعارك الشهير؛ العنف هو الملاذ الأخير للعاجز، ومع ذلك...»، حكَّ الوصي على العرش خلف أذنه ليُعطي أثرًا دراميًّا، «... لن أقول عن نفسي عاجزًا بالضبط».

أومأ هاردين برأسه في لباقة ولم يقل شيئًا.

أكمل وينيس قائلًا: «ورُغم هذا، لطالما آمنت بالفعل المباشِر، آمنت بشق طريق مستقيم إلى هدفي واتباع هذا الطريق. لقد حققت الكثير بهذه الطريقة وأتوقع تمامًا أن أُحقق المزيد».

قاطعه هاردين قائلًا: «أنا أعرف، أعتقد أنك تشق طريقًا ـ كهذا الذي وصفته ـ من أجلك ومن أجل أبنائك، طريق يقود مُباشرة إلى العرش. بالأخذ في الاعتبار الموت المؤسف للملك السابق ـ أخيك الكبير ـ وحالة الملك الحالي الصحية غير المستقرة. إنه بالفعل في حالة صحية غير مستقرة، أليس كذلك؟».

عقد وينيس حاجبيه على الفور وقال: «ربما يكون من مصلحتك يا هاردين أن تتجنب مواضيع معينة. قد تعتبر نفسك ـ كعمدة تيرمينوس ـ تمتلك الحق في إبداء ملحوظات طائشة، ولكن إن كنت تفكر في هذا فأرجوك أخرج من عقلك هذه الفكرة. لست أنا من تخيفه الكلمات. لقد كانت فلسفتي طيلة حياتي هي أن المشكلات تختفي عندما تواجهها بشجاعة، وأنا لم أُدِر ظهري لأي مشكلة حتى الآن».

«أنا لا أشك في هذا. ما المشكلة المعينة التي ترفض أن تُدير إليها ظهرك في الوقت الحالي؟».

«مشكلة إقناع القاعدة بالتعاون يا هاردين. سياستك في السلام كما ترى قد جعلتك تقع في أخطاء جسيمة عديدة. ببساطة لأنك تستهين بشجاعة خصمك. لا يخشى الجميع من التصرف المباشِر مثلك».

سأله هاردين: «على سبيل المثال؟».

«على سبيل المثال لقد جئت إلى أناكريون وحدك، وصحبتني إلى جناحي وحدك».

تلفَّت هاردين حوله ثم قال: «وما الخطأ في هذا؟».

قال الوصي على العرش: «لا شيء، عدا أنه بخارج هذه الغرفة هناك خمسة حراس شرطة مسلحون ومستعدون لإطلاق النار. لا أعتقد أن باستطاعتك المغادرة يا هاردين».

رفع العمدة حاجبيه وقال: «ليس لديَّ حاليًا أي رغبة في المغادرة. هل تخشاني إذن إلى هذا الحد؟».

«أنا لا أخشاك على الإطلاق، ولكن هذا قد يُساعد على إقناعك بمدى جديتي. هل يُمكننا أن نسميها لفتة؟».

قال هاردين بلا اكتراث: «فلتسمها ما تشاء، أنا لن أزعج نفسي بما يحدث، أيًّا كان ما اخترت تسميته».

«أنا واثق أن هذا السلوك سيتغير مع الوقت، ولكنك وقعت في خطأ آخر يا هاردين، خطأ أكثر جسامة. يبدو لي أن كوكب تيرمينوس غير مؤهل للدفاع عن نفسه إلى حد كبير».

«هذا طبيعي، ماذا لدينا لنخشاه، نحن لا نهدد مصلحة أحد، ونخدم الجميع على قدم المساواة».

أكمل وينيس قائلًا: «وبينما يبقى كوكبكم بلا دفاع، تكرَّمت أنت بمساعدتنا لتسليح أنفسنا، وساعدتنا على وجه الخصوص في تطوير أسطول خاص بنا، أسطول عظيم. لقد صار في الواقع أسطولًا لا يُمكن مقاومته بعد إهدائنا السفينة الإمبراطورية».

اعتدل هاردين واقفًا من كرسيه وقال: «جلالتك، أنت تُضيع الوقت، إن كنت تقصد إعلان الحرب، وأنك تخبرني الآن بهذه الحقيقة فيجب أن تسمح لي بالتواصل مع حكومتي على الفور».

«اجلس يا هاردين، أنا لا أُعلن الحرب، وأنت لن تتواصل مع حكومتك على الإطلاق. عندما تندلع الحرب ـ تندلع يا هاردين لا تُعلن ـ فإن القاعدة ستعرف بها في الوقت المناسب بقذائف أسطول أناكريون النووية تحت قيادة ابني على متن سفينة القيادة الملكية وينيس، التي كانت يومًا سفينة من الأسطول الإمبراطوري».

عقد هاردين حاجبيه وقال: «متى سيحدث كل هذا؟».

«إن كنت مهتمًّا حقًّا فإن سفن الأسطول قد غادرت أناكريون منذ خمسين دقيقة بالضبط؛ في الحادية عشرة. وستُطلق أول ضربة بمجرد أن يصبح تيرمينوس على مرمى بصرهم، وهو ما يجب أن

يكون في ظهيرة الغد. يُمكنك أن تعد نفسك أسير حرب».

قال هاردين وهو لا يزال عاقدًا حاجبيه: «أنا أعتبر نفسي هكذا بالفعل جلالتك، ولكني أشعر بخيبة أمل».

ضحك وينيس بازدراء وقال: «أهذا كل شيء؟».

«أجل، لقد توقَّعت أن لحظة التتويج ـ في منتصف الليل كما تعرف ـ ستكون الوقت المنطقي لتحريك الأسطول. من الواضح أنك أردت أن تبدأ الحرب بينما أنت لا تزال الوصي على العرش، ولكن الأمر كان سيصبح أكثر درامية بالطريقة الأُخرى».

قال الوصي على العرش: «ما الذي تتحدث عنه بحق الفضاء؟».

قال هاردين: «ألا تفهم؟ لقد أعددت ضربتي المضادة في منتصف الليل».

اعتدل وينيس قائمًا من كرسيه وقال: «أنت لن تخدعني، لا يوجد ضربة مضادة، إن كنت تعتمد على دعم الممالك الأخرى فانسَ الأمر، إن أساطيلهم مجتمعة لا يُمكنها مجابهة أسطولنا».

«أنا أعرف هذا، أنا لن أُطلق النار. الأمر ببساطة هو أنني قد أصدرت أمرًا منذ أسبوع فحواه أنه في منتصف هذه الليلة سيخضع كوكب أناكريون للحظر».

«الحظر؟».

«أجل، إن كنت لا تفهم فيُمكنني أن أشرح لك؛ إن كل كاهن في أناكريون سيقوم بالإضراب ما لم ألغِ أوامري، ولكني لا أستطيع أن أفعل هذا بينما أنا محتجز، وأنا لا أرغب في فعل هذا حتى لو لم أكن محتجزًا». ثم مال للأمام وقال: «هل تُدرك جلالتك أن الهجوم على القاعدة لا يُمكن وصفه إلا بأنه انتهاك مقدسات من الطراز الأول».

بدا واضحًا على وينيس أنه يحاول السيطرة على نفسه وهو يقول: «أنا لا أعتقد في هذا الهراء يا هاردين، فلتحتفظ به للعامة».

«لمن تظن أنني أحتفظ به يا عزيزي وينيس؟ أتصور أنه طيلة النصف ساعة الماضية كل معبد في أناكريون كان محاطًا بحشد من العامة يستمعون إلى كاهن وهو يحضهم على الأمر، لا يوجد رجل أو امرأة في أناكريون لا يعرف أن حكومته قد شنت هجومًا عدائيًا غير مبرر على قلب ديانته. ولكن لم يتبقَّ سوى أربع دقائق على منتصف الليل، من الأفضل أن تنزل إلى قاعة الاحتفال لتراقب الأحداث. سوف أكون في أمان هنا مع خمسة حراس خارج الباب». ثم مال للوراء في كرسيه وصبّ لنفسه كأسا آخر من نبيذ لوكريس، قبل أن يحدِّق إلى السقف في لا مبالاة تامة.

اندفع وينيس في غضب مفاجئ خارجًا من الغرفة.

خيَّم الصمت على صفوة المجتمع في قاعة الاحتفال، بينما هم يفسحون الطريق من أمام العرش. كان ليبولد جالسًا عليه ويداه متشبثتان بذراعي العرش، رأسه عالٍ ووجه متجمد. كان ضوء الثريات الضخمة قد خفت، وعلى ضوء المصابيح النووية الصغيرة متعددة الألوان التي ترصع السقف المحدب لمعت الهالة الملكية بسطوع، وهي تعلو فوق رأسه لتشكل إكليلًا متوهجًا.

توقَّف وينيس على السلم، لم يرَه أحد، كل العيون كانت مصوبة على العرش، ضم قبضتيه وظل حيث هو، لن تجعله خدعه هاردين يتصرف بشكلٍ طائش.

ثم اهتزَّ العرش وارتفع بدون صوت وحلَّق في الهواء من فوق المنصة وهبط السلم ثم حلَّق أفقيًا على ارتفاع خمسة سنتيمترات من الأرض. كان يتحرك من تلقاء نفسه ناحية النافذة الكبيرة

المفتوحة.

ومع صوت الجرس العميق الذي يشير إلى منتصف الليل توقّف العرش أمام النافذة... وانطفأت الهالة الملكية.

تجمَّد كل شيء لثانية، لم يتحرَّك الملك وقد ارتسمت الدهشة على وجهه، بدون هالة، مجرد بشري. ثم تمايل العرش وسقط على الأرض بصوت مرتفع، وفي تلك اللحظة انطفأت كل الأضواء في القصر.

ما بين الارتباك والصخب المرتفع تردد صدى صوت وينيس الجهور: «أحضروا المشاعل! أحضروا المشاعل!».

اندفع يمينًا ويسارًا ليشق طريقه عبر الحشد ناحية الباب، ومن الخارج اندفع حراس القصر ليتدفقوا داخل الظلمة.

جلبت المشاعل إلى قاعة الاحتفال بطريقة ما، تلك المشاعل التي كان يجب أن تستخدم في موكب هائل عبر شوارع المدينة بعد التتويج.

تدفق الحراس إلى قاعة الاحتفال بالمشاعل، زرقاء وخضراء وحمراء، وفي الضوء الغريب ظهرت وجوه خائفة مرتبكة.

صاح وينيس: «لم يحدث أي ضرر، ابقوا في مواضعكم، ستعود الطاقة خلال لحظات».

ثم التفت إلى قائد الحرس الذي كان يقف منتصبًا بانتباه وقال: «ما الأمر أيها القائد؟».

«إن القصر محاط بسكان المدينة جلالتك».

قال وينيس بحدة: «ماذا يريدون؟».

«هناك كاهن يتقدمهم، وقد تبيَّن أنه الكاهن الأكبر بولي

فيريـزوف، إنـه يُطالـب بإطـلاق سراح العمـدة سـالڤور هارديـن عـلى الفـور، وإيقـاف الحـرب عـلى القاعـدة». كان الضابـط يتحـدث بلهجـة رسـمية ولكـن عينيـه كانتـا تتحـركان باضطـراب.

صـاح وينيـس: «إن حـاول أي واحـد مـن هـؤلاء الرعـاع أن يدخـل مـن بوابـة القـصر فلتطلقـوا عليـه النـار عـلى الفـور. لا تفعلـوا شـيئًا آخـر مؤقتًـا. دعهـم يصيحـون، سـيكون هنـاك حسـاب في الغـد».

كانــت المشـاعل قـد وُزِّعــت وأضـاءت قاعـة الاحتفـال مُجـددًا، فاندفـع وينيـس ناحيـة العـرش الـذي لا يـزال مسـتقرًا بجـوار النافـذة ثـم جـذب ليبولـد المصعـوق ممتقـع الوجـه ليقـف عـلى قدميـه.

«تعـالَ معـي». ثـم نظـر خـارج النافـذة، كانـت المدينـة في ظـلام دامـس. وبالأسـفل كان هنـاك صيحـات فوضويـة مـن الحشـد الغاضـب. لم يكـن هنـاك ضـوء سـوى ناحيـة اليمـين حيـث يوجـد معبـد أرجوليـد. سـبَّ في غضـب، ثـم جـذب الملـك بعيـدًا.

اندفـع وينيـس إلى جناحـه والحـراس الخمسـة في عقبيـه، ومـن ورائهـم ليبولـد متسـع العينـين، خائفًـا، عاجـزًا عـن الـكلام.

صـاح وينيـس بغضـب: «أنـت تعبـث مـع قـوى أكـبر منـك يـا هارديـن».

تجاهلـه العمـدة، كان يجلـس في هـدوء عـلى ضـوء مصبـاح الجيـب النـووي الموضـوع جانبـه، بابتسـامة شـاحبة سـاخرة عـلى وجهـه.

قـال متحدثًـا إلى ليبولـد: «صبـاح الخـير جلالتـك، أهنئـك عـلى تتويجـك».

صـاح وينيـس مُجـددًا: «فلتأمـر كهنتـك بالعـودة إلى وظائفهـم يـا هارديـن».

نظـر هارديـن إليـه بـبرود وقـال: «فلتأمرهـم بنفسـك ولـنرى مـن

يعبث بقوى أكبر منه. الآن لا يوجد عجلة تدور في أناكريون، لا يوجد مصباح مضاء إلا في المعابد، لا يوجد نقطة ماء تجري إلا في المعابد. على الجزء الشتوي من الكوكب لا يوجد أدنى تدفئة إلا في المعابد. المستشفيات لا تقبل أي مرضى، محطات الطاقة قد أُطفئت. كل السفن محتجزة. إن لم يعجبك هذا يا وينيس فلتأمر الكهنة بالعودة إلى وظائفهم. أنا لا أرغب في هذا».

«سأفعل هذا يا هاردين بحق الفضاء، إن أردت أن يكون هذا تحدي قوة فليكن. سوف نرى إن كان كهنتك يُمكنهم مواجهة الجيش. الليلة سيخضع كل معبد على الكوكب لإشراف الجيش».

«هذا جيد، ولكن كيف ستُعطي أوامرك، كل خطوط الاتصالات على الكوكب مغلقة، ستجد أن الموجات والموجات الفائقة لا تعمل. في الواقع إن وسيلة التواصل الوحيدة على الكوكب التي لا تزال تعمل ـ خارج المعابد بالطبع ـ هو الهاتف التليفزيوني الموجود هنا في هذه الغرفة، ولقد هيَّأته من أجل الاستقبال فقط».

كان وينيس يُكافح لالتقاط أنفاسه، ولكن هاردين أكمل: «إذا أردت فيُمكنك أن تأمر جيشك باقتحام معبد أرجوليد القريب من القصر، ويُمكنك حينها أن تستخدم جهاز الموجات فوق الصوتية هناك للتواصل مع الأجزاء الأُخرى من الكوكب. ولكني أخشى أن الحشد الغاضب سيمزق فرقة الجيش إربًا، وبعدها، مَن سيحمي قصرك يا وينيس؟ ومَن سيحمي حياتكم يا وينيس؟».

قال وينيس بغلظة: «باستطاعتنا أن نصمد أيها الشيطان، سوف نصمد طيلة اليوم، دع الحشد الغاضب يصيح، ودع الطاقة تنضب، ولكننا سنصمد. وعندما تأتي الأخبار بأن القاعدة قد خضعت للاحتلال فإن حشدك الغاضب سيكتشف حقيقة الخواء الذي

بُنيت عليه ديانتهم، وسيهجرونك كهنتك وينقلبون عليك. سننتظر حتى ظهيرة الغد يا هاردين، فباستطاعتك أن توقف الطاقة على أناكريون ولكنك لا تستطيع أن توقف أسطولي». ثم قال بانتصار: «إنهم في طريقهم يا هاردين، وعلى رأسهم السفينة الحربية العظيمة التي أمرت أنت نفسك بإصلاحها».

قال هاردين ببساطة: «أجل، السفينة الحربية التي أمرت أنا نفسي بإصلاحها، ولكن بطريقتي الخاصة. أخبرني يا هاردين، هل سمعت من قبل عن بث الموجات الفائقة؟ لا، أرى أنك لم تسمع. حسنًا في غضون دقيقتين ستكتشف بنفسك ما الذي يستطيع المرء فعله».

مع كلماته الأخيرة نبض الهاتف التليفزيوني بالحياة فقال مستدركًا: «لا، بل ثانيتين. اجلس يا وينيس وأنصت».



الفصل السابع

كان ثيو أبورات يحمل رتبة عالية بين كهنة أناكريون. من منظور الأقدمية وحده كان يستحق منصبه ككاهن مرافق رئيسي على متن سفينة القيادة الملكية وينيس.

إلا أنه لم يستحق هذا بسبب رتبته أو أقدميته فقط، ولكن لأنه كان يعرف السفينة، لقد عمل مباشرة تحت إشراف رجال القاعدة المقدسين أنفسهم على إصلاح السفينة، لقد تفحَّص المحركات وفق أوامرهم، لقد أعاد تركيب أسلاك الأجهزة التلفازية وعمل على تجديد أجهزة الاتصال وتصفيح الهيكل المثقوب، وإعادة تعزيز دعامات السفينة. لقد سمح له حكماء القاعدة بأن يُساعِدهم أثناء تركيب جهاز مقدس للغاية، لم يوضع في أي سفينة من قبل، ولكنهم احتفظوا به فقط من أجل هذه السفينة العملاقة المذهلة؛ جهاز بث الموجات الفائقة.

ليس من العجيب أنه أحس بقلبه ينفطر عندما عرف الغرض الذي تنطلق نحوه هذه السفينة المهيبة. لم يرغب في أن يصدق ما أخبره فيريزوف به؛ أن السفينة ستُستخدم في شر مروع، أن مدافعها ستصوب ناحية القاعدة العظيمة. ستصوب ناحية هذه القاعدة التي تدرب فيها في شبابه، ومنبع كل البركات.

ولكن الآن لم يعد لديه شك، بعد ما أخبره به الأدميرال.

كيف يُمكن للملك المُبارَك إلهيًا أن يسمح بمثل هذه الفعلة النكراء؟ أم أنه لم يكن الملك؟ هل يُمكن أن يكون هذا فعل وينيس، الوصي اللعين على العرش، بدون معرفة الملك على الإطلاق؟ كان هذا الأدميرال هو ابن وينيس، وهو الذي قال له

منذ خمس دقائق: «فلتهتم بأرواحك وبركاتك أيها الكاهن، أنا سأهتم بسفينتي».

ابتسم أبورات بسخرية، سوف يهتم بالأرواح والبركات، ولكنه سيهتم أيضًا باللعنات، وقريبًا سيبكي الأمير ليفكِن.

دلف إلى غُرفة الاتصالات العامة يسبقه مُساعده، ولم يبدِ الضابطان المسؤولان أي بادرة اعتراض. لقد كان لدى الكاهن المرافق الرئيسي حرية دخول أي مكان في السفينة كما يحلو له.

قال أبورات آمرًا: «أغلق الباب». ثم نظر إلى ساعته؛ لم يتبقَّ سوى خمس دقائق، لقد حسب الوقت بدقة.

بحركة سريعة متمرسة حرّك الرافعات الصغيرة التي تفتح كل أجهزة الاتصال، لذا يُمكن لصوته وصورته أن يصلا إلى كل مكان في السفينة التي يبلغ طولها ميلين.

«جنود السفينة الملكية وينيس، انتباه! كاهنكم المرافق يتحدث!». كان يعرف أن صوته يتردد بداية من المدافع الذرية في أقصى مؤخرة السفينة وحتى طاولات الملاحة في المقدمة.

صاح: «إن سفينتكم متورطة في انتهاكٍ للمقدسات بدون معرفتكم، إن مثل هذا الفعل سيحكم على روح كل رجل بينكم بالهلاك في صقيع الفضاء الأبدي! أنصتوا إليّ، إن نية قائدكم هي أن يأخذ هذه السفينة إلى القاعدة، وهناك سيقصف مصدر كل البركات ليخضعه إلى مشيئته الآثمة. وبما أن هذه هي نيته فأنا ـ باسم الروح المجرية ـ أعزله من منصبه كقائد، فلا يوجد أي قيادة لمَن حُرِم مِن بركة الروح المجرية. إن الملك الإلهي بنفسه لا يُمكنه أن يحتفظ بملكه بدون رضا الروح».

كانت نبرة صوته تزداد عمقًا بينما مساعده ينصت إليه بتبجيل،

والجنديـان ينصتـان بخـوف متعاظـم. «ولأن هـذه السـفينة تسـعى في مثـل هـذا المسـعى الشـيطاني فـإن بركـة الـروح قـد نُزِعـت منهـا أيضًا».

ثـم رفـع ذراعيـه بشـكلٍ مهيـب، وأمـام ألـف تلفـاز في أنحاء السـفينة انكمـش الجنـود بينـما صـورة كاهنهـم المرافـق المهيبـة تتحدث.

«باســم الــروح المجريــة، وباســم نبيهــا هــاري ســيلدون، وباســم مفسريـه رجـال القاعـدة المقدسين، أنـا ألعـن هـذه السـفينة. فلتُصَـب أجهـزة تلفـاز السـفينة، التـي هـي أعينهـا، بالعمـى. فلتُصـب مراسـيها، التـي هـي أذرعهـا، بالشـلل. فلتفقـد مدافعهـا النوويـة، التـي هـي قبضاتهـا، قدرتهـا عـلى العمـل. فلتتوقّـف محركاتهـا، التـي هـي قلبهـا، عـن النبـض. فلتخـرس أجهـزة اتصالهـا، التـي هـي صوتهـا. فلتخمـد أجهـزة تهوياتهـا، التـي هـي أنفاسـها. فلتـذوي أضواؤهـا، التـي هـي روحهـا، حتـى تصـير لا شيء. باسـم الـروح المجريـة أنـا ألعـن هـذه السـفينة».

ومـع كلماتـه الأخـيرة ومـع دقـات منتصـف الليـل، فتحـت يَـدٌ جهاز بـث الموجـات الفائقـة في معبـد أرجوليـد عـلى بعـد سـنوات ضوئيـة، الـذي فتـح بـدوره عـلى الفـور جهـازًا آخـر في سـفينة القيـادة الملكيـة وينيـس بسرعـة الموجـات الفائقـة.

فماتت السفينة!

تلـك هـي السـمة الرئيسـية لديانـة العلـم، وهـي أنهـا تنجـح فيـما تسـعى إليـه، لـذا كانـت لعنـات مثـل لعنـات أبـورات هـذه مهلكـة حقًّـا.

رأى أبـورات الظـلام يُحكـم الخنـاق عـلى السـفينة، وسـمع التوقـف المفاجـئ لهمهمـة المحـركات الذريـة الفائقـة البعيـدة. ابتهـج وهـو يخـرج مـن جيـب عباءتـه الطويلـة مصباحًـا نوويًـا يعمـل بالطاقـة

الذاتيـة ليمـلأ الغرفـة بضوئـه الأبيـض.

نظـر بعينيـه إلى الجنديـين اللذيـن كانـا رجلـين شـجاعين بـلا شـك، ولكنهـما كانـا جاثيـين عـلى ركبهـما في أقـصى درجـات الرعـب البشريـة. قـال أحدهـما منتحبًـا: «أنقـذ أرواحنـا قداسـتك، نحـن رجـال مسـاكين نجهـل جرائـم قادتنـا».

قال أبورات بحزم: «اتبعاني، إن روحيكما لم تضيعا بعد».

كانـت السـفينة تتخبـط في فـوضى مـن الظلمـة، حيـث كان الخـوف فيهـا كثيفًـا ومحسوسًـا، ومـن كل مـكان تفـوح رائحـة كريهـة. كان الجنـود يحتشـدون بالقـرب مـن أي مـكان يمـر فيـه أبـورات ودائـرة ضوئـه، يسـعون جاهديـن للمـس طـرف عباءتـه ويتوسـلون مـن أجـل أصغـر ذرة مـن رحمـة.

كانت إجابته دومًا هي: «اتبعوني».

ثـم عـثر عـلى الأمـير ليفكِـن يتلمَّـس طريقـه عـبر جنـاح الضبـاط وهـو يسـب بصـوتٍ عـالٍ مـن أجـل الضـوء. حـدَّق الأدمـيرال إلى الكاهـن المرافـق بعينـين مبغضتـين.

«هـا أنـت ذا!». كان ليفكِـن قـد ورث عينيـه الزرقاويـن مـن أمـه، ولكنـه كان يملـك الأنـف الخطـافي والعـين الحـولاء اللذيـن يميزانـه كابـن وينيـس. «مـا معنـى هـذه الخيانـة؟ فلتعـد الطاقـة إلى السـفينة، أنـا القائـد هنـا».

أجابه أبورات بوجوم: «لم تعد كذلك».

تلفَّـت ليفكِـن حولـه وقـال: «أمسـكوا بهـذا الرجـل، اقبضـوا عليـه، وإلا فبحـق الفضـاء سـألقي كل رجـل يسـمع صـوتي الآن إلى خـارج السـفينة في العـراء». ثـم صمـت قبـل أن يصيـح مجـددًا: «هـذه أوامـر قائدكـم، اقبضـوا عليـه».

ثـم فقـد صوابـه تمامًـا وصـاح: «هـل ستسـمحون لهـذا الدجـال، هـذا المهـرج، أن يخدعكـم؟ هـل تنكمشـون خوفًـا أمـام ديانـة مـن الهـراء والخرافـات؟ هـذا الرجـل محتـال والـروح المجريـة التـي يتحـدث عنهـا هـي خدعـة مـن الخيـال اختُلِقـت لـكي...».

قاطعـه أبـورات بغضـب: «اقبضـوا عـلى هـذا الكافـر، إن اسـتماعكم إليـه يعـرض أرواحكـم للخطـر».

وعـلى الفـور سـقط الأدمـيرال النبيـل تحـت ضربـات مجموعـة مـن الجنـود الذيـن أمسـكوا بـه عـلى الفـور.

«خذوه معكم واتبعوني».

اسـتدار أبـورات والجنـود يجـرون ليفكـن وراءه، تـاركًا الممـرات المظلمـة المليئـة بالجنـود، عائـدًا إلى غُرفـة الاتصـال. هنـاك أمـر بوضـع القائـد السـابق أمـام جهـاز الاتصـال التلفزيـوني الوحيـد الـذي لا يـزال يعمـل.

«فلتأمـر بقيـة الأسـطول بالتخـلي عـن مسـارهم والاسـتعداد للعـودة إلى أناكريـون».

ثـم نفـذ ليفكِـن الأشـعث النـازف المـضروب وشـبه فاقـد الوعـي كل مـا أُمِـر بـه.

أكمـل أبـورات متجهـمًا: «والآن نحـن عـلى تواصـل مـع أناكريـون عـبر الشـعاع الموجـي الفائـق. فلتتحـدَّث بمـا سـآمرك بـه».

أشـار ليفكِـن إشـارة اعـتراض فزمجـر الحشـد الغاضـب في الغرفـة والآخـرون المحتشـدون في الممـرات وراءهـا بشـكلٍ مخيـف.

قال أبورات: «تحدَّث! ابدأ قائلًا: أسطول أناكريون...».

فبدأ ليفكِن بالحديث.

الفصل الثامن

كان هناك صمت مطبق في جناح وينيس عندما ظهرت صورة الأمير ليفكِن على شاشة جهاز الاتصال التليفزيوني. شهق الوصي على العرش في ذعر لمرأى وجه ابنه المنهك وزيه الرسمي الممزق، ثم هوى بجسده على الكرسي ووجهه متلوٍّ في ذهولٍ وترقب.

أنصت هاردين في هدوء وقد شبك يديه بخفة على حجره، بينما ليبولد ـ الملك المتوج للتو ـ كان يجلس مرتجفًا في الركن الأكثر ظلمة وهو يعض كُمَّه المرصع بالذهب بحركة متشنجة. حتى الجنود امحت من على وجوههم النظرة الصارمة التي تميز العسكريين، وراحوا يختلسون النظر إلى الهيئة الظاهرة على الشاشة حيث يقفون أمام الباب، ومسدساتهم النووية في وضع الاستعداد.

تحدث ليفكِن مُرغَمًا بصوت مجهد، وكان يتوقف من آن لآخر كأن أحدهم يحثه على الحديث، وبطريقة غير لطيفة:

«أسطول أناكريون... يُدرك طبيعة المهمة... ويرفض أن يكون جزءًا... من هذا الانتهاك الشنيع للمقدسات... إنه عائد إلى أناكريون... مع هذا التحذير النهائي... إلى هؤلاء العصاة الكافرين... الذين يجرؤون على استخدام القوة الدنسة... في وجه القاعدة... منبع كل البركات... وفي وجه الروح المجرية. أوقفوا على الفور كل حرب في وجه... الإيمان الحقيقي... وتعهَّدوا بطريقة يقبلها أسطولنا ... الذي يُمثله... كاهننا المرافق ثيو أبورات... على أن هذه الحرب... لن تستأنف في المستقبل... وأن...». وهنا صمت طويلًا قبل أن يُكمل: «وأن يُسجن الوصي السابق على العرش الأمير وينيس... وأن يُعرَض أمام محكمة إكليريكية... ليُحاكم على جرائمه،

وإلا فإن الأسطول الملكي... عند عودته إلى أناكريون... سوف ينسف القصر تمامًا... ويأخذ أي تدابير أخرى... يراها ضرورية... لتدمير وكر الخطاة... وعرين مخربي... الأرواح البشرية الذين يحكمون الآن».

انتهى الصوت بشبه بكاء ثم اختفت الصورة من على الشاشة.

ضغطت أصابع هاردين بحركة سريعة على المصباح النووي فخفت ضوؤه حتى تلاشى تمامًا، وغرق الوصي على العرش ـ مؤقتا ـ والملك والجنود في الظلام. فصار من الممكن لأول مرة رؤية الهالة التي تُحيط بهاردين.

لم يكن ضوؤها ساطعًا مثل الهالة التي تُميز الملوك، فقد كانت أقل إبهارًا وإثارة للإعجاب، ورُغم ذلك كانت أكثر فاعلية بطريقتها الخاصة، وأكثر نفعًا.

كان صوت هاردين هادئًا وساخرًا وهو يحدث وينيس نفسه الذي كان منذ ساعة واحدة يخبره بأنه أسير حرب وأن تيرمينوس على وشك الدمار، ولكنه صار الآن مجرد ظل منكمش، محطم وصامت.

قال هاردين: «هناك حكاية قديمة ربما بقدم البشرية ذاتها، فإن أقدم السجلات التي تحويها هي مجرد نسخ من سجلات أُخرى أقدم، قد تثير اهتمامك، إنها كالتالي:

كان هناك حصان له عدو قوي وخطير، عبارة عن ذئب، وكان يعيش في خوف دائم على حياته. بسبب يأسه خطر له أن يبحث عن حليف قوي. عندئذ اقترب من رجل وعرض عليه التحالف مُشيرًا إلى أن الذئب هو بالمثل عدو للرجل، قَبِلَ الرجل الشراكة وعرض عليه أن يقتل الذئب على الفور، بشرط أن يتعاون شريكه

الجديد معه بأن يضع سرعته الكبيرة تحت تصرف الرجل. كان الحصان مستعدًّا للتعاون وسمح للرجل بأن يضع عليه سرجًا ولجامًا. امتطاه الرجل ولاحق الذئب حتى قتله. أحس الحصان بالبهجة والراحة، فشكر الرجل وقال: الآن وقد مات عدونا فلتنزع سرجك ولجامك وتعيد إليَّ حريتي. عندئذ ضحك الرجل بصوت عالٍ وأجاب: أبدًا!. ثم ضغط على المهمازين بقوة».

خيّم الصمت ولم يتحرك وينيس، الذي كان على هيئة ظل.

أكمل هاردين بهدوء: «آمل أنك تفهم التشبيه. بسبب تحرق الملوك الأربعة شوقًا لترسيخ سلطتهم على شعبهم، قبلوا ديانة العلم التي تجعلهم مؤلَّهين، ولكن ديانة العلم ذاتها كانت هي سرجهم ولجامهم، فقد وَضَعَتْ شريان حياة الطاقة النووية في أيدي الكهنوت، الذين يأخذون أوامرهم منا ـ إذا كنت قد لاحظت هذا ـ وليس منكم. لقد قتلتم الذئب ولكنكم لم تستطيعوا التخلص من الر...».

اعتدل وينيس واقفًا على قدميه في الظلام، وعيناه كتجويفين من الجنون، قال بصوت أجش وغير مترابط: «ولكني سأنال منك. أنت لن تهرب. سوف تتعفن. دعهم ينسفوننا. دعهم ينسفون كل شيء. ولكنك ستتعفن! سأنال منك!».

ثم صاح بصوتٍ هيستيري: «أيها الحراس! أطلقوا النار على هذا الشيطان. اقتلوه! اقتلوه!».

أدار هاردين كرسيه ليواجه الجنود وابتسم. صوَّب أحدهم مسدسه النووي، ثم خفضه، البقية لم يتحركوا قيد أنملة. كان سالفور هاردين، عمدة تيرمينوس، مُحاطًا بهذه الهالة الخافتة، مبتسمًا في ثقة كبيرة، وقد انهارت أمامه كل قوى أناكريون عن

بكرة أبيها، مهيبًا للغاية بالنسبة لهم، رغم أوامر المجنون الصارخ وراءهم.

صرخ وينيس بثرثرة غير مفهومة، ثم انقض على أقرب الجنود منه وانتزع المسدس النووي من يده بعنف ليصوبه ناحية هاردين الذي لم يهتز له جفن، ثم ضغط على الزناد بحركة مستمرة.

مسَّ الشعاع الباهت المتواصل حقل الطاقة الذي يُحيط بعمدة تيرمينوس فامتصه بلا ضرر وأبطل مفعوله. ضغط وينيس بقوة أكبر وهو يضحك بجنون.

ظل هاردين مبتسمًا وهالة حقل الطاقة بالكاد تزداد لمعانًا وهي تمتص طاقة المسدس النووي. غطَّى ليبولد عينيه وهو يبكي في أحد الأركان.

وبعدها مع صرخة يأس غيَّر وينيس الهدف الذي يصوب عليه وأطلق مجددًا، ثم هوى إلى الأرض وقد انفجر رأسه إلى قطع متناثرة.

امتعض وجه هاردين لهذا المشهد ثم قال: «رجل فعل مباشر حتى النهاية. الملاذ الأخير!».

الفصل التاسع

كانت خِزانة الزمن ممتلئة؛ ممتلئة بعدد أكبر بكثير من عدد الكراسي، وقد اصطف الناس في ثلاثة صفوف في مؤخرة الغُرفة.

قارن سالفور هاردين هذا العدد الكبير بالرجال القليلين الذين حضروا الظهور الأول لهاري سيلدون قبل ثلاثين عامًا. لقد كان هناك حينها ستة رجال فقط؛ الموسوعيون الخمسة السابقون ـ جميعهم موتى الآن ـ وهو نفسه العمدة الصوري الشاب. لقد كان هذا هو اليوم الذي أزال فيه ـ بمُساعدة يوهان لي ـ وصمة الصورية من مكتبه.

الأمر مختلف كثيرًا الآن، مختلف في جميع النواحي. كل رجل من مجلس المدينة كان ينتظر ظهور سيلدون. هو نفسه لا يزال عمدة ولكنه قوي للغاية الآن، ويحظى بشعبية طاغية بعد الهزيمة الكاملة لأناكريون. عندما عاد من أناكريون مع أخبار موت وينيس والاتفاقية الجديدة التي وقَّعها مع ليبولد المرتجف استقبله المجلس بتصويت على الثقة بإجماع صارخ. ثم تلا ذلك ـ وبشكلٍ متسارع ـ توقيع اتفاقيات مماثلة مع كل مملكة من الممالك الثلاثة الأُخرى؛ اتفاقيات تمنح القاعدة قوى ستمنع إلى الأبد أي محاولات لهجوم يشبه هجوم أناكريون، فملأت المواكب التي تحمل المشاعل كل شارع من شوارع مدينة تيرمينوس. حتى اسم هاري سيلدون لم يهتف به الناس بمثل هذا الصوت المرتفع من قبل.

ارتعشت شفتا هاردين، لقد حظي بمثل هذه الشعبية بعد الأزمة الأولى أيضًا. على الطرف الآخر من الغُرفة كان سيف سيرماك

ولويس بورت منهمكين في مناقشة حيوية، فيبدو أن الأحداث الأخيرة لم تزحهما من الطريق تمامًا. لقد انضما إلى التصويت على الثقة وأصدرا تصريحات رسمية اعترفا فيها بشكلٍ علني بأنهما كانا مخطئين، واعتذرا بشدة عن استخدامهما لعبارات معينة في المناقشات السابقة، والتمسا لنفسيهما العذر بكياسة؛ بأن أعلنا أنهما كانا فقط يتبعان ضميرهما وتقديرهما للموقف... وعلى الفور أطلقا حملة انتخابية جديدة لحزب العمل.

لمس يوهان لي كُمَّ هاردين وأشار بشكلٍ ذي مغزى إلى ساعته، نظر إليه هاردين وقال: «مرحبًا يا لي، هل ما زلت متعكر المزاج؟ ما الخطب الآن؟».

«سيكون هنا في غضون خمس دقائق، أليس كذلك؟».

«أفترض هذا، لقد ظهر في الظهيرة المرة السابقة».

«ماذا لو لم يظهر؟».

«هل ستُرهقني بمخاوفك طيلة حياتك؟ إن لم يظهر فلن يظهر».

عقد لي حاجبيه وهزَّ رأسه ببطء ثم قال: «إن فشل هذا الأمر فسنكون في ورطة أُخرى، من دون دعم سيلدون لما فعلناه فإن سيرماك سيكون حرًّا ليبدأ من جديد، إنه يُريد الاحتلال التام للممالك الأربعة وتوسيع رقعة القاعدة، وبالقوة إن اقتضت الضرورة، لقد بدأ حملته الانتخابية بالفعل».

«أنا أعرف، إن نافخ النار سيظل ينفخ النار حتى وإن أحرق نفسه. وأنت يا لي، ستظل تقلق حتى وإن اضطررت لأن تقتل نفسك لكي تخترع شيئًا لتقلق حياله».

كان لي على وشك أن يرد عليه ولكنه حبس أنفاسه في نفس اللحظة التي شحب فيها الضوء وخفت، ثم رفع ذراعه وهو

يشير إلى المقصورة الزجاجية التي تحتل نصف الغرفة، قبل أن يرمي بجسده على كرسيه وهو يتنهد مطولًا.

هاردين نفسه اعتدل في مقعده لرؤية الصورة التي تملأ المقصورة، صورة رجل في كرسي متحرك! كان وحده بين الحاضرين من يستطيع أن يتذكر ذلك اليوم منذ عقود عندما ظهرت هذه الصورة لأول مرة. كان هو شابًا حينها، وكان الرجل عجوزًا. منذ ذلك الحين لم يكبر الرجل يومًا واحدًا، ولكن هو نفسه قد صار عجوزًا.

كان الرجل يحدق أمامه مباشرة وهو ينقر بأصابعه على كتاب موضوع في حجره.

قال: «أنا هاري سيلدون!». كان الصوت عجوزًا وهادئًا.

خيَّم صمت يسوده الانبهار، بينما هاري سيلدون يُكمل المُحادثة: «هذه هي المرة الثانية التي أكون فيها هنا، بالطبع أنا لا أعرف إن كان أي منكم قد كان هنا في المرة الأولى، في الواقع أنا ليس لديَّ أي طريقة لكي أعرف بالإدراك الحسي إذا ما كان هناك أي شخص موجود هنا على الإطلاق، ولكن هذا لا يهم، إن كنتم قد اجتزتم الأزمة الثانية بسلام فيجب أن تكونوا هنا، لا مناص من ذلك، إن لم تكونوا هنا فإن الأزمة الثانية كانت أكبر من قدراتكم».

ثم ابتسم بطريقة جذابة وقال: «ولكني أشك في هذا، فحساباتي تُظهر عدم وجود أي انحراف ملحوظ عن الخطة في الثمانين عامًا الأولى باحتمال يبلغ نسبة ثمانية وتسعين فاصل أربعة بالمئة.

إنكم الآن ـ وفق حساباتنا ـ قد استطعتم السيطرة على الممالك البربرية المحيطة مباشرة بالقاعدة، في الأزمة الأولى استطعتم ردعهم باستخدام توازن القوى، أما في الثانية فقد استطعتم التغلب عليهم

باستخدام القوة الروحية في وجه القوة الدنيوية.

ولكن يجب عليّ هنا أن أحذركم من الثقة المفرطة. ليس من عادتي أن أمنحكم أي معرفة مسبقة في هذه التسجيلات، ولكنه سيكون من الآمن أن أشير إلى أن ما حققتموه الآن هو مجرد توازن جديد. ولكن موقفكم في هذا التوازن أفضل بكثير. القوة الروحية ستكون كافية لردع أي هجوم للقوة الدنيوية، إلا أنها ليست كافية للمبادرة بالهجوم، فإن القوى الروحية لا يُمكن أن تسود بسبب النمو الثابت للقوة المضادة المعروفة باسم الإقليمية أو القومية. أنا واثق أنني لا أُخبركم بشيء جديد عليكم.

يجب أن تعذروني بالمناسبة لحديثي بمثل هذه الطريقة المبهمة، المصطلحات التي أستخدمها هي ـ في أحسن الأحوال ـ مجرد تقديرات تقريبية، ولكن لا يوجد بينكم من هو مؤهل لفهم الرموز الحقيقية لعلم التاريخ النفسي، ولذا يجب أن أبذل قصارى جهدي.

إن القاعدة ـ في هذه الحالة ـ هي فقط على بداية الطريق الذي يؤدي إلى الإمبراطورية المجرية الثانية. إن الممالك المجاورة لا تزال قوية للغاية من حيث القوة البشرية والموارد، بالمقارنة بكم، وخارجهم تقع الغابة الشاسعة المتشابكة من البربرية التي تمتد حول نطاق المجرة بأكمله. داخل هذا الإطار لا يزال يوجد ما تبقى من الإمبراطورية المجرية، وعلى الرغم من ضعفها وتآكلها إلا أنها لا تزال قوية بشكلٍ لا يُضاهى».

في تلك اللحظة رفع هاري سيلدون كتابه وفتحه، وصار وجهه أكثر رصانة. «ولا تنسوا أبدًا أن هناك قاعدة أُخرى قد أُسست منذ ثمانين عامًا، قاعدة في الطرف الآخر من المجرة، عند منتهى

النجوم، إنهم سيكونون هناك دومًا من أجل رعاية الأمر. أيها السادة، يمتد أمامكم تسعمئة وعشرون عامًا من الخطة. المشكلة مشكلتكم».

خفض عينيه إلى كتابه، فاهتزت الصورة ثم اختفت تمامًا، قبل أن تسطع الأضواء بنورها الباهر. بين الثرثرة التي تلت ذلك مال لي على أذن هاردين وقال: «إنه لم يقل متى سيعود».

أجابه هاردين: «أنا أعرف، ولكني واثق أنه لن يعود قبل أن نكون أنا وأنت ميتين في راحة وسلام».

الجزء الرابع
التجار

التجـار: ... مـع الازديـاد المطـرد لهيمنـة القاعـدة السياسـية ظهـر التجـار، الذيـن بسـطوا نفوذهـم عـبر المسـافات الشاسـعة لمحيـط المجـرة الخارجـي. قـد تمـر شـهور أو سـنوات بـين خروجهـم مـن تيرمينـوس وعودتهـم إليـه، لم تكـن سـفنهم تحمـل عـادة إلا حمـولات مـن المصنوعـات المحليـة والابتـكارات. لم تكـن الأمانـة هـي أفضـل خصائصهـم، ولكـن شـجاعتهم...

استطاعوا مـن خلالهـا تأسـيس إمبراطوريـة أكـثر رسـوخًا مـن الديانـة الزائفـة التـي فُرِضَـت عـلى الممالـك الأربعـة...

هنـاك حكايـات لا حـصر لهـا تُـروى عـن هـؤلاء الأشـخاص العظـام المتفرديـن، الذيـن حملـوا بشـكلٍ نصـف جـاد نصـف سـاخر شـعارًا مسـتوحى مـن أحـد أقـوال سـالفور هارديـن «لا تـدع حسَّـك الأخلاقـي يمنعـك مـن فعـل مـا هـو صحيـح!»، مـن الصعـب الآن معرفـة أي مـن هـذه الحكايـات صحيـح وأيهـا مختلـق، ولكـن لا يوجـد مـن بينهـا عـلى الأرجـح مـا لم يخضـع لبعـض المبالغـة...

الموسوعة المجرية

الفصل الأول

كان ليمار بونيتس متحمسًا تمامًا عندما وصل هذا الاتصال إلى جهاز الاستقبال الخاص به، وهو ما يثبت أن هذه المقولة القديمة عن المراسلة عن بعد والاستحمام لا تزال صحيحة حتى في الأعماق الباردة المُظلمة في أطراف المجرة الخارجية.

لحسن الحظ أن هذا الجزء من السفينة التجارية الحرة، الذي لم يُخصَّص للبضائع التجارية، كان مريحًا للغاية، حتى أن الحمّام الذي يتضمن الماء الساخن كان واسعًا، ويقع على بعد عشرة أقدام من لوحات التحكم. سمع بونيتس الخشخشة المتقطعة لجهاز الاتصال بوضوحٍ شديد.

خطا خارج الحمام ـ يتساقط منه الماء والصابون ـ لتعديل الجهاز الصوتي. بعد ثلاث ساعات اقتربت سفينة تجارية أُخرى من سفينته حتى صارت بمحاذاتها، ثم دلف شاب مبتسم عَبْرَ الأنبوب الهوائي بين السفينتين.

دفع بونيتس كرسيه المفضل للأمام وجلس قُبالة لوحة القيادة، ثم سأل الشاب بوجوم: «ما الذي تفعله يا جورم؟ هل كنت تُلاحقني كل هذه المسافة من القاعدة؟».

أشعل ليز جورم سيجارًا ثم هزَّ رأسه بحزم وقال: «أنا؟ بالطبع لا. أنا مجرد شخص تعيس الحظ تصادف أن يهبط على جليبتال 4 بعد يوم من وصول الرسالة، لذا أرسلوني للحاق بك مع هذه».

ناوله جورم كرة صغيرة لامعة ثم أضاف: «إنها سرية للغاية، لا يُمكن أن يعهدوا بها إلى الأثير العادي على الإطلاق، أو هذا ما فهمته. إنها كبسولة شخصية، لا يستطيع أحد سواك أن يفتحها».

نظـر بونيتـس إلى الكبسـولة بامتعـاض وقـال: «لقـد فهمـت هـذا. لم تحمـل لي أي واحـدة مـن هـذه الأشـياء خـبرًا سـعيدًا قـط».

ثـم انفتحـت في يـده وخـرج منهـا شريطًـا شـفًافًا، قـرأ الرسـالة بعينيـه بسرعـة، فعندمـا خـرج آخـر الشريـط كان أولـه قـد صـار بنيًّـا ومتجعـدًا، وفي غضـون دقيقـة ونصـف تحـول إلى اللـون الأسـود وتحلَّـل إلى جزيئـات متناثـرة.

زمجر بونيتس: «بحق المجرة!».

قـال ليـز جـورم بهـدوء: «هـل يُمكننـي المُسـاعدة بشـكل مـا؟ أم أن الأمـر سري للغايـة؟».

«يُمكننـي أن أُخـبرك بمـا أنـك مـن النقابـة، يجـب أن أذهـب إلى أسـكون».

«ذلك المكان؟ لماذا؟».

«لقد سجنوا تاجرًا، ولكن أبقِ الأمر سرًّا بيني وبينك».

ارتسـم الغضـب عـلى وجـه جـورم وهـو يقـول: «سـجنوا تاجـرًا! هـذا يُخالـف الاتفاقية».

«وكذلك التدخل في السياسة المحلية».

قـال جـورم مُفكـرًا: «آه! أهـذا مـا فعلـه؟ مـن هـو هـذا التاجـر؟ هـل هو شـخص أعرفـه؟».

قـال بونيتـس بحـدة: «لا». فقبـل جـورم التلميـح الضمنـي ولم يسـأل أي أسـئلة أُخـرى.

كان بونيتـس قـد اعتـدل واقفًـا وراح يحـدق بوجـوم خـارج كـوة المراقبـة. قـال شـيئًا عـن هـذا الجـزء مـن الشـكل العـدسي الضبـابي الـذي يُشـكل جسـد المجـرة، ثـم قـال بصـوتٍ أعـلى: «يـا لهـا مـن

فـوضى لعينـة، أنـا متخلـف كثـيرًا عـن حصتـي مـن المبيعـات».

فجـأة تذكَّـر جـورم شـيئًا فقـال: «مهـلًا يـا صديقـي، إن أسـكون منطقـة مغلقـة».

«هـذا صحيـح، لا يُمكنـك أن تبيـع حتـى مِديـة في أسـكون، إنهـم لـن يشـتروا معـدات نوويـة مـن أي نـوع. مـع التقصـير الشـديد الـذي تُعاني منـه حصتـي مـن المبيعـات فـإن الذهـاب إلى هنـاك يُعـد انتحـارًا».

«ألا تستطيع التملص من الأمر؟».

هـزَّ بونيتـس رأسـه وهـو غـارق في تفكـيره وقـال: «أنا أعرف الشـخص المتـورط، لا أسـتطيع التخـلي عـن صديـق. مـاذا يهـم؟ أنـا بـين يـديَّ الـروح المجريـة وأسـير بابتهـاج في الطريـق الـذي تُشـير إليـه».

قال جورم في حيرة: «ماذا؟».

نظـر بونيتـس إليـه ثـم ضحـك ضحكـة قصـيرة وقـال: «لقـد نسـيت، أنـت لم تقـرأ كتـاب الـروح مـن قبـل، أليـس كذلـك؟».

قال جورم باقتضاب: «لم أسمع عنه قط».

«حسنًا، كنت ستسمع عنه لو أنك تلقيت تدريبًا دينيًا».

«تدريب ديني؟ من أجل الكهنوت؟». كان جورم مصدومًا حقًّا.

«أخـشى هـذا. إنـه سري المخجـل. لقـد كنـت صعـب المـراس بالنسـبة للآبـاء المقدسـين، فطـردوني لأسـباب كافيـة لترشـيحي للتعليـم المـدني تحـت إشراف القاعـدة. حسـنًا، اسـمعني، مـن الأفضـل أن أذهـب. مـا أخبـار حصتـك مـن المبيعـات هـذا العـام؟».

أطفـأ جـورم سـيجاره وعـدَّل مـن وضـع قبعتـه قبـل أن يقـول: «لقـد أرسـلت شـحنتي الأخـيرة للتـو. سـأنجح في تحقيقهـا بالتأكيـد».

قـال بونيتـس باكتئـاب: «يـا لـك مـن محظـوظ». ثـم جلـس بـلا

حـراك غارقًـا في أفـكاره لبضـع دقائـق بعـد رحيـل ليـز جـورم.

إن إسكِل جوروق في أسكون إذن، وهو في السجن أيضًا.

كان هـذا سـيئًا للغايـة! إن الأمـر في الواقـع أسـوأ بكثـير مـما قـد يبـدو عليـه. هنـاك فـارق بـين إخبـاره الشـاب الفضـولي بنسـخة مبسـطة مـن الأمـر ليتخلـص منـه، وبـين مواجهـة الحقيقـة. فقـد كان ليـمار بونيتـس واحـدًا مـن القلائـل الذيـن يعرفـون أن التاجـر الخبـير إسـكِل جـوروق لم يكـن تاجـرًا عـلى الإطـلاق، بـل شـيئًا مختلفًـا تمامًـا؛ إنـه عميـلٌ للقاعـدة.

الفصل الثاني

لقد مرَّ أسبوعان! أسبوعان ضاعا هباءً.

أسبوع للوصول إلى أسكون، حيث التقت به السفن الحربية اليقظة بأعداد كبيرة عند أقصى حدودها. أيًا كان نظام التعقب الذي يستخدمونه فإنه يعمل، وبكفاءة.

أحاطوا به ببطء وبدون أدنى إشارة، مبقين مسافة آمنة بينهم وبينه وهم يقتادونه بقسوة ناحية شمس أسكون المركزية.

كان باستطاعة بونيتس أن يتعامل معهم إذا اقتضى الأمر. كانت هذه السفن هي بقايا الإمبراطورية المجرية البائدة، ولكنها كانت سفنًا رياضية وليست سفنًا حربية، وبدون أسلحة نووية. مجرد أشكال بيضاوية جميلة المنظر عديمة النفع. ولكن إسكِل جوروق كان سجينًا بين أيديهم، وجوروق ليس أسيرًا يُمكنهم التفريط فيه، لا شكَّ أن الأسكونيين يعرفون هذا.

ثم مرَّ أسبوع آخر، أسبوع ليشق طريقه لأعلى عبر سحب الموظفين الصغار الذين يشكلون حاجزًا بين السيد الأكبر والعالم الخارجي. كل سكرتير مساعد كان يتطلب مجاملة وترضية، كل واحد منهم كان يتطلب تملقًا حذرًا ومثيرًا للغثيان من أجل الحصول على توقيعه المزخرف الذي يفتح الطريق إلى المسئول التالي الذي يعلوه مرتبة.

للمرة الأولى يجد بونيتس أوراق هويته كتاجر عديمة النفع.

وأخيرًا بعد مضيّ أسبوعين، كان السيد الأكبر على الناحية الأُخرى من الباب المطلي بالذهب المُحاط بالحراس.

كان جوروڤ لا يزال سجينًا وبضاعة بونيتس تتعفن بلا جدوى في مخازن سفينته.

كان السيد الأكبر رجلًا قصيرًا برأس أصلع ووجه متجعد للغاية، وبدا أن جسده مثقل ولا يقدر على الحركة بسبب الياقة الفروية الضخمة اللامعة التي تُحيط بعنقه.

حرك أصابعه من جانب إلى الآخر فتراجع صف الرجال المسلحين ليشكلوا ممرًّا خطا عبره بونيتس حتى وقف أمام كرسي الرئاسة.

قال السيد الأكبر على الفور: «لا تتحدث». فأغلق بونيتس شفتيه المفتوحتين.

استرخى حاكم أسكون بشكلٍ واضح وقال: «هذا جيد، أنا لا أستطيع تحمل الثرثرة عديمة النفع، أنت لا تستطيع تهديدي، وأنا لا أقبل التملق، ولا يوجد أيضًا أي مجال هنا للشكاوى المتضررة. لا يُمكنني إحصاء عدد المرات التي حذَّرنا فيها المتجولين أمثالك من أن آلاتكم الشيطانية غير مرغوب فيها في أي مكان في أسكون».

قال بونيتس بهدوء: «هذه ليست محاولة لتسويغ تصرف هذا التاجر يا سيدي، ليس من سياسة التجار أن نتطفل على مكان غير مرغوبين فيه، ولكن المجرة كبيرة، وقد حدث من قبل أن تخطى أحدهم الحدود بشكل غير مقصود، لقد كان خطأً مؤسفًا».

قال السيد الأكبر: «مؤسف، بالتأكيد. ولكن خطأ؟ لقد انهال عليَّ رفاقك من جليبتال 4 بالتوسلات من أجل التفاوض بعد القبض على هذا المهرطق اللعين بساعتين، لقد حذَّروني من مجيئك مرات عديدة، يبدو لي أنها حملة إنقاذ منظمة للغاية، ويبدو أنها كانت متوقعة كثيرًا، هذا أكبر من أن يكون مجرد خطأ، سواء كان مؤسفًا أم لا».

كانت عينا الأسكوني تنظران إليه بازدراء وهو يقول: «وأنتم أيها التجار تحلقون من كوكب إلى آخر كفراشات صغيرة مجنونة، ولكن هبوطكم على أكبر كواكب أسكون في منتصف مجموعته الشمسية يتخطى حدود جنونكم، ثم تقول لي إن هذا مجرد خطأ غير مقصود في تمييز الحدود؟ هذا هراء بالتأكيد».

امتعض بونيتس دون أن يُظهر هذا، ثم قال بشكلٍ مراوغ: «إن كانت هذه محاولة تجارة متعمدة جلالتك فإن هذا تصرف غير حكيم ويتعارض مع قواعد نقابتنا الصارمة».

قال الأسكوني باقتضاب: «غير حكيم بالتأكيد، حتى أن رفيقك سيفقد حياته على الأرجح نظير هذا».

أحس بونيتس بقلبه يسقط بين قدميه، لم يكن هنالك أدنى تردد في ذلك. قال: «الموت جلالتك هو أمر نهائي لا رجعة فيه، بالتأكيد هناك بعض البدائل».

كان هناك صمت قبل أن يجيبه الرجل المحاط بالحراس: «لقد سمعت أن القاعدة ثرية».

«ثرية؟ بالتأكيد. ولكن ثرواتنا هي ما ترفضون أخذه. إن بضائعنا النووية تساوي...».

«إن بضائعكم لا تساوي شيئًا، لأنها لا تحظى بمباركة الأسلاف. إن بضائعكم خبيثة وملعونة، وبهذا فإنها تقع تحت تحريم الأسلاف». كان يترنم بالحديث كأنه يردد جملًا محفوظة.

ثم ضيّق السيد الأكبر عينيه وقال بطريقة ذات مغزى: «أليس لديك شيء آخر ذو قيمة؟».

لم يفهم التاجر المغزى فقال: «أنا لا أفهم، ما الذي تريده؟».

بسط الأسكوني ذراعيه وقال: «أنت تطلب مني أن أتبادل

الأماكـن معـك، وأن أُخـبرك أنـا بمـا أريـده، لا أعتقـد هـذا، يبـدو لي أن زميلـك سـيخضع للعقوبـة المُحـددة لانتهـاك المقدسـات في القانـون الأسـكوني؛ المـوت بالغـاز. نحـن قـوم عادلـون، إن أفقـر فـلاح في قضيـة مماثلـة لـن يتلقـى عقابًـا أكـبر مـن هـذا، وأنـا نفـسي لم أكـن لأتلقـى عقابًـا أقـل منـه».

قـال بونيتـس في يـأس: «هـل تسـمح لي جلالتـك أن أتحـدث مـع السـجين؟».

قـال السـيد الأكـبر بصرامـة: «إن القانـون الأسـكوني لا يسـمح بـأي تواصـل مـع المتهمـين».

تمالـك بونيتـس نفسـه وهـو يقـول: «أنـا أطلـب مـن جلالتـك أن تكـون رحيـمًا بـروح رجـل في السـاعة التـي يـكاد أن يفقـد فيهـا حياتـه، لقـد كان معـزولًا عـن المواسـاة الروحانيـة طيلـة الوقـت الـذي تتعـرض فيـه حياتـه للخطـر، حتـى الآن وهـو يواجـه احتماليـة أن يذهـب بـلا اسـتعداد إلى حضـن الـروح التـي تحكـم كل شيء».

قال السيد الأكبر ببطء وبشك: «هل أنت من رعاة الأرواح؟».

أحنـى بونيتـس رأسـه في تواضـع وقـال: «لقـد تلقيـت تدريبـي عـلى هـذا. يحتـاج التجـار المتجولـون في مسـاحات الفضـاء الشاسـعة الفارغـة إلى رجـال مثـلي ليعتنـوا بالجانـب الروحـاني مـن الحيـاة المسـخرة للتجـارة والسـعي وراء الأغـراض الدنيويـة».

عـض الحاكـم الأسـكوني شـفته السُـفلى ثـم قـال: «يجـب أن يُعـد كل رجـل روحـه مـن أجـل رحلتـه إلى أرواح أسـلافه، ولكنـي لم أكـن أظـن أن التجـار أمثالـك متدينـون».

الفصل الثالث

تقلب إسكِل جوروڤ وهو نائم على أريكته ثم فتح عينيه عندما دلف ليمار بونيتس عبر الباب المصفح الثقيل، الذي انغلق بِدَويٍّ كبير وراءه. اعتدل جوروڤ واقفًا على قدميه وهو يقول: «بونيتس! هل أرسلوك؟».

قال بونيتس بسخرية مريرة: «إنها محض مُصادفة، أو لعله حظي العاثر اللعين. النقطة الأولى: أنت تورطت في هذا المأزق في أسكون. النقطة الثانية: إن مساري التجاري المعروف لهيئة التجارة جعلني على مسافة خمسين فرسخًا نجميًا من هذه المجموعة الشمسية في نفس وقت حدوث النقطة الأولى. النقطة الثالثة: لقد عملنا معًا من قبل والهيئة تعرف هذا. أليس هذا ترتيبًا قدريًا رائعًا؟ لقد تراصت نجوم الحظ لتمنحنا حل المشكلة».

قال جوروڤ بحذر: «احترس! سيكون هناك من يُنصت إلينا، هل ترتدي حقل تشويش؟».

أشار بونيتس إلى السوار المزخرف الذي يُحيط بمعصمه، فاسترخى جوروڤ.

تأمَّل بونيتس المكان، كانت الزنزانة فارغة ولكنها كبيرة، جيدة الاضاءة وتفتقر إلى الروائح الكريهة المعتادة. قال: «هذا ليس سيئًا، إنهم يعاملونك بلطف شديد».

تجاهل جوروڤ الملحوظة وقال: «اسمعني، كيف هبطت إلى هنا؟ لقد كنت في عُزلة تامة طيلة الأسبوعين الماضيين».

«منذ أن جئت أنا؟ هممم. حسنًا، يبدو لي أن الطائر العجوز

الذي يأتمرون بأمره لديه نقاط ضعف، إنه يتأثر كثيراً بالخطب الدينية، لذا اغتنمت الفرصة ونجح الأمر. أنا هنا بصفتي مرشدك الروحاني. هناك شيء حيال الأشخاص المتدينين مثله، إنه سيقطع عنقك بابتهاج إن كان هذا يُناسبه، ولكنه سوف يتردد في تعريض روحك للخطر فالأمور الروحانية شائكة بالنسبة لهم. هذا مجرد جزء صغير من علم النفس التجريبي، يجب على التاجر أن يعرف القليل من كل شيء».

ابتسم جوروڤ ساخرًا وقال: «كما أنك ذهبت إلى المدرسة الدينية أيضًا. أنت محق تمامًا يا بونيتس. أنا مسرور لأنهم أرسلوك. ولكن لا شك أن السيد الأكبر لم يسمح بهذا حبًا في روحي وحسب، ألم يذكر لك أي فدية؟».

ضيّق التاجر عينيه وقال: «لقد ألمح إلى هذا بشكلٍ عارض، كما هدد أيضًا بقتلك بالغاز. لقد لعبت الأمر بشكلٍ آمن وتفاديت الحديث في الأمر، من الممكن ببساطة أن يكون الأمر فخًا. إذن فهي عملية ابتزاز أليس كذلك؟ ما الذي يُريده؟».

«الذهب».

عقد بونيتس حاجبيه وقال: «الذهب! المعدن نفسه؟ لماذا؟».

«إنه وسيلتهم للمقايضة».

«حقًا؟ ومن أين أحصل لهم على الذهب؟».

«من أي مكان يمكنك أن تجده فيه. اسمعني، هذا أمر هام، لن يمسني سوء طالما السيد الأكبر يشم رائحة الذهب في أنفه، فلتعده بالذهب، بقدر ما يريد. ثم عُد إلى القاعدة إن اقتضت الضرورة لتحصل عليه. بعدما أنال حريتي سيقتادوننا خارج المجموعة الشمسية ثم نفترق أنا وأنت».

قال بونيتس باستياء: «ثم ستعود وتحاول مُجددًا».

«إن مهمتي هي بيع المعدات النووية إلى أسكون».

«سوف ينالون منك قبل أن تقطع فرسخًا واحدًا في الفضاء، أعتقد أنك تعرف هذا».

قال جوروف: «لا أعتقد هذا، ولكن حتى لو كان هذا حقيقيًا فإنه لن يُغير من الأمر شيئًا».

«سوف يقتلونك في المرة الثانية».

هزَّ جورووف كتفيه.

قال بونيتس بهدوء: «إن كنت سأذهب للتفاوض مع السيد الأكبر مُجددًا فأنا أُريد أن أعرف القصة برمتها. أنا أتخبط بشكلٍ أعمى حتى هذه اللحظة. لقد كدت بسبب هذا أن أُثير أعصاب جلالته بتعليقاتي البسيطة».

قال جوروف: «الأمر بسيط للغاية، الطريقة الوحيدة التي يُمكننا بها زيادة أمن القاعدة هنا في محيط المجرة الخارجي هو عن طريق تشكيل إمبراطورية تجارية تخضع للسيطرة الدينية. نحن أضعف من اللازم لفرض السيطرة السياسية، إن هذا هو كل ما نستطيع فعله للحفاظ على سيطرتنا على الممالك الأربعة».

أومأ بونيتس برأسه وقال: «أنا أُدرك هذا، وأي مجموعة شمسية لا تقبل المعدات النووية لا يُمكن وضعها أبدًا تحت سيطرتنا الدينية...».

«وبالتالي يُمكن أن تصير نقطة ارتكاز للاستقلال والعدائية».

قال بونيتس: «حسنًا إذن، فهمت النظرية، والآن ما الذي يمنع عملية التجارة بالضبط؟ الدين؟ لقد أشار السيد الأكبر إلى هذا».

«إنه نوع من عبادة الأسلاف؟ إن تقاليدهم الدينية تتحدث عن ماضٍ شرير، لم ينقذهم فيه سوى الأبطال البسطاء الصالحين من الأجيال الماضية، إنها نسخة محرفة من الحقبة الفوضوية في القرن الماضي؛ عندما طُردت القوات الإمبراطورية وتأسست الحكومة المستقلة. إن العلوم المتقدمة والقوى النووية صارت مرتبطة بالحكم الإمبراطوري القديم الذي يتذكرونه برعب».

«هكذا إذن؟ ولكن لديهم سفنًا صغيرة رائعة استطاعت رصدي ببراعة شديدة من على بُعد فرسخين، هذا يشي بوجود طاقة نووية بالنسبة لي».

هزَّ جوروق كتفيه وقال: «هذه السفن هي بقايا الإمبراطورية بلا شك، على الأرجح بها محركات نووية، إنهم يحتفظون بما لديهم، الأمر هو أنهم لا يطورونه، واقتصادهم الداخلي بأكمله غير نووي، هذا هو ما يجب تغييره».

«كيف سنفعل هذا؟».

«بكسر المقاومة عند نقطة ما. الأمر ببساطة هو أننا لو استطعنا بيع مِدية بشفرة من حقل طاقة إلى أحد النبلاء فسوف يكون من مصلحته أن يفرض قوانين تسمح له باستخدامها. قد يبدو الأمر سخيفًا عند قوله بهذه الطريقة، ولكنه صحيح من الناحية النفسية. إن إجراء عمليات تجارية استراتيجية في أوقات استراتيجية سوف يخلق طائفة مؤيدة للطاقة النووية بين الحاشية».

«ولقد أرسلوك لهذا الغرض، بينما أنا هنا فقط لكي أدفع فديتك وأُغادر، أليس هذا قصورًا في التفكير؟».

سأله جوروق بحذر: «من أي ناحية؟».

قال بونيتس بغضب مُفاجئ: «أنت رجل دبلوماسي ولست

تاجرًا، وإطلاق لقب تاجر عليك لن يجعلك واحدًا. هذه القضية يجب أن تُمنح لرجل متمرس في البيع، وأنا هنا مع حمولة كاملة تتعفن بلا فائدة، وحصة مبيعات لن أستطيع أبدًا أن أحققها كما يبدو».

ابتسم جوروڤ ابتسامة شاحبة وقال: «هل تعني أنك ستُغامر بحياتك من أجل شيء ليس من اختصاصك؟».

قال بونيتس: «هل تعني أن هذه مسألة وطنية، وأن التجار ليسوا وطنيين؟».

«هذه هي سمعتهم، التجار الأوائل لم يكونوا كذلك».

«حسنًا، سأعترف بهذا. أنا لا أسافر عبر الفضاء بغرض إنقاذ القاعدة أو أي شيء كهذا، ولكني أفعل هذا لكي أجني المال، وهذه هي فرصتي، إن كان هذا سيُساعد القاعدة في الوقت ذاته فهذا أفضل، لقد غامرت بحياتي من قبل من أجل فرص أكثر ضآلة».

اعتدل بونيتس واقفًا فاعتدل جرورف معه وقال: «ما الذي ستفعله؟».

ابتسم التاجر وقال: «لا أعرف يا جوروڤ... حتى الآن. ولكن إن كان جوهر الأمر هو البيع فأنا الرجل المناسب، أنا لا أتباهى عادة، ولكن هناك شيئًا واحدًا يُمكنني أن أؤكده لك، أنا لا أفشل أبدًا في تحقيق حصتي من المبيعات».

بمجرد أن طرق على باب الزنزانة انفتح على الفور، ثم دخل حارسان ليقفا على جانبيه.

الفصل الرابع

قـال السـيد الأكـبر متجهـمًا: «اسـتعراض!». كان يجلـس متدثـرًا في فرائـه وهـو يُمسـك بيـده النحيفـة الهـراوة الحديديـة التـي يسـتخدمها كعـكاز.

«والذهب جلالتك».

وافقه السيد الأكبر بلا اكتراث: «والذهب».

وضـع بونيتـس الصنـدوق عـلى الأرض وفتحـه وهـو يتظاهـر بالثقـة قـدر المسـتطاع. كان يشـعر بالوحـدة في وجـه عـداء كـوني، نفـس الإحسـاس الـذي راوده في عامـه الأول في الفضـاء. كان هنـاك شـبه دائرة مـن المستشـارين الملتحـين يحدقـون إليـه بامتعـاض، ومـن بينهـم كان فـيرل؛ الحظـيّ نحيـف الوجـه الـذي يجلـس بجـوار السـيد الأكـبر في عدائيـة صارمـة. كان بونيتـس قـد التقـى بـه بالفعـل مـن قبـل وقـد عـدَّه عـلى الفـور عـدوًّا أساسـيًّا، وبالتـالي ضحيـة أساسـية.

خـارج القاعـة كان هنـاك جيـش صغـير ينتظـر مـا سـيحدث. كان بونيتـس قـد عُـزِلَ تمامًـا عـن سـفينته، فلـم يكـن معـه أي سـلاح سـوى محاولتـه للرشـوة، بينـما لا يـزال جـوروق أسـيرًا.

أجـرى تعديـلًا أخـيرًا في الآلـة قبيحـة المظهـر غـير المتقنـة التـي كلَّفتـه أسـبوعًا مـن الابتـكار، وراح يدعـو مجـددًا أن الكوارتـز المبطـن بالرصـاص سـيتحمل الضغـط.

سأله السيد الأكبر: «ما هذا؟».

قـال بونيتـس وهـو يتراجـع للـوراء: «هـذه آلـة صغـيرة قـد أعددتهـا بنفسـي».

«هـذا واضـح، ولكنهـا ليسـت المعلومـة التـي أُريدهـا، هـل هـي واحـدة مـن فظائـع السـحر الأسـود مـن كوكبـك؟».

قـال بونيتـس معترفًـا بجديـة: «إن لهـا طبيعـة نوويـة، ولكـن لـن يحتـاج أحـد منكـم أن يلمسـها، أو أن يتعامـل معهـا. إنهـا مـن أجـلي وحـدي، وإن كانـت تحتـوي عـلى أي فظائـع فسـوف أتحمـل فظاعتهـا بنفسـي». رفـع السـيد الأكـبر عُـكَّازَه الحديـدي وأشـار بـه ناحيـة الآلـة في إيمـاءة تهديديـة بينـما شـفتاه تتحـركان بسرعـة وصمـت في ابتهـال تطهـير. مـال ناحيتـه المستشـار ذو الوجـه النحيـل الـذي عـلى يمينـه، واقـترب شـاربه الأحمـر الكـث مـن أذن السـيد الأكـبر، هـزَّ الأسـكوني العجـوز كتفيـه متجهمًا وهـو يبتعـد عنه.

«ومـا علاقـة آلتـك الشريـرة هـذه بالذهـب الـذي قـد يُنقـذ حيـاة رفيقـك؟».

قـال بونيتـس وهـو يضـع يـده برفـق عـلى الحجـرة المركزيـة، ويُداعـب جوانبهـا الدائريـة الصلبـة: «باسـتخدام هـذه الآلـة يُمكننـي أن أُحـوِّل الحديـد الـذي لا تحتاجونـه إلى ذهـب مـن أجـود الأنـواع، إنهـا الآلـة الوحيـدة المعروفـة للبـشر التـي يُمكنهـا أن تأخـذ الحديـد ـ الحديـد القبيـح جلالتـك الـذي يُدعِّـم كرسـيك الـذي تجلـس عليـه وحوائط هذا المبنى ـ وتحيله ذهبًا أصفر لامعًا ثقيلًا».

أحـس بونيتـس أنـه يعـرض الأمـر بطريقـة سـيئة، إن أحاديثـه التسـويقية في العـادة تكـون سلسـة وسـهلة ومعقولـة، ولكـن حديثـه هـذه المـرة كان يسـير بشـكلٍ أعـرج كعربـة فضـاء مترنحـة. ولكـن مـا أثـار اهتـمام السـيد الأكـبر كان المحتـوى وليـس طريقـة العـرض.

«إذن؟ تحويـل؟ لقـد كان هنـاك العديـد مـن الحمقـى الذيـن زعمـوا امتلاكهـم هـذه القـدرة، لقـد دفعـوا ثمـن هرطقتهـم الحمقـاء».

«هل نجحوا؟».

قال السيد الأكبر بسخرية قاسية: «لا، إن النجاح في إنتاج الذهب سيكون جريمة تحمل في ذاتها طوق النجاة، إن المحاولة بالإضافة إلى الفشل هي ما تؤدي إلى الموت». ثم قال وهو يضرب الأرض بعكازه: «هاك، أرني ماذا يُمكنك أن تفعل بعصاي».

«فلتعذرني جلالتك، إن جهازي هو نموذج صغير أعددته بنفسي، وعصاك طويلة للغاية».

تلفَّت السيد الأكبر بعينيه الصغيرتين اللامعتين ثم توقف عند شخص وقال: «أعطني أبازيمك يا راندل، بربك يا رجل، سأعوضك عنها بالضعف لو اقتضى الأمر».

مرَّت الأبازيم عبر صف الحاضرين من يدٍ إلى يد، حتى وصلت إلى السيد الأكبر، الذي وزنها بيده مُفكرًا، ثم قال وهو يُلقي بها إلى الأرض: «هاك».

التقطها بونيتس ثم جذب الأسطوانة بقوة حتى فتحها، قبل أن يرمش بعينيه ويضيقهما في تركيز ليضع الأبازيم بحرص في منتصف لوحة الآنود الشبكية، سيكون الأمر أسهل لاحقًا ولكن يجب ألا يكون هناك أي فشل في المرة الأولى.

أصدرت آلة التحويل يدوية الصنع صوت طقطقة مخيفًا لعشر دقائق، بينما تنبعث رائحة الأوزون بشكلٍ خافت، تراجع الأسكونيون إلى الوراء وهم يتمتمون، ومُجددًا راح فيرل يهمس بإلحاح في أُذن الحاكم. كانت ملامح السيد الأكبر جامدة ولم يتزحزح قيد أنملة.

ثم صارت الأبازيم ذهبًا.

حملها بونيتس في يده إلى السيد الأكبر وهو يتمتم: «جلالتك!».

ولكـن الرجـل العجـوز تـردد ثـم أشـار بيـده ليبعدهـا عنـه وبـصره مُعلّـق بآلـة التحويـل.

قـال بونيتـس بنـبرة سريعـة: «هـذا ذهـب خالـص أيهـا السـادة، ذهـب قلبًـا وقالبًـا، يُمكنكـم أن تخضعـوه لأي اختبـار كيميـائي وفيزيـائي معـروف إذا أردتـم أن تتيقنـوا مـن الأمـر. لا يُمكـن تمييـزه عـن الذهـب الطبيعـي بـأي شـكل مـن الأشـكال. مـن الممكـن تحويـل أي حديـد، الصدأ لـن يؤثـر عـلى الأمـر، ولا أي كميـة معقولـة مـن المعـادن داخلـة في صناعـة السـبيكة...».

ولكـن بونيتـس كان يتحـدث فقـط ليمـلأ الفـراغ، لقـد وضـع الأبازيـم في يـده المفـرودة وتـرك الذهـب يجـادل بالنيابـة عنـه.

وأخـيرًا مـد السـيد الأكـبر يـده ببـطء، فاعتـدل فـيرل ذو الوجـه النحيـف وقـال عـلى الفـور: «إن هـذا الذهـب مـن مصـدر مسـموم جلالتـك».

عارضـه بونيتـس قائـلًا: «مـن الممكـن للزهـرة أن تنمـو مـن الطـين جلالتـك. أثنـاء تعاملكـم مـع جيرانكـم فإنكـم تشـترون معـادن مـن كل الأنـواع الممكـن تصورهـا، دون أن تتسـاءلوا عـن طريقـة حصولهـم عليهـا، سـواء كانـت مـن آلـة نقيـة يُباركهـا أسـلافكم الراحلـون أم أنهـا مـن مصـدر شـيطاني لعـين. بحقكـم، أنـا لا أعـرض عليكـم الآلـة، أنـا أعـرض الذهـب».

قـال فـيرل: «أنـت غـير مسـؤول جلالتـك عـن آثـام الغربـاء الذيـن يعملـون بـدون رضـاك أو علمـك. ولكـن أن تقبـل هـذا الذهـب الزائـف العجيـب المصنـوع مـن الحديـد بشـكلٍ آثـم في حضـورك وبرضـاك لهـو إهانـة لأرواح أسـلافنا المقدسـين الحيـة».

قـال السـيد الأكـبر بشـك: «ولكـن الذهـب هـو الذهـب، وهـو ليـس

سوى مقايضة مقابل وثني مجرم مُدان. أنت تُبالغ في انتقاد الأمر يا فيرل». ولكنه سحب يده.

قال بونيتس: «أنت الحكمة ذاتها جلالتك. فكِّر في الأمر، بالتخلي عن وثني فإنك لن تخسر شيئًا عند أسلافك، ولكن مع الذهب الذي ستحصل عليه في المقايضة فإن باستطاعتك أن تزخرف أضرحة أرواحهم المقدسة. وبالتأكيد إن كان الذهب شريرًا في حد ذاته ـ إن كان شيء من هذا القبيل مُمكنًا ـ فإن الشر سيُغادر بالضرورة بمجرد استخدام المعدن في غرض ديني».

قال السيد الأكبر في حيوية مفاجئة: «بحق عظام أجدادي». ثم انفرجت شفتاه بضحكة رفيعة، قبل أن يقول: «ما رأيك في هذا الشاب يا فيرل؟ إن ما قاله صحيح، صحيح ككلمات أسلافي».

قال فيرل بوجوم: «يبدو الأمر هكذا. هذا باعتبار أن صحتها ليست حيلة من روح خبيثة».

قال بونيتس فجأة: «سأجعل الأمر أفضل، فلتبقوا الذهب رهينة لديكم، فلتضعوه على مذابح أسلافكم كقربان، ولتبقوني لديكم لثلاثين يومًا، إن لم يكن هناك في نهاية هذه المهلة أي دليل على عدم الرضا ـ إن لم تحدث أي كوارث ـ فسيكون هذا بالتأكيد دليلًا على قبول القربان. ما الذي يُمكن تقديمه أكثر من هذا؟».

وعندما اعتدل السيد الأكبر واقفًا بحثًا عن أي اعتراض لم يستطع أي رجل في المجلس أن يُبدي سوى موافقته، حتى فيرل عض على طرف شاربه الكث وأومأ برأسه في اقتضاب.

ابتسم بونيتس وهو يفكر في فائدة تعليمه الديني.

الفصل الخامس

مـرَّ أسـبوع آخـر قبـل أن يُرتِّـب بونيتـس لقـاءً مـع فـيرل. كان يشـعر بالتوتـر ولكنـه بحلـول هـذا الوقـت كان قـد اعتـاد عـلى الإحسـاس بالعجـز الجسـدي. لقـد غـادر حـدود المدينـة تحـت الحراسـة وتوجـه إلى ڤيـلا فـيرل، لم يكـن بيـده شيء لفعلـه سـوى أن يقبـل الأمـر دون أن ينظـر حتـى وراء ظهـره.

بـدا فـيرل أكـثر طـولًا وأصغـر سـنًّا خـارج دائـرة الشـيوخ، لم يبـدُ شـيخًا عـلى الإطـلاق في ملابسـه غـير الرسـمية.

قـال بـدون مقدمـات وقـد بـدا أن عينيـه المتقاربتـين ترتعشـان: «أنـت رجـل غريـب، فأنـت لم تفعـل شـيئًا طيلـة الأسـبوع المـاضي وخصيصًـا السـاعتين الماضيتـين سـوى التلميـح بـأني أُريـد الذهـب، يبـدو لي أن هـذا مجهـود بـلا طائـل، فمـن لا يُريـده؟ لِـمَ لا نتقـدم خطـوة للأمـام؟».

قـال بونيتـس بتكتـم: «إنـه ليـس مجـرد الذهـب، ليـس مجـرد عملـة أو اثنتـين، ولكـن بالأحـرى كل مـا يكمـن وراء الذهـب».

ابتسـم فـيرل ابتسـامة صفـراء وقـال ليحثـه عـلى الحديـث: «ومـا الـذي يكمـن وراء الذهـب؟ بالتأكيـد هـذا ليـس تمهيـدًا لعـرض سـاذج آخـر».

عقد بونيتس حاجبيه قليلًا وقال: «ساذج؟».

ضـمَّ فـيرل يديـه ووضـع ذقنـه عليهـما برفـق ثـم قـال: «أجـل، بالتأكيـد. أنـا لا أنتقـدك، أنـا واثـق مـن أنـه كان سـاذجًا عـن عمـد. كان مـن الممكـن أن أحـذر جلالتـه مـن هـذا لـو كنـت واثقًـا مـن الدافـع،

لو كنت مكانك كنت سأنتج الذهب على سفينتي وأعرضه وحده، كان من الممكن الاستغناء عن هذا العرض الذي قدمته لنا والعداء الذي عرضت نفسك له».

قال بونيتس معترفًا: «هذا حقيقي، ولكن لأنه لم يكن هناك أحدٌ في مكاني فقد قبلت هذا العداء من أجل أن أجذب انتباهك».

قال فيرل دون أن يبذل أي مجهود لإخفاء سخريته وازدرائه: «هل هذا كل ما في الأمر؟ هذا فقط ببساطة؟ وأفترض أنك ستقول إن فترة الثلاثين يومًا للتطهير كانت لكي تضمن لنفسك وقتًا كافيًا لتحول هذا الانتباه لشيء ملموس بعض الشيء. ولكن ماذا لو اتضح أن الذهب دنس».

سمح بونيتس لنفسه ببعض السخرية بدوره وهو يقول: «عندما يكون الحكم على هذا الدنس متوقفًا على هؤلاء الذين يرغبون بشدة في أن يجدوه نقيًا؟».

رفع فيرل عينيه وهو يضيقهما محدقًا إلى التاجر، وقد بدا مندهشًا وراضيًا في الوقت ذاته ثم قال: «وجهة نظر معقولة. والآن أخبرني لِمَ رغبتَ في جذب انتباهي؟».

«سوف أخبرك. أثناء الوقت القصير الذي قضيته هنا لاحظت حقائق مفيدة تتعلق بك وتثير اهتمامي. على سبيل المثال أنت صغير؛ صغير للغاية بالنسبة لأن تكون عضوًا في المجلس، وأيضًا من عائلة صغيرة بشكلٍ نسبي».

«هل تنتقد عائلتي؟».

«لا على الإطلاق، إن أسلافك عظماء ومقدسون، سيعترف الجميع بهذا، ولكن هناك من يقولون إنك لا تنتمي لأيٍ من القبائل الخمسة».

مـال فـيرل للـوراء وقـال دون أن يُخفـي الحقـد في صوتـه: «مـع احترامـي لهـؤلاء المعنيـين فـإن القبائـل الخمسـة ضعيفـة التناسـل وقصـيرة العمـر، إن عـدد مـن هـم عـلى قيـد الحيـاة مـن هـذه القبائـل لا يبلـغ خمسـين فـردًا».

«ولكـن هنـاك مـن يقولـون إن الأمـة لـن تقبـل بـأن تـرى أي رجـل مـن خـارج القبائـل في منصـب السـيد الأكـبر. وشـاب صغـير لم يصبـح حظيًـا للسـيد الأكـبر إلا منـذ وقـتٍ قصـير لا بـد وأن لـه أعـداء أقويـاء بـين كبـار الدولـة... هـذا مـا يُقـال. إن جلالته يتقـدم في العمـر وحمايته لـن تسـتمر بعـد موتـه، عندمـا يصـير واحـد مـن أعدائـك هـو مـن يفـسر كلـمات روحـه بـلا شـك».

قـال فـيرل متجهـمًا: «أنـت تسـمع الكثـير بالنسـبة لغريـب، مثـل هـذه الآذان يجـب أن تُقطـع».

«يُمكن تقرير هذا لاحقًا».

تململ فـيرل في مقعـده بنفـاد صـبر ثـم قـال: «دعنـي أتوقـع، سـوف تعـرض عـليَّ الـثروة والقـوة في صـورة هـذه الآلات الصغـيرة الشريـرة التـي تحملهـا في سـفينتك، أليـس كذلـك؟».

«فلنفـترض أن الأمـر هكـذا، مـاذا سـيكون اعتراضـك؟ فقـط مقياسـك للخـير والـشر؟».

هـزَّ فـيرل رأسـه وقـال: «لا، عـلى الإطـلاق. اسـمعني أيهـا الغريـب، بغـض النظـر عـن آرائـك الوثنيـة عنـا فأنـا لا أخضـع لهيمنـة أسـاطيرنا، رغـم أننـي قـد أبـدو هكـذا، أنـا رجـل متعلـم يـا سـيدي وآمـل أننـي رجـل متنـور، إن العمـق الكامـل لعاداتنـا الدينيـة ـ مـن الناحيـة الطقوسـية وليـس المعنـى الأخلاقـي ـ هـو مـن أجـل العـوام».

قال بونيتس بإلحاح بسيط: «ما هو اعتراضك إذن؟».

«إنهم العوام ببساطة، قد أكون مستعدًّا للتجارة معك، ولكن آلاتك الصغيرة يجب أن يستخدمها أحدهم لتكون مفيدة، كيف ستأتي الثروات إليَّ إن كنت لن أقدر على استخدام ـ ما الذي تبيعه؟ ـ فلنقل موس حلاقة على سبيل المثال إلا في أقصى درجات السرية والحذر. حتى وإن استطعت حلاقة ذقني بشكل أكثر بساطة وأكثر دقة، فكيف سأصير ثريًّا؟ وكيف سأتفادى الموت بحجرة الغاز أو حشود العامة الخائفين إذا ضُبطت مرة متلبسًا وأنا أستخدمه؟».

هزَّ بونيتس كتفيه وقال: «أنت محق. يُمكنني أن أُشير إلى أن الحل سيكون تثقيف شعبك لاستخدام الأدوات النووية من أجل راحتهم ومن أجل أرباحك الكبيرة. لا أُنكر أن هذا سيكون عملًا ضخمًا، إلا أن العائد سيكون أضخم بكثير. ولكن هذه هي مشكلتك أنت في الوقت الراهن وليست مشكلتي أنا على الإطلاق، فأنا لا أعرض عليك موسًا أو سكينًا أو آلة ميكانيكية للتخلص من القمامة».

«ما الذي تعرضه إذن؟».

«الذهب نفسه، بشكلٍ مباشر، يُمكنك أن تحصل على الآلة التي استعرضتها الأسبوع الماضي».

في تلك اللحظة تخشَّب فيرل وارتجف الجلد على جبهته وقال: «آلة التحويل؟».

«بالضبط، إن إمدادك من الذهب سيساوي إمدادك من الحديد، أتصور أن هذا سيكون كافيًا لكل ما تحتاجه، كافيًا من أجل السيادة الكبيرة ذاتها، رغم صغر سنك ورغم أعدائك، وهذا كله آمن».

«من أي ناحية؟»

« من ناحية أن السرية هي جوهر استخدامها، السرية التي

وصفتها أنت بأنها الأمان الوحيد فيما يتعلق بالأدوات النووية، يُمكنك أن تدفن آلة التحويل في أعمق سرداب في أقوى حصن في أبعد إقطاعياتك، وسيظل يجلب لك الثروة الفورية. إنك تشتري الذهب وليس الآلة، وهذا الذهب لا يحمل أدنى أثر على تصنيعه، فلا يُمكن التفرقة بينه وبين الذهب الطبيعي».

«ومن الذي سيدير الآلة؟».

«أنت بنفسك، كل ما تحتاجه هو خمس دقائق من التعليم، وأنا مستعد لتجهيز الأمر من أجلك في أي وقت ترغب فيه».

«وما هو المقابل؟».

قال بونيتس بحذر: «حسنًا سوف أطلب ثمنًا، ثمنًا باهظًا. هذا هو مصدر دخلي. دعنا نقول ـ لأنها آلة ثمينة ـ ما يُعادل قيمته قدم مكعب من الذهب على هيئة سبائك من الحديد الصافي».

ضحك فيرل فتورد وجه بونيتس وقال بحزم: «يُمكنني أن أؤكد لك يا سيدي أنك ستحصل على قيمة ما دفعته في غضون ساعتين».

«هذا حقيقي، وفي غضون ساعة قد ترحل ويتضح فجأة أن آلتي عديمة الجدوى. أحتاج إلى ضمان».

«سأُعطيك كلمتي».

انحنى فيرل في احترام ساخر وهو يقول: «إنها كلمة قيّمة، ولكن وجودك سيكون ضمانًا أفضل، سأُعطيك كلمتي أنني سأدفع لك بعد أسبوع من تسليمي الآلة وهي جاهزة للعمل».

«مستحيل».

«مستحيل؟ بعدما أصبحت مستحقًا بالفعل لعقوبة الإعدام بسهولة شديدة، لمجرد أنك قد عرضت عليّ أن تبيع لي أي شيء.

البديل الوحيد هو كلمتي، وإلا فسوف تذهب إلى حجرة الغاز في الغد».

كان وجه بونيتس خاليًا من المشاعر، ولكن عينيه كانتا ترتجفان، ثم قال: «هذا استغلال غير عادل، هل ستصيغ وعدك بشكلٍ كتابي على الأقل؟».

ابتسم فيرل ابتسامة عريضة راضية ثم قال: «وأصير عُرضة للإعدام بدوري؟ لا يا سيدي! واحد منا فقط هو الأحمق».

قال التاجر في استسلام: «أنا موافق إذن».

الفصل السادس

أُطلِق سراح جوروق في اليوم الثلاثين وحلَّ محلَّه خمسمئة رطل من أجود أنواع الذهب. وأُطلق معه سراح سفينته المحتجزة الدنسة التي لم تُلمَس.

كانت رحلة خروجه من مجموعة أسكون الشمسية تُشبه رحلة دخوله إليها، مع سفن أسطوانية أنيقة صغيرة تصحبهما طيلة الطريق.

نظر بونيتس إلى سفينة جوروق التي كانت عبارة عن ذرة صغيرة في ضوء الشمس الخافت، بينما صوت جوروق يصل إليه واضحًا وحادًّا عبر الشعاع الأثيري المحمي بالتشويش.

كان يقول: «ولكن هذا ليس هو المطلوب يا بونيتس، إن آلة التحويل لن تفي بالغرض، من أين حصلت على واحدة على أي حال؟».

أجابه بونيتس في تأنٍّ: «لم أحصل عليها، لقد ابتكرتها من حجرة حفظ الطعام الإشعاعية، إنها ليست مفيدة حقًّا، فاستهلاك الطاقة مكلف للغاية على النطاق الكبير، وإلا فإن القاعدة كانت ستستخدم التحويل بدلًا من البحث عن المعادن الثقيلة في أرجاء المجرة الشاسعة. إنها واحدة من الحيل الأساسية التي يستخدمها كل تاجر، عدا أنني لم أرَ آلة تحويل حديد إلى ذهب من قبل، ولكنها مثيرة للإعجاب، وتؤدي الغرض... بشكلٍ مؤقت».

«حسنًا، ولكن هذه الحيلة ليست مفيدة».

«لقد أخرجتك من مأزق صعب».



«هـذا بعيـد للغايـة عـن الغـرض، خصيصًـا وأننـي سـأضطر للعـودة بمجـرد أن نتخلـص مـن مرافقينـا المتحفزيـن».

«لماذا؟».

قـال جـوروڤ بحـدة: «لقـد شرحـت الأمـر بنفسـك لذلـك السـياسي، لأن صفقتـك بأكملهـا تعتمـد عـلى حقيقـة أن آلـة التحويـل هــي وسـيلة لتحقيـق غايـة، ولكـن ليـس لهـا قيمـة في ذاتهـا، لقـد اشـترى الذهــب وليــس الآلــة. لقـد كانـت حيلـة نفسـية جيـدة بمـا أنهـا قـد أدَّت الغــرض، ولكــن...».

قال بونيتس بصوت يخلو من المشاعر: «ولكن؟».

ازدادت حـدة الصـوت الصـادر عـن جهـاز الاسـتقبال: «ولكننـا نريـد أن نبيـع لهـم آلـة لهـا قيمـة في ذاتهـا، شـيئًا سـيرغبون في اسـتخدامه علنًـا، شيئًا سـيجبرهم عـلى تغيـير قوانينهـم لصالـح التقنيـات النوويـة مـن بـاب المصلحـة الشـخصية».

قـال بونيتـس بهـدوء: «أنـا أفهـم هـذا، لقـد شرحتـه لي مـن قبـل، ولكــن فلتنظــر إلى مــا ســيترتب عــلى صفقتــي، حســنًا؟ بوجــود آلــة التحويــل فــإن فــيرل ســينتج الذهــب، وسيســتمر هــذا لوقــت طويــل بمـا يكفـي ليضمـن لـه الانتخابـات القادمـة. إن السـيد الأكـبر الحـالي لــن يســتمر لوقــتٍ طويــل».

سأله جوروڤ بقسوة: «هل تعتمد على عرفانه بالجميل؟».

«لا، عـلى المصلحـة الذاتيـة الفطنـة. إن آلـة التحويـل سـتجلب لـه الفــوز في الانتخابــات. الآليــات الأُخــرى...».

«لا، إن وعـدك ملتـوٍ، إنـه لـن يديـن بالفضـل لآلـة التحويـل بـل للذهــب التقليـدي المعتـاد، هـذا هـو مـا أحـاول أن أخـبرك بـه».

ابتسـم بونيتـس وهـو يعـدل مـن جلسـته لوضـع أكـثر راحـة. حسـنًا

لقـد لعـب بأعصـاب رفيقـه المسـكين بمـا يكفـي. لقـد بـدأ جـوروڤ يفقـد أعصابـه.

قـال التاجـر: «ليـس بهـذه السرعـة يـا جـوروڤ، أنـا لم أنـهِ حديثـي بعـد، الأمـر يتضمـن آلات أُخـرى بالفعـل».

خيَّـم صمـت قصـير قبـل أن يسـأله جـوروڤ بصـوت حـذر: «أي آلات أُخرى؟».

أشـار بونيتـس بيـده بحركـة تلقائيـة عديمـة الجـدوى وقـال: «هـل تـرى هـذه السـفن المرافقـة لنـا؟».

قـال جـوروڤ باقتضـاب: «أنـا أراهـا، فلتخـبرني عـن هـذه الآلات الأُخـرى».

«سـأُخبرك إذا أنصـت إليَّ. مـا يُرافقنـا هـو أسـطول فـيرل الخـاص، إنـه شرف خـاص أسـبغه عليـه السـيد الأكـبر، لقـد اسـتطاع أن يكتسـب منـه هـذا».

«إذن؟».

«وإلى أيـن تظـن أنـه يأخذنـا؟ إلى مقاطعـات التعديـن الخاصـة بـه في تخـوم أسـكون. اسـمعني!». ثـم تحمـس بونيتـس فجـأة. «لقـد أخبرتـك أننـي في هـذا الأمـر لأجنـي المـال لا لأنقـذ الكواكـب. حسـنًا لقـد بعـت لـه آلـة التحويـل مقابـل لا شيء، لا شيء سـوى مخاطـرة المـوت في حجـرة الغـاز، وهـذا لـن يسـاعدني في تحقيـق حصتـي مـن المبيعـات».

«فلتعـد للحديـث عـن مقاطعـات التعديـن يـا بونيتـس، مـا دورهـا في الأمـر؟».

«دورهـا هـو الأربـاح، سـوف نحصـل عـلى أكـوام كبـيرة مـن القصديـر يـا جـوروڤ، مـا يكفـي مـن القصديـر لمـلء كل قـدم مكعـب مـن هـذه السـفينة القديمـة، والمزيـد مـن أجلـك. أنـا سـأهبط مـع فـيرل لتحصيـل

هـذا يـا صديقـي، وأنـت سـتبقى لتغطيتـي مـن الأعـلى مـع كل سـلاح لديـك، فقـط تحسـبًا لألا يتحـلى فـيرل بـروح رياضيـة حيـال الأمـر كـما يتظاهـر. هـذا القصديـر هـو أرباحـي».

«مقابل آلة التحويل؟».

«مقابـل شـحنتي بأكملهـا مـن المعـدات النوويـة، بضعـف الثمـن، بالإضافـة إلى إكراميـة». ثـم هـزّ كتفيـه بطريقـة شـبه آسـفة وقـال: «أعـترف أننـي قـد ابتززتـه ولكنـي يجـب أن أحقـق حصتـي مـن المبيعـات، أليـس كذلـك؟».

كان جـوروق عاجـزًا عـن الفهـم بشـكلٍ واضـح فقـال بضعـف: «هـل يمكنـك أن تفسـر؟».

«مـا الـذي يحتـاج لأن أفسـره؟ الأمـر واضـح يـا جـوروق. لقـد ظـنّ هـذا الكلـب الماهـر أنـه قـد أوقعنـي في فـخ محكـم لأن كلمتـه تسـاوي أكـثر مـن كلمتـي أمـام السـيد الأكـبر. لقـد أخـذ آلـة التحويـل وهـذه جريمـة عظمـى في أسـكون، ولكنـه يسـتطيع في أي وقـت أن يقـول إنـه قـد اسـتدرجني إلى فـخ بدوافـع وطنيـة محضـة ويتهمنـي بأننـي أبيـع أشـياء محرمـة».

«هذا واضح بالفعل».

«بالتأكيـد، ولكـن الأمـر لا يقتـصر ببسـاطة عـلى كلمـة مقابـل كلمـة. إن فـيرل لم يسـمع مـن قبـل عـن جهـاز تسـجيل الميكروفيلـم، ولم يخطـر عـلى بالـه مـن قبـل».

انفجر جوروق في الضحك.

قـال بونيتـس: «هـذا صحيـح، لقـد كان لـه اليـد الطـولى، وقـد كنـت مُحـاصرًا تمامًـا، ولكـن عندمـا هيّـأت آلـة التحويـل مـن أجلـه بأسـلوب خانـع ركّبـت جهـاز التسـجيل في الآلـة وانتزعتـه في اليـوم التـالي أثنـاء

عمليـة إصلاحهـا. لقـد صـار لـديَّ تسـجيل مثـالي مـن داخـل قـدس أقـداس فـيرل، والمسـكين بنفسـه يشـغل الآلـة بـكل طاقتهـا، وأيضًـا وهـو يصيـح بانتصـار لرؤيـة قطعـة الذهـب الأولى كأنهـا بيضـة قـد باضهـا للتـو».

«هل أريته النتائج؟».

«بعدهـا بيومـين. هـذا الأحمـق المسـكين لم يـر في حياتـه مـن قبـل صـورًا ملونـة صوتيـة ثلاثيـة الأبعـاد. إنـه يزعـم أنـه لا يؤمـن بالخرافـات، ولكـن إن كنـت قـد رأيـتُ مـن قبـل شـخصا بالغًـا يبـدو مرعوبًـا مثلـما بـدا في تلـك اللحظـة فلتقـل إننـي لا أعـرف شـيئًا. عندمـا أخبرتـه أن لـديَّ جهـاز بـث مزروعـا في سـاحة المدينـة ومجهـزًا للانطـلاق في منتصـف النهـار ليشـاهده مليـون أسـكوني متعصـب، ومـن ثـم سيمزقونه إربـا، ركـع عنـد ركبتـيّ متوسـلًا عـلى الفـور، كان مسـتعدًا لأن يعقـد أي صفقـة أرغـب فيهـا».

قـال جـوروق وهـو يحـاول أن يكتـم ضحكتـه: «هـل فعلـت هـذا حقًـا؟ أعنـي هـل زرعـت حقًـا جهـازًا في سـاحة المدينـة؟».

«لا، ولكـن هـذا لا يهـم، لقـد عقـد الصفقـة، واشـترى كل المعـدات التـي معـي، والمعـدات التـي معـك، مقابـل كل مـا نقـدر عـلى حملـه مـن قصديـر. إنـه يعتقـد في هـذه اللحظـة أننـي قـادر عـلى فعـل أي شيء. لقـد وقعنـا الاتفـاق بشـكلٍ كتـابي وسـيكون معـك نسـخة منـه قبـل أن أهبـط معهـم، فقـط كتدبـير احـترازي آخـر».

قـال جـوروق: «ولكنـك قـد جرحـت غـروره، هـل سيسـتخدم الآلات؟».

«لم لا؟ إنهـا وسـيلته الوحيـدة لتعويـض خسـائره، وإن كان سـيجني أمـوالًا مـن الأمـر فـإن هـذا سيشـفي كبريـاءه. كـما أنـه سـيكون السـيد

الأكبر التالي، وهو أفضل رجل يُمكننا أن نحصل عليه من أجل تحقيق مصالحنا».

قال جوروق: «أجل، إنها صفقة جيدة، ولكنك بالتأكيد لديك وسائل غير مريحة لعقد الصفقات، لا عجب أنك قد طُرِدت من المدرسة الدينية، أليس لديك أي حس أخلاقي؟».

قال بونيتس بلا اكتراث: «وما فائدة هذا؟ أنت تعرف ما قاله سالڤور هاردين عن الحس الأخلاقي».

الجزء الخامس
أمراء التجارة

التجـار: ... مـع حتميـة علـم التاريـخ النفـسي تزايـدت السـيطرة الاقتصاديـة للقاعـدة. ازداد التجـار ثـراءً، ومـع الـثروات جـاءت القـوة...

أحيانًـا مـا يُنـسى أن هوبـر مالـو قـد بـدأ حياتـه كتاجـر عـادي، ولكـن لا يُنـسى أبـدًا أنـه انتهـى بـه المطـاف كأول أمـراء التجـارة...

الموسوعة المجرية

الفصل الأول

ضمَّ جوران سوت أطراف أصابعه المشذبة أظافرها بعناية وقال: «الأمر يُشبه اللغز. في الواقع ـ وهذا بثقة شديدة ـ قد يكون أزمة أُخرى من أزمات هاري سيلدون».

تحسَّس الرجل الجالس قُبالته جيب معطفه السميري القصير بحثًا عن سيجارة، ثم قال: «لست واثقًا من هذا يا سوت، كقاعدة عامة فإن السياسيين يصرخون «أزمة سيلدون» عند كل حملة انتخابية من أجل منصب العمدة».

ابتسم سوت ابتسامة شاحبة للغاية وقال: «أنا لا أُجري حملة انتخابية يا مالو. نحن نواجه أسلحة نووية ولا نعرف من أين تأتي».

راح هوبر مالو، التاجر الخبير من سميرنو، يدخن بهدوء وبلا اكتراث تقريبًا، ثم قال: «فلتُكمل، إن كان لديك مزيد لقوله فلتقله». لم يكن مالو يحب أن يكون بالغ التهذيب مع رجال القاعدة، قد يكون غريبًا عن القاعدة ولكنه يعتد كثيرًا بنفسه.

أشار سوت إلى خريطة النجوم ثلاثية الأبعاد على طاولته ثم ضغط على أزرار التحكم فأضاء تكتل من ست مجموعات شمسية تقريبًا باللون الأحمر.

قال بهدوء: «هذه هي الجمهورية الكوريلية».

أومأ التاجر برأسه وقال: «لقد ذهبت إلى هناك من قبل، إنه مكان قذر! أعتقد أن بإمكانك أن تُسميها جمهورية، ولكنه من يُنتَخَب لمنصب الكومدور في كل مرة هو دومًا شخص من عائلة

أرجو. إن لم يُعجبك هذا فسيحدث لك شيءٌ ما». ثم مط شفتيه وكرر مُجددًا: «لقد ذهبت إلى هناك من قبل».

«ولكنك قد عدت، وهو ما لا يحدث دومًا. ثلاث سفن تجارية خاضعة لحماية الاتفاقيات قد اختفت داخل حدود الجمهورية أثناء العام الماضي، وهذه السفن كانت مسلحة بالأسلحة النووية وحقول الطاقة الدفاعية المعتادة».

«ماذا كان آخر ما سمعتموه من السفن؟».

«التقارير الروتينية المعتادة ولا شيء آخر».

«ما الذي قالته كوريل؟».

لمعت عينا سوت في سخرية وقال: «من المستحيل أن نسألهم، إن أعظم مقومات القاعدة في محيط المجرة هو شهرتها بالقوة، هل تعتقد أننا من الممكن أن نفقد ثلاث سفن ونطالب بهم؟».

«حسنًا إذن، أعتقد أن بإمكانك أن تُخبرني بما تريده مني».

لم يُضع جوران سوت وقته في رفاهية الإحساس بالانزعاج، بصفته سكرتيرًا للعمدة فقد واجه من قبل المستشارين المعارضين، والباحثين عن الوظائف، والإصلاحيين، والمخابيل الذين يزعمون أنهم قد استطاعوا التوصل إلى مسار التاريخ المستقبلي برمته كما استنتجه هاري سيلدون. مع خبرة كهذه فإن الأمر يتطلب مجهودًا كبيرًا لإزعاجه.

قال بشكلٍ عملي: «سأُخبرك على الفور. كما ترى فإن فقدان ثلاث سفن في نفس القطاع ونفس العام لا يُمكن أن يكون مُصادفة، إن الطاقة النووية لا يُمكن هزيمتها إلا بطاقة نووية أُخرى. السؤال الذي يطرح نفسه بشكلٍ تلقائي: إن كانت كوريل تمتلك أسلحة نووية فمن أين حصلت عليها؟».

«من أين إذن؟».

«هنـاك احتـمالان: إمـا أن الكوريليـين قـد اسـتطاعوا بناءهـا بأنفسـهم...».

«هذا احتمال بعيد!».

«للغاية! ولكن الاحتمال الآخر هو أننا نتعرَّض لخيانة».

سأله مالو بنبرة جافة: «هل تعتقد هذا؟».

قـال السـكرتير بهـدوء: «لا يوجـد شيء إعجـازي حيـال الاحتماليـة، فمنـذ أن قبلـت الممالـك الأربعـة اتفاقيـة القاعـدة كان علينـا أن نواجـه مجموعـات كبـيرة مـن المواطنـين المتمرديـن في كل أمـة، كل واحـدة مـن الممالـك السـابقة لديهـا أدعياؤهـا ونبلاؤهـا السـابقون، الذيـن لا يتظاهـرون حتـى بأنهـم يحبـون القاعـدة، ربمـا قـد صـار بعضهـم نشـطًا».

احتقـن وجـه مالـو غضبًـا وقـال: «فهمـت. هـل هنـاك شيء تـود أن تقولـه لي؟ أنـا سـميرني».

«أنـا أعـرف، أنـت سـميرني، مولـود في سـميرنو، واحـدة مـن الممالـك الأربعـة السـابقة، أنـت مـن رجـال القاعـدة بالتعليـم فقـط. بالمولـد أنـت دخيـل وأجنبـي، لا شـك أن جـدك الكبـير كان بارونًـا في زمـن الحـروب مـع أناكريـون ولوريـس، ولا شـكَّ أن إقطاعيـات عائلتـك قـد نُزعـت منهـم عندمـا أعـاد سـيف سـيرماك توزيـع الأراضي».

«لا، بحـق الفضـاء الأسـود لا! لقـد كان جـدي رجـلًا فقيرًا، مـات وهـو يحمـل الفحـم بأجـور لا تُسـمن ولا تُغنـي مـن جـوع، قبـل أن تتـولى القاعـدة زمـام الأمـور. أنـا لا أديـن بـشيء للنظـام القديـم. ولكنـي مولـود في سـميرنو، وأنـا لا أخجـل مـن سـميرنو ولا مـن السـميرنيين. ولكـن بحـق المجـرة لـن تُصيبنـي تلميحاتـك الخبيثـة عـن الخيانـة

بالذعر لكي ألعق حذاء القاعدة. يُمكنك الآن أن تُصدر أوامرك أو توجه اتهاماتك، أنا لا أُبالي في الحالتين».

«عزيزي التاجر الخبير، أنا لا أُبالي مقدار إلكترون سواء كان جدك ملك سميرنو أو أفقر فقير على الكوكب، لقد قلت هذا الهراء عن مولدك وأسلافك لأظهر لك أني لا أُبالي بهما. من الواضح أنك لم تفهم المغزى، دعنا نتحدث من البداية، أنت سميرني، أنت تعرف الغرباء، أيضًا أنت تاجر وواحد من أفضل التجار. لقد ذهبتَ إلى كوريل من قبل وتعرف الكوريليين. يجب أن تذهب إلى هناك».

أخذ مالو نفسًا عميقًا وقال: «كجاسوس؟».

«لا على الإطلاق، بل كتاجر، ولكن بعينين مفتوحتين، لترى إن كان بإمكانك معرفة مصدر القوة النووية، يُمكنني أن أذكرك بما أنك سميرني أن سفينتين من السفن المفقودة كانتا تحملان طاقمين من سميرنو».

«متى يُمكنني أن أبدأ؟».

«متى ستكون سفينتك جاهزة؟».

«في غضون ستة أيام».

«ستبدأ حينها إذن. ستحصل على كل التفاصيل في الأميرالية».

قال التاجر: «حسنًا!». ثم اعتدل واقفًا، وتصافحا بخشونة قبل أن ينصرف.

انتظر سوت حتى انصرف قبل أن يفرد أصابعه بحذر ويفرك أظافره في ملابسه. ثم هز كتفيه وخطا إلى مكتب العمدة.

أطفأ العمدة شاشة العرض الموضوعة أمامه، ثم مال للوراء وقال: «ما رأيك فيه يا سوت؟».

قال سوت: «قد يكون ممثلًا بارعًا». ثم حدّق إلى الفراغ مُفكرًا.

الفصل الثاني

في مساء اليوم ذاته، وفي شقة جوران سوت الخاصة في الطابق الحادي والعشرين من مبنى هاردين، كان بوبليس مانليو يحتسي النبيذ ببطء.

كان هذا هو بوبليس مانليو الذي يشغل بجسده النحيل العجوز منصبين عظيمين في القاعدة. كان وزير الخارجية في حكومة العمدة، وكان بالإضافة لهذا ـ بالنسبة لكل الشموس الخارجية عدا القاعدة نفسها ـ رئيس الكنيسة ومانح الطعام المقدس وسيد المعابد إلى آخره بلا نهاية تقريبًا من الألقاب المربكة الفخمة.

كان يقول: «ولكنه وافق على تركك تُرسل هذا التاجر، هذه نقطة هامة».

قال سوت: «ولكنها نقطة صغيرة، لن ننال منها شيئًا على الفور. الأمر برمته هو خدعة غير متقنة، لأننا لا نملك أي طريقة للتنبؤ بنهايته. الأمر ببساطة هو أننا نجذب الحبل على أمل أن تكون هناك أنشوطة في نهايته».

«هذا حقيقي. كما أن مالو هذا رجل بارع. ماذا لو لم يكن فريسة سهلة الخداع؟».

«هذه مجازفة يجب أن نخوضها. إن كان هناك خيانة فإن من قام بها هو رجل بارع، وإن لم يكن هناك خيانة فنحن نحتاج لرجل بارع لمعرفة الحقيقة. كما أن مالو سيكون خاضعًا للحراسة. إن كأسك فارغ».

«لا، شكرًا لك، لقد تناولت ما يكفي».

ملأ سوت كأسه وانتظر في صبر حتى ينتهي الآخر من الغرق في أفكاره القلقة.

أيًا كان ما تضمَّنته هذه الأفكار فقد انتهت بشكلٍ حاسم، فقد قال رئيس الكنيسة فجأة باندفاع: «ما الذي يدور في ذهنك يا سوت؟».

انفرجت شفتاه النحيلتان وقال: «سأخبرك يا مانليو، نحن في منتصف أزمة من أزمات سيلدون».

حدَّق مانليو إليه ثم قال بهدوء: «كيف تعرف؟ هل ظهر سيلدون في خزانة الزمن مرة أُخرى؟».

«هذا ليس ضروريًا يا صديقي، فكر في الأمر، منذ أن تخلَّت الإمبراطورية المجرية عن محيط المجرة الخارجي وتركتنا وشأننا فإننا لم نواجه خصمًا يمتلك طاقة نووية، الآن ولأول مرة نواجه خصمًا كهذا. هذا حدث هام حتى وإن كان مستقلًا بذاته، ولكنه ليس كذلك؛ فلأول مرة منذ أكثر من سبعين عامًا نواجه أزمة سياسية محلية كبرى، أعتقد أن تزامن الأزمتين الداخلية والخارجية ينزع كل شك عن الأمر».

ضيَّق مانليو عينيه وقال: «إن كان هذا هو كل ما في الأمر فإنه ليس كافيًا، لقد كان هناك أزمتان من أزمات سيلدون حتى الآن، وفي كليهما كانت القاعدة تواجه خطر الفناء، لا يُمكن لأي شيء أن يكون أزمة ثالثة حتى يعود هذا الخطر».

لم يسمح سوت قط لنفاد صبره أن يبدو عليه. قال: «هذا الخطر قادم، أي أحمق يُمكنه أن يعرف الأزمة عندما تحدث. الخدمة الحقيقية لهذه الدولة هي إدراك الأزمة في مهدها. اسمعني يا مانليو، نحن نمضي قدمًا عبر تاريخ مخطط له مسبقًا، نحن نعرف

أن هاري سيلدون قد استنتج كل الاحتمالات التاريخية للمستقبل، نحن نعرف أن ذات يوم سنعيد بناء الإمبراطورية المجرية، نحن نعرف أن الأمر سيستغرق ألف عام أو ما يُقارب هذا، ونحن نعرف أننا في تلك المدة سنواجه أزمات معينة أكيدة.

الأزمة الأولى حدثت بعد خمسين عامًا من تأسيس القاعدة، والثانية بعدها بثلاثين عامًا. لقد مرَّ قُرابة خمسة وسبعين عامًا منذ ذلك الوقت، لقد حان الوقت يا مانليو، لقد حان الوقت».

فرك مانليو أنفه في تردد ثم قال: «وأنت قد وضعت خططك لمواجهة هذه الأزمة؟».

أومأ سوت برأسه.

قال مانليو: «وأنا سألعب دورًا في هذا؟».

أومأ سوت برأسه مُجددًا وقال: «قبل أن نقدر على مواجهة خطر الطاقة الذرية الخارجي، يجب علينا أولًا أن نُرتب بيتنا من الداخل. هؤلاء التجار...».

اعتدل رئيس الكنيسة في جلسته ولمعت عيناه وهو يقول: «آهـا!».

«هذا صحيح، هؤلاء التجار. إنهم مفيدون ولكنهم أقوياء للغاية، ولا يُمكن السيطرة عليهم إلى حد كبير. إنهم غرباء، تلقوا تعليمهم بمعزلٍ عن الدين. من ناحية نحن نضع معرفتنا بين أيديهم، ومن الناحية الأُخرى نحن نُرخي أقوى قبضة لنا عليهم».

«إن استطعنا أن نُثبت الخيانة».

«إن استطعنا فإن التصرف المباشر سيكون بسيطًا وكافيًا، ولكن هذا لا يهم كثيرًا، حتى وإن لم توجد خيانة بينهم فإنهم سيكونون عنصرًا غير مستقر في مجتمعنا، إنهم لا ينتمون إلينا بالوطنية

أو بالسلف المشترك، أو حتى بتوقير الدين. إن الأقاليم الخارجية التي تنظر إلينا منذ عصر هاردين على أننا الكوكب المقدس قد تنفصل عنا تحت حكمهم المدني».

«أنا أفهم كل هذا، ولكن الحل...».

«الحل يجب أن يأتي سريعًا، قبل أن تصير أزمة سيلدون حرجة. إن كان هناك أسلحة نووية بالخارج وسخط عام بالداخل فإن الاحتمالات قد لا تكون في صالحنا».

ثم وضع سوت جانبًا كأسه الفارغ الذي كان يُمسكه بأصابعه وقال: «هذه بالطبع مهمتك أنت».

«أنا؟».

«أنا لا أستطيع فعلها، إن منصبي لا يُشغَل إلا بالتعيين، وليس لديَّ أي سلطات تشريعية».

«العمدة...».

«مستحيل، إن شخصيته سلبية بالكامل، إنه نشيط فقط في التهرب من المسؤوليات، ولكن إن نشأ حزب مستقل يهدد إعادة الانتخاب فقد يستسلم لقيادتهم».

«ولكن أنا أفتقر إلى الكفاءة في السياسة العملية يا سوت».

«اترك هذا الأمر لي. من يعرف يا مانليو؟ منذ عصر سالفور هاردين لم تجتمع رئاسة الكنيسة والعُمُديَّة في شخص واحد. ولكن هذا قد يحدث الآن إذا أديت مهمتك على أكمل وجه».

الفصل الثالث

في الطرف الآخر من المدينة، في بيئة أكثر ألفة، كان هوبر مالو يُجري مقابلة أخرى. استمع طويلًا ثم قال في حذر: «أجل، لقد سمعت عن حملتك الانتخابية للحصول على ممثل للتجار في المجلس، ولكن لِمَ أنا يا توير؟».

ابتسم جيم توير، الذي سيُذكِّرك في أي وقت، سواء سألته أو لم تسأله، أنه كان ضمن المجموعة الأولى من الغرباء الذين تلقوا تعليمًا مدنيًّا في القاعدة. قال: «أنا أعرف ما أفعله، هل تذكر عندما التقيت بك في العام الماضي؟».

«في مؤتمر التجار».

«صحيح، كنت أنت من يدير الاجتماع، لقد جعلت هؤلاء الثيران الحمقى يتسمرون في مقاعدهم ثم وضعتهم في جيب قميصك وسرت خارجًا بهم. وأنت على وفاق مع سكان القاعدة أيضًا. إن لديك شخصية جذابة، أو على الأقل سمعة بأنك مُغامر، وهما الشيء ذاته».

قال مالو ببرود: «حسنًا، ولكن لِمَ الآن؟».

«لأن الآن هي فرصتنا، هل تعرف أن وزير التعليم قد قدَّم استقالته؟ الأمر ليس علنيًّا بعد، ولكنه سيكون كذلك».

«كيف تعرف هذا؟».

لوَّح بيده في امتعاض وقال: «لا تُبالي بهذا، ولكن الأمر حقيقي. إن حزب العمل مفتوح على مصراعيه، ويُمكننا القضاء عليه الآن بالمطالبة بشكلٍ مباشر بالمساواة في الحقوق من أجل التجار، أو

بالأحـرى بالمطالبـة بالديموقراطيـة، للمؤيديـن منهـم أو المعارضـين».

اسـترخى مالـو في كرسـيه وهـو يحـدق إلى أصابعـه الغليظـة، ثـم قـال: «آهـا، المعـذرة يـا تويـر، أنـا سـأُغادر في رحلـة عمـل الأسـبوع المقبـل، سـيكون عليـك أن تجـد شـخصًا آخـر».

حدق توير إليه وقال: «عمل؟ أي نوعٍ من العمل؟».

«أمـر سري للغايـة، أولويـة مـن الدرجـة القصـوى، ومـا إلى ذلـك. لقـد تحدَّثـت مـع السـكرتير الشـخصي للعمدة».

قـال جيـم تويـر في حـماس: «الثعبـان سـوت؟ إنهـا خدعـة، إن هـذا الوغـد يحـاول التخلـص منـك يـا مالـو...».

قـال مالـو وهـو يُمسـك بقبضـة الآخـر المضمومـة: «مهلًا! لا تتحـدث كثـيرًا. إن كانـت خدعـة فسـوف أعـود ذات يـوم لأُحاسـبه، إن لم تكـن خدعـة فـإن هـذا الثعبـان سـوت ـ كـما تقـول ـ يُسـدي إلينـا معروفًـا مـن حيـث لا يحتسـب. اسـمعني، هنـاك أزمـة مـن أزمـات سـيلدون تلـوح في الأفـق».

انتظـر مالـو رد فعـلٍ معـين، ولكنـه لم يـأتِ. لم يفعـل تويـر شـيئًا سـوى أن حـدَّق إليـه وقـال: «مـا هـي أزمـات سـيلدون؟».

انفجـر مالـو في غضـب بسـبب الـرد المخيـب للآمـال قائـلًا: «بحـق المجـرة! مـا الـذي كنـت تفعلـه عندمـا كنـت في المدرسـة بحـق الشـهب الزرقـاء؟ مـا الـذي تعنيـه بسـؤال أحمـق كهـذا؟».

عقد الرجل الكهل حاجبيه وقال: «لو تفضلت فقط بالشرح...».

خيَّـم صمـت طويـل، ثـم خفـض مالـو حاجبيه وقـال ببطء: «سـأشرح لـك، عندمـا بـدأت الإمبراطوريـة المجريـة تنهـار في أطـراف المجـرة، وعندمـا ارتـدَّت هـذه الأطـراف إلى البربريـة، وبـدأت تنحـدر، أنشـأ هـاري سـيلدون وفريقـه مـن علـماء التاريـخ النفـسي مسـتعمرة؛ ألا

وهـي القاعـدة، هنـا في قلـب هـذه الفـوضى، لـكي نسـتطيع أن نحتضـن الفـن والعلـم والتكنولوجيـا، ونُشـكِّل نـواة للإمبراطوريـة الثانيـة».

«آه، أجل، أجل...».

قـال التاجـر بصرامـة: «لم أنتـهِ مـن حديثـي بعـد. لقـد رُسـم المسـار المسـتقبلي للقاعـدة بحسـب علـم التاريـخ النفـسي، ثـم تطـور كثـيراً ورُتِّبَـت الظـروف الملائمـة لـكي يحـدث سلسـلة مـن الأزمـات التـي سـتجبرنا عـلى السـير بأكـبر سرعـة ممكنـة عـبر الطريـق المـؤدي إلى الإمبراطوريـة المسـتقبلية. كل أزمـة، كل أزمـة مـن أزمـات سـيلدون، تُحـدد حُقبـة مـن تاريخنـا. نحـن نقـترب مـن واحـدة الآن؛ أزمتنـا الثالثـة».

هـز تويـر كتفيـه وقـال: «أعتقـد أن هـذا قـد ذُكـر في المدرسـة، ولكنـي قـد تركـت المدرسـة منـذ وقـتٍ طويـل، أطـول بكثـير منـك».

«أعتقـد هـذا. انـسَ الأمـر. مـا يهـم الآن هـو أنهـم سيرسـلون بي إلى حيـث تتطـور هـذه الأزمـة، لا أحـد يعـرف مـا سـيكون بحـوزتي عندمـا أعـود، وانتخابـات المجلـس تجـري كل عـام».

نظر توير إليه وقال: «هل تقتفي أثر شيء ما؟».

«لا».

«هل لديك خطط محددة؟».

«إطلاقًا».

«حسنًا...».

«لا شيء. لقـد قـال هارديـن ذات مـرة: التخطيـط ليـس كافيًـا وحـده لـكي تنجـح، يجـب عـلى المـرء أن يرتجـل أيضًـا. أنـا سـأرتجل».

هزَّ توير رأسه في تردد، ثم وقف الرجلان وتبادلا النظرات.

قال مالو فجأة بطريقة عملية: «سأخبرك بشيء؛ ما رأيك أن تأتي معي؟ لا تحدق إليَّ هكذا يا رجل، لقد كنت تاجرًا قبل أن تقرر أن هناك إثارة أكثر في السياسة، أو هذا ما سمعته».

«إلى أين ستذهب؟ أخبرني بهذا».

«إلى أخدود واساليا، لا يُمكنني أن أكون أكثر دقة حتى نكون في الفضاء. ما قولك؟».

«أعتقد أن سوت يُريدني أن أكون حيث يُمكنه أن يراني».

«هذا غير محتمل، إن كان يسعى إلى التخلص مني، فلِمَ لا يتخلص منك أيضًا؟ كما أنه لا يوجد أي تاجر سيخرج إلى الفضاء ما لم يختَر طاقمه بنفسه، أنا سآخذ معي من أريده».

لمع بريق غريب في عينيَ الكهل، ثم قال وهو يمد يده: «حسنًا، سأذهب، ستكون أول رحلة لي منذ ثلاثة أعوام».

أمسك مالو بيد الرجل الآخر ليصافحه وقال: «جيد! جيد للغاية! والآن سأذهب لأجمع الطاقم، أنت تعرف أين ترسو سفينتي (النجم البعيد)، أليس كذلك؟ فلتأتِ إلى هناك في الغد. إلى اللقاء».

الفصل الرابع

كوريل هي تلك الظاهرة المتكررة في التاريخ: الجمهورية التي يمتاز حاكمها بكل سمات المُلك المُطلق عدا الاسم، ولهذا فإنه يتمتع بالطغيان المعتاد الذي لا يقيده حتى هذان المؤثران المعادلان في الأنظمة الملكية الحقيقية، الشرف الملكي ومراسم البلاط.

من الناحية المادية كان معدل ازدهارها منخفضًا، لقد ولّت أيام الإمبراطورية المجرية ولم يبقَ شيء ليشهد عليها سوى النُصُب التذكارية الصامتة والمباني المتهدمة. وأيام القاعدة لم تأتِ بعد، وقد لا تأتي أبدًا بسبب التصميم الشديد لحاكمها الكومدور أسبِر أرجو على فرض القيود الصارمة على التجار والمنع التام للمبشرين.

كان ميناء الفضاء نفسه متداعيًا ومتهالكًا، وكان طاقم سفينة النجم البعيد يُدرك هذا باكتئاب. كانت مرائب السفن متعفنة وصنعت جوًّا كئيبًا، حتى أن جيم توير كان يتململ من أجل لعب الورق.

قال هوبر مالو مفكرًا: «مكانٌ خصبٌ للتجارة هنا». كان يُحدق بهدوء خارج النافذة، لم يكن هناك الكثير ليُقال عن كوريل حتى الآن. لقد كانت الرحلة رتيبة. إن سرب السفن الكوريلية الذي اندفع ليعترض طريق النجم البعيد كان يتكون من سفن صغيرة عرجاء من بقايا المجد القديم، أو سفن ضخمة متهالكة. لقد أبقوا مسافة آمنة بينهم وبين السفينة في خوف، ولا يزالون يبقون على هذه المسافة لأسبوع حتى الآن. لقد طلب مالو مقابلة الحاكم المحلي عدة مرات دون أن يتلقى إجابة.

قال مالو مُجددًا: «مكانٌ خصبٌ للتجارة، يُمكنك أن تقول إنها

أرض بكـر».

رفـع جيـم تويـر عينيـه في نفـاد صـبر ثـم ألقـى أوراقـه جانبًـا وقـال: «مـا الـذي تنـوي فعلـه بحـق الشـيطان يـا مالـو؟ إن الطاقـم يتذمـر، والضبـاط قلقـون، وأنـا أتسـاءل...».

«تتساءل؟ عن ماذا؟».

«عن الموقف، وعنك. ماذا سنفعل؟».

«سننتظر».

احمـرّ وجـه التاجـر الكهـل في غضـب، ثـم قـال مزمجـرًا: «أنـت تتخبـط بشـكلٍ أعمـى يـا مالـو، هنـاك حراسـة حـول المينـاء، وهنـاك سـفن فـوق رؤوسـنا، أعتقـد أنهـم يسـتعدون لقصفنـا حتـى لا يبقـى منـا أثـرٌ».

«لقد كان لديهم أسبوع لفعل هذا».

قـال تويـر وقـد ازدادت عينـاه حـدة وصرامـة: «ربمـا ينتظـرون التعزيـزات».

جلـس مالـو فجـأة وقـال: «أجـل، لقـد فكّـرت في هـذا، ولكـن الأمـر يُشـكّل معضلـة كبـيرة؛ أولًا لقـد وصلنـا إلى هنـا بـدون مشـكلة، هـذا قـد لا يعنـي شـيئًا، فهنـاك ثـلاث سـفن فقـط قـد اختفـت بـلا أثـر مـن أصـل أكـثر مـن ثلاثمئـة سـفينة، النسـبة ضئيلـة للغايـة، ولكـن هـذا قـد يعنـي أيضًـا أن عـدد سـفنهم المسـلحة بالطاقـة النوويـة صغـير، وأنهـم لا يجـرؤون عـلى الكشـف عنهـا بـدون داعٍ، حتـى يـزداد هـذا العـدد.

ولكـن مـن الناحيـة الأُخـرى قـد يعنـي هـذا أنـه ليـس لديهـم طاقـة نوويـة عـلى الإطـلاق، أو ربمـا لديهـم ويبقـون الأمـر سرًا خوفًـا مـن أن نعـرف شـيئًا. هنـاك فـارق في النهايـة بـين القرصنـة عـلى سـفينة تجاريـة خفيفـة التسـليح، وبـين العبـث مـع مبعـوث رسـمي مـن

القاعـدة، بينـما حقيقـة وجـوده هنـا قـد تعنـي أن القاعـدة تشـك في الأمـر.

فلتضف إلى هذا...».

رفـع توير يـده وقـال: «مهـلًا يـا مالـو، أنـت تُغرقنـي بـكل هـذا الحديـث، مـا الـذي ترمـي إليـه؟ دعـك مـن التفاصيـل الصغـيرة».

«يجـب أن تعـرف التفاصيـل يـا توير إلا فإنـك لـن تفهـم، إن كلينـا ينتظـر، إنهـم لا يعرفـون مـا الـذي أفعلـه هنـا، وأنـا لا أعـرف مـاذا لديهـم هنـا، ولكنني في الموقـف الأضعـف لأننـي شـخص واحـد وهـم كوكـب بأكملـه، ربمـا كوكـب مـزود بالطاقـة النوويـة. لا يمكنني تحمـل أن أكـون الطـرف الأضعـف، بالتأكيـد الأمـر خطـير، وبالتأكيـد قـد يكون القصـف بانتظارنـا، ولكننـا نعـرف هـذا مـن البدايـة. مـا الخيـارات الأخـرى لدينـا؟».

«أنا لا أعرف... من هذا الآن؟».

رفـع مالـو عينيـه بصـبر وضبـط جهـاز الاسـتقبال، فأضـاءت شاشـة العـرض لتُظهـر الوجـه الصـارم لعريـف المراقبـة.

«تحدَّث أيها العريف».

قـال العريـف: «المعـذرة يـا سـيدي، ولكـن الرجـال قـد سـمحوا لمُبشِّر مـن القاعـدة بالدخـول».

قال مالو في غضب شديد: «مَن؟».

«مُبَشِّر يا سيدي، إنه في حاجة ماسة للعلاج يا سيدي...».

«سـيكون هنـاك أكـثر مـن شـخص في حاجـة للعـلاج بسـبب هـذا التـصرف أيهـا العريـف، فلتأمـر الرجـال بالتوجـه إلى مراكـز القتـال».

كانـت غرفـة اسـتراحة الطاقـم فارغـة تقريبًـا. بعـد خمـس دقائـق مـن إصـدار الأمـر، حتـى الرجـال الذيـن كانـوا قـد انتهـوا مـن نوبتهـم توجهـوا إلى مراكزهـم. كانـت السرعـة هـي الميزة العظيمـة في المناطـق الفوضويـة مـن الفضـاء النجمـي في محيـط المجـرة، وكانـت السرعـة فـوق كل شيء آخـر هـي مـا يتفـوق فيـه طاقـم التاجـر الخبـير.

دلـف مالـو ببـطء وحـدق إلى المُبَـشِّر مـن رأسـه حتـى أخمـص قدميـه، ثـم انتقلـت عينـاه إلى المـلازم تينـتر، الـذي كان يتململ بتوتـر إلى جانـب عريـف المراقبـة دِيمِـن، الـذي كان وجهـه خاويًـا من المشـاعر وجسـده متصلـب.

التفـت التاجـر الخبـير إلى تويـر وصمـت مفكـرًا ثـم قـال: «حسـنًا يـا تويـر، فلتحـضر الضبـاط إلى هنـا عـدا المنسقين والمسـؤولين عـن المسـار، يجـب أن يبقـى الرجـال في مراكزهـم حتـى إشـعار آخـر».

مـرَّت خمـس دقائـق ركل خلالهـا مالـو الأبـواب المؤديـة إلى المراحيض ونظـر وراء البـار وجـذب السـتائر التـي تُغطـي النوافـذ السـميكة، ثـم غـادر الغرفـة تمامًـا لنصـف دقيقـة قبـل أن يعـود وهـو يتمتـم بـكلامٍ غـير مفهـوم.

دلـف الرجـال إلى الغرفـة يتبعهـم تويـر، الـذي أغلـق البـاب في صمـت.

قـال مالـو بهـدوء: «أولًا؛ مـن الـذي سـمح لهـذا الرجـل أن يدخـل بـدون أوامـر منـي؟».

خطـا عريـف المراقبـة خطـوة للأمـام فالتفتـت كل الأعـين إليـه، ثـم قـال: «المعـذرة يـا سـيدي، لم يكـن شـخصًا بعينـه، لقـد كان نوعًـا مـن الاتفـاق الجماعـي، يُمكنـك القـول إنـه واحـد منـا، وهـؤلاء الأجانـب

هنـا...».

قاطعـه مالـو عـلى الفـور قائـلًا: «أنـا أتعاطـف مـع مشـاعرك أيهـا العريـف، وأتفهمهـا تمامًـا. هـؤلاء الرجـال، هـل كانـوا تحـت إمرتـك؟».

«أجل يا سيدي».

«عندمـا ينتهـي هـذا الأمـر فسـوف تحتجـز في غُرفـة خاصـة لأسـبوع، وأنـت نفسـك معفـى مـن كل المهـام الإشرافيـة لفـترة مماثلـة، هـل هـذا مفهـوم؟».

لم تتغير ملامـح العريـف ولكنـه أطـرق بكتفيـه قليـلا وقـال بجمـود: «أجـل يـا سـيدي».

«يُمكنك أن تُغادر، اذهب إلى مركزك القتالي».

انغلق الباب وراءه ثم تعالت الهمهمة.

تدخـل تويـر قائـلًا: «لم هـذه العقوبـة يـا مالـو؟ أنـت تعـرف أن هـؤلاء الكوريليـين يقتلـون مـن يمسـكون بـه مـن المبشريـن».

«أي تـصرف مُخالـف لأوامـري هـو أمـر سيئ في حـد ذاتـه أيًـا كانـت مبرراتـه. لا يجـب أن يدخـل أحـد السـفينة أو يغادرهـا بـدون إذن».

تمتـم المـلازم تينـتر متذمـرًا: «سـبعة أيـام بـدون عمـل، لا يُمكنـك الحفـاظ عـلى الانضبـاط بهـذه الطريقـة».

قـال مالـو بصـوت بـارد كالثلـج: «يُمكننـي هـذا. لا جـدوى مـن الانضبـاط في الظـروف المثاليـة، سـوف أحصـل عليـه في وجـه المـوت وإلا فإنـه بـلا فائـدة. أيـن هـذا المُبـشِّر؟ أحـضروه إلى هنـا أمامـي».

جلـس التاجـر بينـما هـم يحـضرون الرجـل ذا العبـاءة القرمزيـة بحـرص شـديد.

«ما اسمك أيها المُبَجَّل؟».

«ماذا؟». استدار الرجل ذو العباءة القرمزية ناحية مالو، كان جسده بأكمله يتحرك كوحدة واحدة. كانت عيناه مفتوحتين في خواء وهناك كدمة على صدغه، إنه لم يتحدث أو يتحرك حسب معرفة مالو أثناء الفترة السابقة.

«اسمك أيها المُبَجَّل؟».

دبَّت الحياة فجأة في جسد المبشر، ففرد ذراعيه على جانبيه وقال: «يا بُني، يا طفلي، فلتكن دومًا في حماية الروح المجرية».

خطا توير إلى الأمام ثم قال بعينين منزعجتين وصوت أجش: «الرجل مريض، فليأخذه أحد إلى الفراش، فلتأمر بأخذه إلى الفراش يا مالو وأن يعتني به أحدهم، إنه مصاب بشدة».

دفعه مالو بذراعه العظيمة إلى الوراء وقال: «لا تتدخل يا توير وإلا سآمر بإخراجك من الغرفة. اسمك أيها المُبَجَّل؟».

ضمَّ المبشر ذراعيه في تضرع مُفاجئ وقال بصوتٍ مرتجف: «أنت رجل متنور، فلتنقذني من الوثنيين، أنقذني من هؤلاء الهمج الظلاميين الذين يطاردونني ويُغضبون الروح المجرية بجرائمهم. أنا جورد بارما، من كواكب أناكريون، تلقَّيت تعليمي في القاعدة، القاعدة نفسها يا بُني، أنا من كهنة الروح، وتعلَّمت كل الأسرار، وجئت إلى هنا تلبية لدعوة صوت بداخلي». كان يشهق وهو يتحدث. «لقد عانيت على أيدي الجهال، أنت من أبناء الروح، وباسم الروح احمني منهم».

ما إن انتهى من حديثه حتى تصاعد الصوت المعدني لجهاز إنذار الطوارئ:

«وحدات العدو على مرمى البصر! نطلب التعليمات!».

التفتت كل الأعيُن على الفور لأعلى ناحية المذياع.

سـبٌّ مالـو بعنـف ثـم ضغـط عـلى جهـاز الإرسـال وصـاح: «فلتحافظـوا عـلى يقظتكـم! هـذا كل شيء!». قبـل أن يغلقـه.

شقَّ طريقـه ناحيـة السـتائر السـميكة التـي انزاحـت جانبًا بلمسـة مـن يـده وحـدَّق بوجـوم إلى الخـارج.

وحـدات العـدو! عـدة آلاف منهـم عـلى هيئـة حشـد غاضـب مـن الأفـراد الكوريليـين. كان الحشـد يزحـف نحوهـم ويحيـط بالسـفينة مـن أقصاهـا إلى أقصاهـا، وكانـت مقدمتـه تقـترب حثيثـا في الضـوء البـارد لمشـاعل الماغنسـيوم.

لم يلتفـت التاجـر ولكـن مؤخـرة عنقـه كانـت حمـراء وهـو يقـول: «تينـتر! فلتشـغل المذيـاع الخارجـي ولتعـرف مـا الـذي يريدونـه، اسـألهم إن كان هنـاك ممثـل للقانـون بينهـم، لا تعطهـم أي وعـود أو تهديـدات وإلا سـأقتلك».

استدار تينتر وغادر.

أحـس مالـو بيـد خشـنة عـلى كتفـه فضربهـا ليزيحهـا جانبًا، لقـد كان تويـر، كان صوتـه فحيحًـا غاضبًـا في أذن مالـو وهـو يقـول: «يجـب أن تتمسـك بالرجـل يـا مالـو، وإلا فلـن نسـتطيع أن نحافـظ عـلى شرفنـا وكرامتنـا، إنـه مـن القاعـدة، وهـو في نهايـة الأمـر كاهـن، وهـؤلاء مـن بالخـارج همـج، هـل تسـمعني؟».

قـال مالـو بصـوت حاسـم: «أنـا أسـمعك يـا تويـر، لـدي الكثـير هنـا لفعلـه غـير حمايـة المبشريـن، سـأفعل مـا أريـد يـا سـيدي، وبحـق سـيلدون وكل المجـرة إذا حاولـت أن توقفنـي فسـوف أمـزق حلقـك العفـن، لا تقـف في طريقـي يـا تويـر وإلا فسـيكون هـذا آخـر مـا تفعلـه في حياتـك».

ثـم اسـتدار وخطـا مـن جـواره قبـل أن يقـول: «أنـت! أيهـا المبجـل

بارما! هل تعرف أنه بحسب الاتفاقيات لا يُمكن لأي مبشر من القاعدة أن يدخل المناطق الكوريلية؟».

قال المبشر وهو يرتجف: «لا يُمكنني أن أذهب إلا إلى حيث تقودني الروح يا بُني، إن رفض الظلاميون التنوير، أليس هذه علامة كبرى على حاجتهم إليه؟».

«هذه ليست إجابة السؤال أيها المبجل، إن وجودك هنا يُخالف قوانين كوريل والقاعدة على حد سواء، لا يُمكنني بحسب القانون أن أحميك».

رفع المبشر يديه مُجددًا وقد اختفى ذهوله السابق. كان هناك صخب متعالٍ بعد تشغيل أجهزة تواصل السفينة الخارجية، والهدير الخافت غير المفهوم للحشد الغاضب بالخارج. لقد جعل الصوت عينيه تتسعان في ذعر.

«هل تسمعهم؟ لم تحدثني عن القانون، قانون وضعه البشر؟ هناك قوانين أسمى. أليست الروح المجرية هي من قالت: لا يجب أن يقف أحدكم مكتوف اليدين أمام إيذاء رفيقه. وألم تكن هي من قالت: كما يتعامل أحدكم مع الضعيف والعاجز فكذلك سيُحاسب.

أليس معك أسلحة؟ أليس معك سفينة؟ ومن ورائك أليست هناك القاعدة؟ ومن فوقك، وفي كل مكان من حولك أليس هناك الروح التي تحكم الكون؟». ثم توقف ليلتقط أنفاسه.

حينها توقف الصوت الهادر القادم من خارج سفينة النجم البعيد وعاد الملازم تينتر في انزعاج.

قال مالو على الفور: «تحدَّث!».

«إنهم يطالبون بتسليم جورد بارما يا سيدي».

«وإن لم نفعل؟».

«هناك تهديدات مختلفة يا سيدي، من الصعب تمييز الكثير من حديثهم، إن عددهم كبير للغاية ومن الواضح أنهم غاضبون كثيرًا. هناك شخص يقول إنه حاكم المقاطعة وإنه يمتلك قوة الشرطة، ولكن من الواضح أنه ليس سيد قراره».

هزَّ مالو كتفيه وقال: «سيد أو لا، إنه يمثل القانون. أخبرهم أنه إن اقترب هذا الحاكم أو الشرطي أو أيًّا كان من السفينة وحده فإن بإمكانه أن يأخذ المُبَجَّل جورد بارما».

وفجأة صار مسدسه في يده وهو يضيف: «أنا لا أعرف ما معنى التمرد، فلم يكن لديَّ أي تجربة معه من قبل، ولكن إن كان هناك بينكم من يعتقد أنه يستطيع أن يعلمني معنى التمرد فأعتقد أنني باستطاعتي أن أعلمه علاجي لهذا الأمر بدوري».

دار مسدسه ببطء ثم استقرَّ على توير. بذل التاجر الكهل مجهودًا ليُرخي وجهه وقبضتيه قبل أن يخفضهما، كان يتنفس بصوت خشن من أنفه.

غادر تينتر وبعد خمس دقائق انفصل جسد ضئيل عن الحشد واقترب ببطء وتردد، كان من الواضح أنه غارق في الخوف والترقب، لقد أدار ظهره مرتين، وفي كل مرة تحفزه التهديدات الواضحة للوحش متعدد الوجوه لكي يكمل طريقه للأمام.

أشار مالو بمسدسه، الذي لم يعده إلى جرابه، ثم قال: «حسنًا، جرون وأبشور، خذاه خارجًا».

صرخ المُبشر ثم رفع ذراعيه وفرد أصابعه النحيلة لأعلى فانزلق الكُمّان الفضفاضان ليكشفا عن ذراعين نحيلتين بارزتي العروق. كان هناك لمعان ضوء خاطف ظهر واختفى في لمح البصر، رمش

مالـو بعينيـه ثـم أشـار بمسدسـه مُجـددًا بـازدراء.

تعـالى صـوت المبـشر وهـو يقـاوم الذراعـين الممسـكتين بـه: «اللعنـة عـلى الخائـن الـذي يتخـلى عـن رفيقـه ويُلقـي بـه للـشر والمـوت. فلتُصَـمَّ الأذنـان اللتـان لا تسـمعان توسـلات العاجـز، فلتُعمـى العينـان اللتـان تغضـان البـصر عـن الـبريء. فلتسـوَدَّ إلى الأبـد الـروح التـي تُرافـق السـواد...».

وضع توير يديه بقوة على أذنيه.

أدار مالـو مسدسـه في يـده ثـم أعـاده إلى جرابـه قبـل أن يقـول: «انصرفـوا، كل واحـد منكـم إلى موقعـه المحـدد. حافظـوا عـلى اليقظـة التامـة لسـت سـاعات بعـد انـصراف الحشـد. ضاعفـوا المواقـع لثمانيـة وأربعـين سـاعة عقـب ذلـك. سـأُصدر المزيـد مـن التعليـمات في الوقـت المناسـب. تعـالَ معـي يـا تويـر».

صـارا وحدهـما في غُرفـة مالـو الخاصـة، أشـار مالـو إلى أحـد المقاعـد، فجلـس تويـر وقـد بـدا جسـده البديـن منكمشًـا.

حـدَّق مالـو إليـه بسـخرية وقـال: «لقـد خيَّبـت أمـلي يـا تويـر، يبـدو أن ثلاثـة أعـوام مـن السياسـة قـد جعلتـك تنـسى عاداتـك كتاجـر. تذكـر هـذا، قـد أكـون ديموقراطيًـا في القاعـدة، ولكـن هنـا لا يُمكـن لـشيء سـوى الاسـتبداد المطلـق أن يُديـر سـفينتي بالطريقـة التـي أُريدهـا. لم أُضطـر مـن قبـل لأن أُشـهر مسدسي في وجـه رجـالي، ولم يكـن هـذا ليحـدث الآن إن لم تخـرج أنـت عـن النظـام.

ليـس لديـك موقـع رسـمي يـا تويـر، ولكنـك هنـا بنـاء عـلى دعـوتي، وسـوف أمنحـك كل المجامـلات بينـي وبينـك، ولكـن مـن الآن فصاعـدًا في حـضرة رجـالي وضباطـي فأنـا سـيدي ولسـت مالـو، وعندمـا أُصـدر أمـرًا فسـوف تهـب لتنفيـذه أسرع مـن أي مجنـد مـن الدرجـة الثالثـة،

بينـما تتمنـى أن يكـون حظـك حسـنًا وإلا فسـوف أُقيـدك في الطابـق السـفلي بـأسرع مـن هـذا. هـل هـذا مفهـوم؟».

ازدرد رئيس الحزب لعابه ثم قال على مضض: «أعتذر».

«اعتذارك مقبول! هل نتصافح؟».

اعتـصرت يـد مالـو الضخمـة أصابـع تويـر المرتجفـة، ثـم قـال الأخـير: «لقـد كانـت دوافعـي طيبـة، مـن الصعـب أن تُرسِـل رجـلًا للخـارج لـكي يُشـنق، إن الحاكـم ضعيـف الشـخصية هـذا ـ أو أيًّـا كان ـ لا يسـتطيع أن ينقـذه. إنهـا جريمـة قتـل».

«ليـس بيـدي حيلـة. كـما أن هـذه الحادثـة بأكملهـا تبـدو مريبـة حقًّـا. ألم تُلاحـظ؟».

«ألاحظ ماذا؟».

«إن ميناء الفضـاء هـذا في منتصـف منطقـة بعيـدة نائيـة، وفجـأة يهـرب مبشر، مـن أيـن هـرب؟ لقـد أتى إلى هنـا، هـل هـي مصادفـة؟ تجمَّـعَ حشـد كبير، مـن أيـن أتى؟ لا شـكَّ أن أقـرب مدينـة مـن أي حجـم عـلى بعـد مئـة ميـل عـلى الأقـل، ولكنهـم وصلـوا إلى هنـا في نصـف سـاعة، كيـف؟».

ردد توير وراءه: «كيف؟».

«حسـنًا، مـاذا إن كان هـذا المبـشر قـد جُلِـبَ إلى هنـا وأُطلِـق سراحـه كطعـم لنـا؟ إن صديقنـا المبجـل بارمـا كان مرتبـكًا بشـكلٍ ملحـوظ، لم يبـدُ في أي وقـت أنـه كان يُفكـر بشـكلٍ سـليم».

تمتم توير بمرارة: «إن المعاملة السيئة...».

«ربمـا! وربمـا كانـت الفكـرة هـي جعلنـا نندفـع بشـهامة وبسـالة للدفـاع عـن الرجـل بشـكلٍ أحمـق. إن وجـوده هنـا يخالـف قوانـين كوريـل والقاعـدة، إذا رفضـتُ تسـليمه فـإن هـذا التـصرف يُعـدُّ إعلانًـا

للحـرب عـلى كوريـل، ولـن يكـون لـدى القاعـدة أيُّ حـق قانـوني في الدفـاع عنَّـا».

«هذا... هذا احتمال بعيد للغاية».

قبل أن يُجيب مالو تعالى صوت المذياع ليقاطعه:

«لقد تلقَّينا رسالة رسمية يا سيدي».

«فلترسلها إليّ على الفور».

وصلـت الأسـطوانة اللامعـة عـبر الفتحـة المخصصـة لهـا بصـوت تكـة، ففتحهـا مالـو وأخـرج منهـا الورقـة الفضيـة التـي تحويهـا. فركهـا بـين سبابته وإبهامـه برضـا ثـم قـال: «مرسـلة مباشرة مـن العاصمـة، مـن مقـر حكـم الكومـدور نفسـه».

قرأهـا بنظـرة سريعـة ثـم ضحـك عـلى الفـور وقـال: «إذن فـإن فكـرتي كانـت بعيـدة الاحتـمال، أليـس كذلـك؟».

ثـم ألقـى بالورقـة إلى توير وأضـاف: «بعـد نصـف سـاعة مـن تسـليمنا للمبـشر نتلقـى أخـيراً دعـوة رسـمية للمثـول أمـام الكومـدور الموقَّـر، بعـد سـبعة أيـام مـن الانتظـار. أعتقـد أننـا نجحنـا في الاختبـار».

الفصل الخامس

كان الكومدور أسبِر رجل الشعب بحسب زعمه. كانت بقايا خصلات شعره الرمادي الخلفية مسدلة بلا اهتمام على كتفيه، وكان قميصه في حاجة إلى الغسل، وكان يتحدث بصوت أخنف.

قال: «لا يوجد أي تفاخر هنا أيها التاجر مالو، لا استعراض زائف، ببساطة أنت لا ترى في شخصي إلا المواطن الأول للدولة، هذا هو ما يعنيه لقب كومدور، وهو اللقب الوحيد الذي أحوزه».

بدا مسرورًا بالأمر برمته إلى حد مفرط. «في الواقع أنا أعتبر هذه الحقيقة هي واحدة من أقوى الروابط بين كوريل وأمتك، أنا أعلم أن شعبكم يتمتع بميزات الجمهورية مثلنا».

قال مالو بجدية وهو يحاول أن يُبعد المقارنة عن عقله: «بالضبط أيها الكومدور، وهي المسألة التي أعتبرها بشدة في صالح السلام والصداقة المتواصلين بين حكومتينا».

ارتعشت لحية الكومدور الرمادية خفيفة الشعر عندما تلوى وجهه في انفعال وهو يقول: «السلام! أجل! لا أعتقد أن هناك أي شخص في محيط المجرة يحمل في أعماق قلبه النموذج المثالي للسلام مثلي. يُمكنني بصدق أن أقول إنني منذ أن خلفت أبي العظيم في حكم هذه الدولة فإن السلام لم ينقطع. ربما لا يجب أن أقول هذا...»، ثم سعل برفق قبل أن يُكمل: «ولكن قد قيل لي إن شعبي - أو بالأحرى زملائي المواطنين - يعرفونني باسم أسبِر المحبوب».

تجوّلت عينا مالو في الحديقة المعتنى بها جيدًا، ربما الرجال الطوال والأسلحة غريبة التصميم الوحشية بشكلٍ صريح التي

يحملونها، كانوا يكمنون في زوايا كتدبير احترازي فقط من أجله، ولكن هذه الجدران العالية المحصنة التي تحيط بالقصر، التي من الواضح أنها قد عُززت مؤخرًا، هي مسكن غير مناسب لمثل هذا الشخص المحبوب.

قال: «من حُسن حظي أنني أتعامل معك إذن أيها الكومدور، إن الطغاة والمستبدين في الكواكب المحيطة، الذين لا يحظون بمزية الإدارة المستنيرة، عادة ما يفتقدون إلى المقومات التي تصنع حاكمًا محبوبًا».

قال الكومدور بنبرة حذرة: «مثل ماذا؟».

«مثل الحرص على مصالح شعوبهم، أنت في المقابل سوف تفهمني».

أبقى الكومدور عينيه على الطريق المرصوف بالحصى وهما يسيران على مهلٍ، ويداه معقودتان وراء ظهره.

أكمل مالو حديثه بسلاسة: « إن التجارة بين أمتينا قد عانت حتى الآن بسبب القيود التي فرضتها حكومتكم على تجارنا، لقد صار واضحًا بالتأكيد منذ وقت طويل أن التجارة غير المحدودة...».

تمتم الكومدور قائلًا: «التجارة الحرة!».

«التجارة الحرة إذن. أنت تدرك بالتأكيد أنها ستكون في مصلحة كلينا. هناك أشياء أنتم تمتلكونها ونحن نريدها، وأشياء نحن نمتلكها وأنتم تريدونها. أنا لا أطلب سوى التبادل التجاري لجلب ازدهار متزايد، إن حاكما متنورًا مثلك صديقًا للشعب ـ أو ربما يجب أن أقول فردًا من الشعب ـ لا يحتاج المزيد من التوضيح في هذا الموضوع، أنا لن أهين ذكاءك بالتوضيح».

قال بصوتٍ متذمر مستاء: «حقيقي! لقد أدركت هذا. ولكن

ما العمل؟ لطالما كان قومك غير عقلانيين، أنا في صالح كل أنواع التجارة التي يستطيع اقتصادنا دعمها، ولكن ليس وفق شروطكم، أنا السيد الوحيد هنا». ثم علا صوته وقال: «أنا لا أخدم سوى الرأي العام. إن شعبي لن يقبل بتجارة تجلب معها ديانة إجبارية».

نصب مالو قامته وقال: «ديانة إجبارية؟».

«هذه هي النتيجة دومًا. أنت تذكر بالتأكيد ما حدث في أسكون منذ عشرين عامًا. لقد اشتروا أولًا بعض بضائعكم، ثم طالب قومك بالحرية التامة لمجهودات المبشرين لكي تعمل البضائع على النحو اللائق، ثم جرى إنشاء معابد الصحة، وبعدها كان هناك تأسيس المدارس الدينية، وحق الحكم الذاتي لكل رجال الدين. وماذا كانت النتيجة؟ أسكون الآن هي جزء لا يتجزأ من نظام القاعدة، والسيد الأكبر لا يُمكنه أن يزعم أن سراويله الداخلية ملكه. لا! لا! إن كرامة أي شعب مستقل لا يُمكنها أن تخضع لهذا».

تدخل مالو قائلًا: «أنا لا أقترح أيًا من هذا الذي تحدثت عنه».

«حقًا؟».

«أجل، أنا تاجر خبير، المال هو ديانتي. إن باطنية المبشرين وشعوذتهم تزعجني، وأنا مسرور لأنك ترفض السماح بها، هذا يجعلني أزداد إعجابًا بك».

ضحك الكومدور ضحكة رفيعة متشنجة ثم قال: «أحسنت القول! كان يجب على القاعدة أن تُرسل رجلًا من عينتك من البداية».

ثم وضع يده بود على كتف التاجر الضخم وقال: «ولكنك لم تُخبرني سوى نصف الحقيقة يا رجل، لقد أخبرتني ما الذي لن

يكـون مشـكلة، ولكـن لم تُخـبرني مـاذا سـيكون مشـكلة، فلتُخـبرني بهـذا الآن».

«المشـكلة الوحيـدة أيهـا الكومـدور هـي أنـك سـتكون غارقًـا في ثـروات لا تُحـصى».

قـال بصوتـه الأخنـف: «حقًّـا؟ ولكـن مـا الـذي سـأفعله بالـثروات؟ إن ثـروة المـرء الحقيقيـة هـي حـب شـعبه، وأنـا لـديَّ هـذا».

«يُمكنـك أن تحصـل عـلى كليهـما، فمـن الممكـن أن يجمـع المـرء الذهـب بيـد والحـب بالأخـرى».

«هـذه سـتكون ظاهـرة مثـيرة للاهتـمام إن كانـت ممكنـة يـا صديقي العزيـز. كيـف يُمكنـك تحقيقها؟».

«بطـرق عديـدة. الصعوبـة هـي الاختيـار مـن بينهـا. دعنـا نـرى؛ حسـنًا هنـاك سـلع الرفاهيـة عـلى سـبيل المثـال. هـذا الـشيء هنـا...».

أخـرج مالـو برفـق مـن جيبـه الداخـلي سلسـلة ملسـاء مـن معـدن مصقـول وقـال: «هـذه عـلى سـبيل المثـال».

«ما هذه؟».

«هـذا يحتـاج إلى اسـتعراض، هـل يُمكنـك أن تُحـضر لي امـرأة؟ أي امـرأة صغـيرة سـتفي بالغـرض، ومـرآة بطـول الجسـد».

«هممم، دعنا ندلف إلى الداخل إذن».

كان الكومـدور يُشـير إلى المـكان الـذي يُقيـم فيـه باسـم البيـت، ولكـن لا شـكَّ أن العامـة سيسـمونه قـصرًا، لقـد بـدا أمـام عينـيّ مالـو أشـبه بحصـن غـير معتـاد. كان مبنيًـا عـلى ربـوة عاليـة تطـل عـلى العاصمـة، كانـت جدرانـه سـميكة ومحصنـة، وكل الطـرق المؤديـة إليـه

كانـت تخضـع للحراسـة، وكان مبنيًـا بشـكلٍ مهيّـأ لـردع أي هجـوم. قـال مالـو لنفسـه بسـخرية إنـه المسـكن المناسـب لأسـرِ المحبـوب.

كان هنـاك شـابة صغـيرة أمامـه، انحنـت إلى الكومـدور الـذي قـال: «هـذه واحـدة مـن فتيـات الكومـدورا، هـل سـتفي بالغـرض؟».

«تمامًا».

راقـب الكومـدور مالـو بحـرص وهـو يُغلـق السلسـلة حـول خـصر الفتـاة، قبـل يخطـو للـوراء.

قال الكومدور بصوته الأخنف: «حسنًا، هل هذا كل شيء؟».

«هـل يُمكنـك أن تُغلـق السـتائر أيهـا الكومـدور؟ هنـاك مقبـض صغـير بجانـب القفـل يـا سـيدتي الصغـيرة، هـل يُمكنـك أن تحركيـه لأعـلى مـن فضلـك؟ هيـا، إنـه لـن يؤذيـكِ».

فعلـت الفتـاة مـا قالـه، ثـم شـهقت بصـوت مرتفـع وهـي تنظـر إلى يديهـا وتقـول: «ربَّـاه!».

فقـد انبعـث مـن خاصرتهـا تيـار مـن أضـواء متغـيرة، أغرقهـا مـن رأسـها حتـى أخمـص قدميهـا، وتشـكَّل عـلى رأسـها عـلى هيئـة إكليـل مـضيء مـن نـار سـائلة. كان الأمـر كأن أحدهـم قـد انتـزع الشـفق القطبـي مـن السـماء وحاكـه عـلى هيئـة عبـاءة.

خطت الفتاة ناحية المرآة وحدَّقت في انبهار.

قـال مالـو وهـو يعطيهـا عقـدًا يبـدو كأنـه مـن حـصى تقليديـة: «هـاك، خـذي هـذا، ضعيـه حـول عنقـك».

فعلـت الفتـاة مـا قالـه، وكلـما دخلـت حصـوة إلى حقـل الضـوء صـارت شـعلة لهـب تتقافـز وتلمـع بألـوان قرمزيـة وذهبيـة.

سألها مالو: «ما رأيكِ في هذا؟».

لم تُجبه الفتاة، ولكن كان هناك افتتان في عينيها. أشار إليها الكومدور فضغطت المقبض لأسفل على مضض فاختفى كل البهاء ولم يترك لها شيئًا سوى الذكرى.

قال مالو: «إنها لك أيها الكومدور من أجل الكومدورا، فلتعتبرها هدية متواضعة من القاعدة».

قلَّب الكومدور الحزام والعقد في يده كأنها يقيم وزنهما، ثم قال: «همممم، كيف يعمل هذا؟».

هزَّ مالو كتفيه وقال: «هذا سؤال للخبراء التقنيين. ولكنه سيعمل ـ وأؤكد على الكلمة ـ بدون مساعدة الكهنة».

«حسنًا، إنها مجرد حلية نسائية في نهاية الأمر. ما الذي يُمكن أن يفعله المرء بها؟ من أين سيأتي المال؟».

«أليس لديكم حفلات راقصة وحفلات استقبال وولائم وما إلى ذلك؟».

«أجل بالطبع».

«هل تدرك كم ستدفع المرأة مقابل هذا النوع من الحلي؟ عشرة آلاف نقطة رصيد على الأقل».

قال الكومدور في حيرة: «حسنًا!».

«وبما أن الطاقة التي تشغل هذه الحلية لن تستمر لأكثر من ستة أشهر فسيكون هناك حاجة لاستبدالها باستمرار. يُمكننا أن نبيع لك أي عدد تُريده مقابل مقدار من الحديد يساوي ألف نقطة رصيد. سيكون هناك ربح بنسبة تسعمئة بالمئة من أجلك».

راح الكومدور يمسد لحيته وقد بدا عليه أنه غارق في عمليات حسابية عقلية، ثم قال: «بحق المجرة إنهم سيتقاتلون من أجلها، سأُبقي المعروض منها قليلًا وأتركهم يزايدون عليه. بالطبع لن

يكـون مـن الأفضـل أن يعرفـوا أننـي شـخصيًا...».

قـال مالـو: «يُمكننـا أن نـشرح لـك طريقـة عمـل الـشركات الوهميـة إن كنـت تريـد. يُمكننـا بعدهـا أن نتاجـر في المزيـد كيفـما اتفـق، فلتأخـذ عـلى سـبيل المثـال خطنـا الإنتاجـي مـن الأدوات المنزليـة، لدينـا أفـران قابلـة للطـي يُمكنهـا أن تطهـو أقـسى أنـواع اللحـم إلى درجـة التسـوية المطلوبـة في دقيقتـين. لدينـا سـكاكين لـن تحتـاج إلى شـحذ. لدينـا خزانـة ملابـس صغـيرة الحجـم، ولكـن يُمكنهـا أن تسـع قـدرًا كبيرًا مـن الملابـس وتعمـل بشـكلٍ أوتوماتيـكي تمامًـا. هنـاك أيضًـا غسّـالات أطبـاق وماسـحات أرضيـة، وملمعـات أثـاث، ومرشـحات غبـار، ومصابيـح ضـوء ثابتـة، أي شيء ترغـب فيـه. فكِّـر في شـعبيتك المتزايـدة إن جعلـت هـذه الأشـياء متاحـة للعامـة. فكِّـر في الكميـات المتزايـدة مـن متـع الدنيـا المتوفـرة التـي سـتحتكرها الحكومـة، بنسـبة ربـح تصـل إلى تسـعمئة بالمئـة. سـتكون قيمتهـا بالنسـبة لهـم أكـثر بكثـير مـن المـال، ولـن يحتاجـوا لمعرفـة مـا تدفعـه أنـت مقابلهـا. وأكـرر مـرة أُخـرى أنـه لا شيء مـن هـذا سـيحتاج لإشراف الكهنـة، الجميـع سـيكون سـعيدًا».

«الجميع عداك كما يبدو، ما الذي ستجنيه أنت من الأمر».

«فقـط مـا يحصـل عليـه كل تاجـر بحسـب قانـون القاعـدة، أنـا ورجـالي سـوف نحصـل عـلى نصـف الربـح الـذي سـوف نجلبـه. فقـط عليـك أن تشـتري كل مـا أرغـب في بيعـه لـك، وكلانـا سـيربح الكثـير، الكثـير حقًـا».

كان الكومـدور يسـتمتع بالتفكـير في الأمـر، ثـم قـال: «قلـت لي مـا الـذي سـأحتاج لأن أدفـع بـه؟ الحديـد؟».

«الحديـد والفحـم والبوكسـايت، وأيضًـا التبـغ والفلفـل والماغنسـيوم

والخشـب، ليـس شـيئًا لا تملـك الكثـير منـه».

«هذا يبدو جيدًا».

«أعتقـد هـذا. وهنـاك أمـر آخـر خطـر عـلى ذهنـي أيهـا الكومـدور؛ يُمكننـي أن أطـور مصانعـك».

«حقًّا؟ وكيف هذا؟».

«حسـنًا، فلتأخـذ عـلى سـبيل المثـال مصاهـر الفـولاذ؛ لـديَّ آلـة صغـيرة مفيـدة يُمكنهـا أن تعمـل مـع الفـولاذ وتخفـض تكلفـة الإنتـاج إلى نسـبة واحـد في المئـة مـن التكلفـة السـابقة. يُمكنـك أن تخفـض الأسـعار إلى النصـف وتجنـي مـع ذلـك أرباحًـا ضخمـة مـن المصانـع. مـا رأيـك؛ يُمكننـي أن أريـك تمامًـا مـا أعنيـه إن سـمحت لي بـأن أسـتعرض الأمـر أمامـك. هـل لديـك مصهـر فـولاذ في هـذه المدينـة؟ لـن يأخـذ الأمـر وقتًـا طويـلًا».

«مـن الممكـن ترتيـب الأمـر أيهـا التاجـر مالـو، ولكـن في الغـد، في الغـد. مـا رأيـك أن تتنـاول العشـاء معنـا اليـوم؟».

قال مالو: «إن رجالي...».

قـال الكومـدور بسـخاء: «دعهـم جميعًـا يأتـون، فليكـن اتحـادًا وديًـا رمزيًـا بـين أمتينـا. سـوف أُعطيـك فرصـة للمزيـد مـن المناقشـات الوديـة، ولكـن بـشرط واحـد». ثـم صـار وجهـه صارمًـا وهـو يقـول: «لا أُريـد سـماع شيء عـن ديانتـك. إيـاك أن تظـن أن هـذه سـتكون ثغـرة ليدخـل منهـا المبـشرون».

قـال مالـو بجديـة: «أؤكـد لـك أيهـا الكومـدور أن الديـن سـيؤدي إلى تخفيـض أرباحـي».

«حسنًا هذا سيفي بالغرض الآن، سيصحبك أحدهم إلى سفينتك».

الفصل السادس

كانت الكومدورا أصغر بكثير من زوجها، كان وجهها شاحبًا وصارمًا، وشعرها الأسود ممشطًا بعناية ومعقوصًا خلف رأسها.

كان صوتها حادًا وهي تقول: «هل انتهيت من حديثك يا زوجي النبيل الكريم؟ هل انتهيت؟ أفترض أن بإمكاني أن أدلف إلى الحديقة الآن لو أردت».

قال الكومدور بهدوء: «لا داعي لأن تكوني درامية يا عزيزتي ليسيا، إن الرجل سيكون موجودًا على العشاء اليوم، ويمكنك أن تتحدثي معه كما تشائين، ويُمكنكِ حتى أن تستمتعي بالاستماع إلى كل ما سأقوله. سوف تُجَهّز غُرفة من أجل رجاله في مكان ما هنا، ولنأمل بحق النجوم أن يكون عددهم قليلًا».

«على الأرجح سيكونون رجالًا شرهين، سيأكلون اللحم بنهم ويشربون النبيذ بغزارة، وسوف تتذمر أنت لليلتين بينما تحسب التكاليف».

«حسنًا ربما ليس هذه المرة، إن العشاء سيكون سخيًّا للغاية رُغم ما تقولينه».

حدَّقت إليه بازدراء وقالت: «حسنًا فهمت، أنت ودود للغاية مع هؤلاء البربريين، ربما لهذا لم تسمح لي بأن أكون حاضرة أثناء محادثتكما. ربما تُخطط في أعماق روحك الدنيئة أن تنقلب على والدي».

«لا، على الإطلاق».

«أجل، من المفترض أن أصدقك أليس كذلك؟ إن كان هناك امرأة

ستضحي بحياتها في زواج بغيض من أجل السياسة فأنا هذه المرأة. كان بإمكاني أن أختار رجلًا مناسبًا أكثر من بين الأزقة وأكوام الركام في كوكبي الأم».

«حسنًا، سأقول لكِ شيئًا يا سيدتي، ربما ترغبين في العودة إلى كوكبك الأم، ولكني لكي أحتفظ بأكثر جزء أنا معتاد عليه منك كتذكار فيُمكنني أن أقطع لسانك أولًا». ثم مال برأسه جانبًا وهو يفكر ثم قال: «وكلمسة تحسينية أخيرة على جمالك يُمكنني أن أقطع أُذنيك وأرنبة أنفك أيضًا».

«لن تجرؤ على هذا أيها الكلب الحقير، سوف يسحق أبي أُمَّتك الصغيرة ويحيلها إلى غبار نيزكي. في الواقع ربما يفعل هذا على أي حال إذا أخبرته أنك تتعامل مع هؤلاء البربريين».

«هممم، حسنًا، لا داعي للتهديدات، أنتِ حرة في أن تستجوبي الرجل بنفسك الليلة، وفي الوقت الحالي فلتُبقِ لسانك الثرثار صامتًا يا سيدتي».

«هل هذا أمر؟».

«إليك هذا، خذيه إذن وابقي صامتة».

ثم وضع الحزام حول خصرها والعقد حول عنقها، وضغط على المقبض بنفسه، قبل أن يخطو إلى الوراء.

شهقت الكومدورا وهي تضم يديها، ثم تحسَّست العقد بحذر قبل أن تشهق مُجددًا.

فرك الكومدور يديه في رضا وقال: «يُمكنكِ أن ترتدي هذا الليلة، وستحصلين على المزيد. الآن ابقي صامتة».

فبقيت الكومدورا صامتة.

الفصل السابع

تململ جيم توير في موضعه، قبل أن يقول: «لِمَ تلوي وجهك؟».

أفـاق هوبـر مالـو مـن شروده وقـال: «هـل كان وجهـي ملتويًـا؟ لم أقصـد هـذا».

«لقـد حـدث شيء مـا بالأمـس، أعنـي باسـتثناء الوليمـة». ثـم قـال فجـأة: «هنـاك مشـكلة يـا مالـو، أليـس كذلـك؟».

«مشـكلة؟ لا، بـل العكـس تمامًـا. في الواقـع لقـد كان الأمـر أسـهل مـما توقعـت، إننـا سـندخل مصهـر الفـولاذ بسـهولة شـديدة».

«هل تشك في وجود فخ؟».

«بحـق سيلدون لا تكـن دراميًـا». ثـم ابتلـع مالـو نفـاد صبره وقـال: «الأمـر ببسـاطة هـو أن دخولنـا بسـهولة يعنـي أنـه لا يوجـد شيء لـنراه».

قـال تويـر وهـو يُفكـر مليًـا: «لا طاقـة نوويـة، أليـس كذلـك؟ سـأقول لـك بصراحـة؛ لا يوجـد أدنى أثـر لأي اقتصـاد قائـم عـلى الطاقـة النوويـة هنـا في كوريـل، سـيكون مـن الصعـب حقًـا إخفـاء كل الدلائـل عـلى التأثـيرات المتفشـية التـي تصبغهـا تكنولوجيـا جوهريـة كالطاقـة النوويـة عـلى كل شيء».

«ليـس إن كان الأمـر حديـث العهـد يـا تويـر ويقتـصر عـلى اقتصـاد الحـرب. سـوف تجـده في مصانـع السـفن ومصاهـر الفـولاذ فقـط».

«إذن إن لم تجده فهذا يعني...».

«أنهم لا يملكونها، أو أنهم لا يظهرونها، ارمِ عملة وخمِّن».

هز توير رأسه وقال: «أتمنى لو كنت معك بالأمس».

قال مالو بجمود: «أتمنى لو كنت معي أيضًا، أنا لا أمانع الدعم المعنوي. لسوء الحظ لقد كان الكومدور هو من وضع شروط الاجتماع وليس أنا. نحن الآن في انتظار السيارة الملكية الأرضية لكي تقلنا إلى المصهر. هل جهَّزت المعدات؟».

«جميعها».

الفصل الثامن

كان مصهر الفولاذ ضخمًا، ويحمل رائحة تحلل لا يستطيع أيٌّ قَدْرٍ من الإصلاحات السطحية أن يمحوها. كان فارغًا في ذلك الوقت وفي حالة غير طبيعية من السكون، كأنه يلعب دور مضيف غير معتاد للكومدور وحاشيته.

وضع مالو لوحًا من الفولاذ على دعامتين بحركة يسيرة. كان قد أخرج الآلة التي أعطاها له توير وأمسك بمقبضها الجلدي بداخل غمده الرصاصي.

قال: «هذه الآلة خطيرة، ولكن المنشار الكهربائي خطير أيضًا، عليك فقط أن تُبقي أصابعك بعيدًا».

بينما هو يتحدث كان يمرر فوهة القَطْعِ بحركة سريعة على طول اللوح الفولاذي، الذي انقسم إلى نصفين على الفور.

كان هناك قفزة جماعية، فضحك مالو، ثم أمسك بأحد النصفين وأسنده إلى ركبته، قبل أن يقول: «يُمكنك تعديل طول القَطْعِ بدقة تصل إلى جزء من المئة من البوصة، ويُمكن أن يُقطع لوح بعرض بوصتين من منتصفه بسهولة كما فعل هذا الشيء. إذا استطعت أن تعرف السمك بالضبط فيُمكنك أن تضع الفولاذ على طاولة خشبية وتقطع المعدن دون أن تخدش الخشب».

ومع كل جملة كان القاطع النووي يتحرك، بينما قطع من الفولاذ تتطاير في أنحاء المكان.

قال: «هذا هو فن النحت بالفولاذ».

ثم مرر القاطع إلى الوراء وقال: «أو أي شيء آخر ترغب في فعله،

هـل ترغـب في تقليـل سـمك اللـوح؟ تنعيـم الأجـزاء غـير المنتظمـة؟ إزالـة الصـدأ؟ انظـر!».

تطايـرت رقائـق شـفافة مـن النصـف الآخـر مـن اللـوح الأصـلي بقطع في حجـم سـت بوصـات ثـم ثمـاني بوصـات ثـم اثنتـي عـشرة بوصة.

«أم ترغب في ثَقْبِهِ؟ إنه المبدأ ذاته».

صـار هنـاك حشـد متجمـع حولـه، كان الأمـر أشـبه بعـرض لخفـة اليـد، سـاحر مـن سـحرة الشـوارع، مسرحيـة هزليـة قـد تحولـت إلى إعـلان تجـاري. كان الكومـدور يتحســس قصاصـات الفـولاذ بأصابعـه، وكبـار المسـؤولين مـن الحكومـة يسـيرون عـلى أطـراف أصابعهـم ويقتربـون مـن بعضهـم ويهمسـون، بينـما مالـو يصنـع ثقوبًـا دائريـة منتظمـة وجميلـة عـبر بوصـة مـن الفـولاذ الصلـب مـع كل لمسـة مـن مثقابـه النـووي.

«بقـي اسـتعراض واحـد فقـط، هـل يُمكـن أن يُحـضر أحدكـم أنبوبـين قصيرين؟».

أسرع حاجـب موقـر ـ أو مـا شـابه ـ ليُنفـذ الأمـر في حـماس شـديد واسـتغراق تـام، ولطَّـخ يديـه كأي عامـل.

وضـع مالـو الأنبوبـين بشـكلٍ مسـتقيم وقطـع طرفيهـما بضربـة واحـدة مـن القاطـع ثـم لَحَـمَ الأنبوبـين مـن الناحيتـين المقطوعتـين.

وهكـذا صـارا أنبوبًـا واحـدًا! الأطـراف الجديـدة الملسـاء تمامًا شـكَّلت قطعـة واحـدة عنـد التحامها.

نظـر مالـو إلى جمهـوره وكان عـلى وشـك أن يتحـدث ثـم توقـف. كان هنـاك خفقـان شـديد مـن الحـماس في صـدره، وقبضـة بـاردة تعتـصر معدته.

أثنــاء الاضطــراب جــاء حــارس الكومــدور الشــخصي إلى الصــف

الأمامي، ورأى مالو لأول مرة بالتفصيل من مسافة قريبة بما يكفي الأسلحة اليدوية غير التقليدية.

لقد كانت نووية! لا شكَّ في ذلك. من المستحيل أن يكون هناك سلاح قاذف متفجر مع فوهة، ولكن هذه لم تكن المشكلة، لم تكن المشكلة على الإطلاق.

على مقابض هذه الأسلحة حُفر عميقًا بطلاء ذهبي متآكل شعار سفينة الفضاء والشمس!

شعار سفينة الفضاء والشمس الذي كان مطبوعًا على كل واحد من المجلدات الكبيرة للموسوعة الأصلية التي بدأتها القاعدة ولم تُنهِها حتى الآن، نفس الشعار الذي قد زيَّن راية الإمبراطورية المجرية عبر آلاف السنين.

بدأ مالو يتحدث وهو ينحي أفكاره جانبًا: «فلتختبروا هذا الأنبوب! إنه قطعة واحدة، ليس مثاليًا بالطبع؛ فاللحام يجب ألا يتم بشكلٍ يدوي».

لم يكن هناك حاجة لمزيد من خفة اليد، لقد انتهى الأمر، لقد وصل مالو إلى غايته، وحصل على ما يريده. كان هناك شيء واحد في عقله؛ الشكل الكروي الذهبي بأشعته المعتادة الذي يمثل الشمس، والشكل البيضاوي الذي يُشبه السيجار والذي يُمثل سفينة الفضاء.

شعار سفينة الفضاء والشمس الخاص بالإمبراطورية!

الإمبراطورية! ترددت الكلمة في عقله! لقد مرَّ قرن ونصف، ولكن لا يزال هناك إمبراطورية، في مكان ما في أعماق المجرة. وهي تطل برأسها مجددًا هنا في محيط المجرة الخارجي.

ابتسم مالو!

الفصل التاسع

كانت سفينة النجم البعيد قد قطعت يومين في الفضاء عندما كان هوبر مالو في حجرته الخاصة مع الملازم أول دراوت، وهو يُعطيه مظروفًا ولفافة من الميكروفيلم وكرة فضية.

«بعد ساعة من الآن أيها الملازم ستقوم أنت بدور قائد سفينة النجم البعيد حتى أعود... أو إلى الأبد».

حاول دراوت أن يقف ولكن مالو أشار له بيده أن يجلس وقال: «اصمت واسمعني. إن المظروف يحتوي على الموقع المحدد للكوكب الذي ستتوجه إليه. سوف تنتظرني هناك شهرين. إذا حدَدت القاعدة موقعك قبل مرور الشهرين فإن الميكروفيلم يحتوي على تقريري عن الرحلة».

ثم قال بصوت كئيب: «ولكن إن لم أعد في نهاية الشهرين ولم تُحدد القاعدة موقعك فلتتوجه إلى كوكب تيرمينوس، وتسلمهم كبسولة الزمن باعتبارها تقريري. هل تفهم هذا؟».

«أجل يا سيدي».

«غير مسموح لك ـ أو لأي من الرجال في أي وقت ـ إضافة أي شيء إلى تقريري الرسمي ولو حتى جملة واحدة».

«وإذا حقَّقوا معنا يا سيدي؟».

«إذن فأنتم لا تعرفون شيئًا».

«أجل يا سيدي».

انتهت المقابلة، وبعد خمسين دقيقة خرج قارب نجاة بخفة من جانب النجم البعيد.

الفصل العاشر

كان أونوم بار رجلًا عجوزًا، عجوزًا للغاية على أن يخاف. منذ الاضطرابات الأخيرة التي عاشها وحده في تلك الأرض النائية مع ما أنقذه من كتب من بين الأطلال، لم يعد لديه شيء يخشى خسارته، وبالأخص بقايا حياته الذابلة، لذا واجه المقتحم بدون خوف.

قال الغريب مُفسرًا: «لقد كان بابك مفتوحًا».

كانت لهجته ثقيلة وحادة، ولكن بار لاحظ المسدس الفولاذي الأزرق الغريب المعلق عند خاصرته. في ضوء الغرفة الصغيرة الشاحب رأى بار توهج درع الطاقة الذي يُحيط بالرجل.

قال بإنهاك: «لا يوجد سبب لإبقائه مغلقًا، هل تريد شيئًا مني؟».

بقي الغريب واقفًا في منتصف الغرفة، كان ضخم الجثة عريض المنكبين، ثم قال: «أجل، إن بيتك هو البيت الوحيد في هذه الأنحاء».

وافقه بار قائلًا: «إنها منطقة مهجورة، ولكن هناك قرية ناحية الشرق، يُمكنني أن أُريك الطريق».

«بعد قليل. هل يُمكنني أن أجلس».

أجابه الرجل العجوز بوجوم: «إن كانت المقاعد ستتحملك». كانت المقاعد عجوزة بدورها، بقايا من شبابٍ أفضل حالًا.

قال الغريب: «اسمي هوبر مالو، لقد جئت من إقليم بعيد».

أومأ بار برأسه وابتسم قائلًا: «لقد كشفت لهجتك عن هذا منذ البداية. أنا أونوم بار، مِن سيوينا. كنت ذات يوم من نبلاء

الإمبراطوريـة».

«إذن هـذه هـي سـيوينا حقًـا، لم يكـن لـديَّ سـوى خرائـط قديمـة لترشـدني».

«تحتاج لأن تكون قديمة للغاية حقًّا لكي تتغير مواقع النجوم».

جلـس بـار سـاكنًا بينـما عينـا الآخـر تشـيان بغرقـه في أفـكاره الخاصة. لاحـظ أن درع الطاقـة النـووي قـد اختفـى مـن حـول الرجـل، فاعـترف لنفسـه بمـرارة أنـه لم يعـد يشـكل خطـرًا للغربـاء، أو حتـى لأعدائـه، سـواء كان هـذا جيـدًا أو سـيئًا.

قـال: «إن منـزلي فقـير ومـؤني قليلـة، يُمكنـك أن تُشـاركني مـا لـديَّ إن كانـت معدتـك سـتتحمل الخبـز الأسـود والـذرة الجافة».

هـز مالـو رأسـه وقـال: «لا، لقـد تناولـت طعامـي، ولا أسـتطيع البقـاء كثـيرًا، كل مـا أحتاجـه هـو أن تُرشـدني إلى مركـز الحكومـة».

«هــذا سـهل للغايـة، وبمقـدرتي فعلـه رغـم فقـري. هــل تعنـي عاصمـة الكوكـب أم القطـاع الإمبراطـوري؟».

عقـد الشـاب حاجبيـه وقـال: «أليـس الاثنـان شـيئًا واحـدًا؟ أليسـت هـذه سـيوينا؟».

أومـأ العجـوز النبيـل برأسـه وقـال: «بـلى سـيوينا، ولكـن سـيوينا لم تعـد عاصمـة القطـاع النورمـاني. يبـدو أن خرائطـك القديمـة قـد أضلتـك في نهايـة المطـاف. قـد لا تتغـير النجـوم في قـرون مـن الزمـن، ولكـن الحـدود السياسـية تتغـير باسـتمرار».

«هـذا سـيئ، في الواقـع إنـه سـيئ للغايـة. هـل العاصمـة الجديـدة بعيـدة؟».

«إنهـا في أورشـا 2، عـلى بُعـد عشريـن فرسـخًا نجميًـا مـن هنـا، سـوف تُرشـدك خرائطـك إليهـا. مـا مـدى قدمها؟».

«مئة وخمسون سنة».

قال العجوز: «قديمة إلى هذا الحد؟». ثم تنهَّد قبل أن يُضيف: «لقد كان التاريخ مزدحمًا بالأحداث في تلك الفترة. هل تعرف أي شيء عنه؟».

هز مالو رأسه نفيًا ببطء.

قال بار: «أنت سعيد الحظ، لقد مر وقت عصيب على هذه الأقاليم، إلا في فترة حكم ستانيل السادس الذي قد مات منذ خمسين عامًا، ومنذ ذلك الوقت فلا شيء غير التمرد والخراب، الخراب والتمرد».

تساءل بار عمَّ إن كان قد صار ثرثارًا، إنه يحيا حياة وحيدة هنا ونادرًا ما يحظى بفرصة للتحدث مع البشر.

قال مالو بحدة مفاجئة: «الخراب؟ وكأنك تقول إن هذا الإقليم كان مزدهرًا يومًا».

«ربما ليس إلى حد مطلق. فقد اِسْتُنْزِفَت الموارد الطبيعية لخمسة وعشرين كوكبًا من المرتبة الأولى منذ وقتٍ طويل. ولكن بالمقارنة مع ثروات القرن الماضي فإن الحال قد انحدر بنا كثيرًا، ولا يوجد أي إشارة على تغير هذا الحال حتى الآن. لمَ أنت مهتم بكل هذا أيها الشاب؟ أنت مفعم بالحيوية، وعيناك تلمعان».

كاد وجه الشاب أن يتورد خجلًا، فقد بدا أن العينين المتغضنتين تنظران بعمق إلى عينيه، وتبتسمان لما تريانه.

قال: «اسمعني، أنا تاجر من مكان بعيد، بالقرب من أطراف المجرة، لقد عثرت على الخرائط القديمة، وأنا هنا لأفتح أسواقًا جديدة. إن الحديث عن الأقاليم الفقيرة يُزعجني بطبيعة الحال، لا يُمكنك أن تجني مالًا من أي كوكب ما لم يكن هناك مال بالفعل

للحصول عليه. كيف الوضع في سيوينا على سبيل المثال؟».

مال الرجل للأمام وقال: «لا يُمكنني الجزم، ربما لا تزال تُبلي حسنًا. ولكنك تقول إنك تاجر؟ أنت تبدو أقرب إلى مقاتل، أنت تضع يدك بالقرب من سلاحك، وهناك ندبة على ذقنك».

هزَّ مالو رأسه وقال: «ليس هناك الكثير من القوانين من حيث أتيت، إن القتال والندوب هما الضريبة التي يدفعها التجار. ولكن القتال يكون مفيدًا فقط عندما يكون هناك مال لجنيه في نهاية المطاف، وإن استطعت الحصول على المال بدون قتال فسيكون هذا أفضل. الآن، هل سأجد ما يكفي من المال هنا لكي يجعل الأمر يستحق القتال؟ أفهم من كلامك أن بإمكاني أن أجد القتال بسهولة كبيرة».

قال بار موافقًا: «بسهولة كبيرة، يُمكنك أن تنضم إلى فلول ويسكارد في النجوم الحمراء، ولكني لا أعرف إن كنت ستعد هذا قتالًا أم قرصنة، أو يمكنك أن تنضم إلى والينا الحالي العظيم. لقد نال لقبه بحق القتل والنهب والاغتصاب، وكلمة الإمبراطور الصبي الذي اغتيل بعدها بشكلٍ مستحق».

احتقنت وجنتا النبيل النحيفتان بالدماء، ثم أغلق عينيه قبل أن يفتحهما بنظرة حادة.

قال مالو: «يبدو أنك لا تكن الكثير من الود لهذا الوالي أيها النبيل بار، ماذا لو كنت أحد جواسيسه؟».

قال بار بمرارة وهو يشير بذراعه المتغضنة إلى بيته المتداعي الخاوي: «ماذا لو كنت كذلك؟ ما الذي يُمكنك أن تأخذه؟».

«حياتك».

«إنها ستُغادرني قريبًا للغاية، لقد ظلَّت معي خمس سنوات

أطول من اللازم، ولكنك لست أحد رجال الوالي، لو كنت كذلك فربما كانت غريزة البقاء بداخلي لتُبقي فمي مُغلقًا».

«كيف يُمكنك أن تعرف؟».

ضحك الرجل العجوز وقال: «أنت تبدو مرتابًا، أُراهن أنك تعتقد أني أحاول أن أوقع بك لكي تهاجم الحكومة. لا، لا. أنا لم أعد أبالي بالسياسة».

«لا تبالي بالسياسة؟ كيف يُمكن لرجل ألا يبالي بالسياسة؟ الكلمات التي استخدمتها لوصف الوالي ـ ماذا كانت؟ ـ القتل والنهب وما إلى ذلك. لم تبدُ موضوعيًّا، ليس بالضبط، ليس وكأنك لا تبالي بالسياسة».

هز الرجل العجوز كتفيه وقال: «الذكريات تؤلم عندما تأتي فجأة. اسمعني! فلتحكم بنفسك! عندما كانت سيوينا العاصمة الإقليمية كنت أنا نبيلًا وعضوًا في مجلس الشيوخ الإقليمي. كانت عائلتي عريقة ونبيلة. أحد أجداد أجدادي كان... لا، دعك من هذا، إن التغني بأمجاد الماضي لا يفيد بشيء».

قال مالو: «أفهم من حديثك أنه كان هناك حرب أهلية أو ثورة؟».

تجهَّم وجه بار وقال: «إن الحروب الأهلية شائعة في هذه الأيام المتردية، ولكن سيوينا كانت تُبقي نفسها بمنأى عن هذا، تحت حكم ستانيل السادس استطاعت تقريبًا أن تُحقق ازدهارها القديم، ولكن أباطرة ضعافًا جاءوا من بعده، والأباطرة الضعاف ينتج عنهم ولاة أقوياء، وواليناالسابق ـ ويسكارد ذاته الذي يتصيد فلولَه التجارَ بين النجوم الحمراء ـ كان يهدف إلى العرش الإمبراطوري، لم يكن أول من يستهدفه، ولو نجح في هذا لما كان أول من ينجح.

ولكنـه فشـل، فعندمـا اقـترب أدمـيرال الإمبراطـور مـن الولاية عـلى رأس أسـطول، تمـردت سـيوينا بنفسـها عـلى واليهـا المتمـرد». ثـم صمـت في حـزن.

وجـد مالـو نفسـه متوتـرًا في ترقـب، فاسـترخى ببـطء ثـم قـال: «أكمـل مـن فضلـك يـا سـيدي».

قـال بـار بتعـب: «شـكرًا لـك، هذا لطـف منـك أن تسـتمع إلى حديث رجـل عجـوز. لقـد تمـرَّدوا، أو بالأحـرى يجـب أن أقـول لقـد تمرَّدنـا، فأنـا كنـت واحـدًا مـن قـادة التمـرد. هـرب ويسـكارد مـن سـيوينا، وصـار الكوكـب ـ ومعـه الولايـة بأكملهـا ـ مفتوحًـا عـلى مصراعيـه أمـام الأدمـيرال بـكل بـادرة ولاء للإمبراطـور. لا أعـرف لمَ فعلنـا هـذا، ربمـا أحسسـنا بالـولاء ناحيـة الرمـز، إن لم يكـن ناحيـة الشـخص، ناحيـة إمبراطـور طفـل قـاسٍ ووحـشي، ربمـا قـد أحسسـنا بالخـوف مـن الحصـار».

قال مالو برفق ليحثه على الإكمال: «حسنًا؟».

أجابـه باكتئـاب: «حسـنًا، هـذا لم يُعجـب الأدمـيرال، لقـد أراد مجـد إخضـاع ولايـة متمـردة، وأراد رجالـه الغنائـم التـي سـتنتج عـن مثـل هـذا الغـزو. لـذا بينـما النـاس لا يزالـون مجتمعـين في كل مدينـة كبـيرة يهتفـون باسـم الإمبراطـور وأدميرالـه، أمـر الأدمـيرال بتجهيـز كل المراكـز المسـلحة، ثـم أمـر بقصـف النـاس بالضربـات النوويـة».

«بأي ذريعة؟».

«بذريعـة أنهـم قـد تمـرَّدوا عـلى واليهـم الـذي اختـاره الإمبراطـور. ثـم صـار الأدمـيرال الـوالي الجديـد، بمقتـضى مذبحـة ونهـب ورعـب استمرُّوا لمـدة شـهر. لقـد كان لـديَّ سـتة أبنـاء، مـات خمسـة منهـم بطـرق مختلفـة، كان لـديَّ ابنـة واحـدة، أتمنـى أنهـا ماتـت في نهايـة

المطاف. لقد هربتُ لأنني كنت عجوزًا وجئت إلى هنا، عجوزًا للغاية على أن أُسبب أي قلق لوالينا». ثم أطرق برأسه الأشيب وقال: «لم يتركوا لي شيئًا لأنني ساعدت في طرد حاكم متمرد وحرمت الأدميرال من مجده».

جلس مالو في صمت مُنتظرًا ثم سأل برفق: «ماذا عن ابنك السادس؟».

ابتسم بار بمرارة وقال: «إنه بأمان، فهو قد انضم إلى الأدميرال كجندي عادي تحت اسم مستعار، إنه مدفعي في أسطول الوالي الشخصي. لا، لا تنظر هكذا، إنه ليس ابنًا عاقًا، إنه يزورني كلما استطاع ويُعطيني ما يقدر عليه، إنه يُبقيني على قيد الحياة، ويومًا ما سيموت والينا العظيم المجيد مذلولًا، وابني هو من سينفذ فيه حُكم الإعدام».

«وأنت تقول هذا لرجل غريب؟ أنت تعرض حياة ابنك للخطر».

«لا، أنا أساعده بخلق عدو جديد للوالي، ولو كنتُ صديق الوالي ـ كما أنا عدوه ـ لأخبرته بأن يملأ الفضاء الخارجي بالسفن حتى حافة المجرة».

«ألا يوجد أي سفن هناك؟».

«هل عثرت على واحدة؟ هل أوقفك أي حراس فضاء ليسألوك عن سبب دخولك؟ بسبب قلة عدد السفن وانشغال الولايات الحدودية بنصيبها من المكائد والظلم، فلا يُمكن الاستغناء عن أي سفن لحراسة الشموس الخارجية البربرية. لم يكن هناك أي خطر ليُهددنا من حافة المجرة المحطمة.. حتى أتيت أنت».

«أنا؟ أنا لا أُمثِّل خطرًا».

«سيكون هناك المزيد بعدك».

هزَّ مالو رأسه ببطء وقال: «لا أعتقد أنني أفهمك».

قال الرجل العجوز بحماس مُفاجئ: «اسمعني! لقد عرفتك عندما دخلت، إن لديك حقل طاقة يُحيط بجسدك، أو كان لديك عندما رأيتك بادئ الأمر».

صمت مالو في شك ثم قال: «أجل، كان لديَّ».

«جيد، كان هذا خطأً، ولكنك لم تعرف هذا. هناك بعض الأشياء التي أعرفها. ليس من المألوف في هذه الأيام أن يكون المرء عالمًا. الأحداث تسير بسرعة خاطفة وهؤلاء الذين لا يستطيعون مقاومة التيار بمسدس نووي في يدهم ينجرفون، كما حدث معي. ولكني كنت عالمًا، وأنا أعرف أنه في كل تاريخ النوويات لم يجرِ اختراع درع طاقة متحرك، إن لدينا دروع طاقة ضخمة عملاقة ثقيلة يُمكنها أن تحمي مدينة أو حتى سفينة فضاء، ولكن ليس رجلًا واحدًا».

مط مالو شفتيه وقال: «حسنًا؟ وما الذي تستنتجه من هذا؟».

«لقد كان هناك حكايات تتردد عبر الفضاء، إنها ترتحل عبر مسارات غريبة وتزداد تحريفًا مع كل فرسخ، ولكن عندما كنت شابًّا كان هناك سفينة صغيرة تحمل رجالًا غرباء، لم يعرفوا عاداتنا ولم يستطيعوا أن يخبرونا من أين أتوا، لقد أخبرونا عن سحرة عند حافة المجرة، سحرة يلمعون في الظلام ويحلقون في الهواء بلا مساعدة، ولا تستطيع الأسلحة أن تلمسهم.

لقد ضحكنا، وضحكت أنا أيضًا، ونسيت الأمر حتى اليوم. ولكن أنت تلمع في الظلام، ولا أعتقد أن مسدسي - إن كان لديَّ واحد - يُمكنه أن يؤذيك. أخبرني، هل يُمكنك أن تُحلق في الهواء كما أنت تجلس هناك الآن؟».

قال مالو بهدوء: «لا يُمكنني أن أفعل شيئًا كهذا».

ابتسم بار وقال: «أنا قانع بهذه الإجابة. أنا لا أمتحن ضيوفي، ولكن إن كان هناك سحرة، إن كنت أنت واحدًا منهم، فقد يكون هناك ذات يوم تدفق كبير منهم... أو منكم. ربما سيكون هذا جيدًا، ربما نحتاج إلى دماء جديدة». تمتم الجملة الأخيرة بخفوت لنفسه ثم قال ببطء: «ولكن هذا قد يعمل في الاتجاه المعاكس، إن والينا الجديد يحلم أيضًا كما كان ويسكارد يحلم قديمًا».

«يحلم أيضًا بتاج الإمبراطور؟».

أومأ بار برأسه وقال: «لقد سمع ابني حكايات، عندما تكون ضمن حاشية الوالي يُمكنك بالكاد أن تمنع نفسك من ذلك، وقد أخبرني بهذه الحكايات، إن والينا الجديد لن يرفض التاج إذا عُرض عليه، ولكنه يحمي خط التراجع الخاص به. هناك أيضًا حكايات عن كونه يُخطط لبناء إمبراطورية جديدة في الأراضي البربرية النائية بعد سقوط الإمبراطورية، يُقال ـ ولكني لست واثقًا من هذا ـ إنه قد زوَّج إحدى بناته لملك في مكان ما في محيط المجرة الخارجي».

«إن أنصت المرء لكل حكاية...».

«أنا أعرف. هناك الكثير من الحكايات. أنا رجل عجوز وأثرثر بالهراء. ولكن ما رأيك أنت». كانت عيناه الحادتان تخترقان روحه.

فكَّر التاجر قليلًا ثم قال: «ليس لي رأي، ولكني أُريد أن أسألك عن شيء، هل تملك سيوينا طاقة نووية؟ مهلًا، أنا أعرف أنها تملك المعرفة الخاصة بالنوويات، ولكني أقصد هل لديهم مولدات طاقة نووية سليمة، أم أنها قد تدمَّرت تمامًا أثناء عملية النهب؟».

«تدمَّرت؟ لا، سيُمحى نصف الكوكب قبل أن يلمس أحد أصغر محطة طاقة. من المستحيل إيجاد بديل لها، وهي التي تمد

الأسـطول بقوتـه». ثـم قـال بشـبه فخـر: «إن لدينـا أفضـل وأقـوى أسـطول عـلى هـذا الجانـب مـن ترانتـور نفسـه».

«إذن مـا الـذي يجـب أن أفعلـه أولًا إذا أردت أن أرى هـذه المولـدات؟».

أجابـه بـار بشـكلٍ حاسـم: «لا شيء! لا يُمكنـك أن تقـترب مـن أي مركـز عسـكري دون أن تُـردى قتيـلًا عـلى الفـور، ولا يُمكـن هـذا لأي شـخص. لا تـزال سـيوينا محرومـة مـن الحقـوق المدنيـة».

«هل تعني أن كل محطات الطاقة تابعة للجيش؟».

«لا، هنـاك المحطـات الصغـيرة في المـدن، هـذه التـي توفـر الطاقـة مـن أجـل التدفئـة وإنـارة المنـازل وتشـغيل العربـات ومـا إلى ذلـك. إن وضعهـا بنفـس السـوء تقريبًـا، فمـن يتحكـم بهـا هـم التقنيـون».

«من هؤلاء؟».

«مجموعـة متخصصـة تُـشرف عـلى محطـات الطاقـة، إنهـم يتوارثـون هـذا الـشرف، إنهـم ينشـئون صغارهـم في هـذه المهنـة كمتدربـين. بالمعنـى الصـارم للواجـب والـشرف وكل هـذا، لا أحـد يُمكنـه أن يدخـل أي محطـة سـوى التقنيـين».

«فهمت».

أضـاف بـار: «ولكنـي لا أقـول إنـه لم يكـن هنـاك حـالات يتلقّـى فيهـا التقنيـون رشـوة، في تلـك الأيـام التـي صـار لدينـا فيهـا تسـعة أباطـرة في خمسـين عامًـا، وسـبعة منهم قـد تعرّضـوا لاغتيـالات، بينـما يسـعى كل قائـد سـفينة إلى اعتـلاء الولايـة، ويسـعى كل والي إلى اعتـلاء الإمبراطوريـة، أعتقـد أنـه حتـى التقنيـون قـد يسـقطون فريسـة للـمال، ولكـن هـذا يتطلّـب قـدرًا كبـيرًا مـن المـال، وأنـا لا أمتلـك أيًّـا منـه. هـل لديـك أنـت؟».

«مال؟ لا، ولكن هل يجب أن تكون الرشوة دومًا مالًا؟».

«ما حاجتهم لشيء آخر بينما المال يُمكنه شراء كل شيء؟».

«هناك أشياء لا يُمكن للمال شراؤها. والآن إذا أخبرتني عن أقرب مدينة بها واحدة من تلك المحطات وأفضل طريقة للوصول إلى هناك فسأكون شاكرًا لك».

مد بار يده النحيفة وقال: «مهلًا! إلى أين أنت ذاهب؟ لقد أتيت إلى هنا ولكني لم أسألك أي سؤال. في المدينة حيث لا يزال السكان يصنفون كمتمردين فسيوقفك أول جندي أو حارس يسمع لهجتك ويرى ملابسك».

ثم اعتدل واقفًا وأخرج من صندوق قديم في ركن مظلم كُتيبًا صغيرًا وقال: «إنه جواز سفري... مزور. لقد هربت به».

وضعه في يد مالو وضمَّ أصابعه عليه قبل أن يقول: «إن الوصف لا ينطبق عليك، ولكنك إذا لوَّحت به فهناك فرصة كبيرة ألا ينظرون عن كثب».

«ولكن ماذا عنك؟ ستصير بدون واحد».

هزَّ المنفي العجوز كتفيه بسخرية وقال: «وماذا في هذا؟ وللمزيد من الحذر فلتبُقِ فمك مُغلقًا! إن لهجتك بربرية ومصطلحاتك غريبة، ومن وقت لآخر تفضحك طريقة حديثك العتيقة، كلما قلَّ حديثك قلَّ الشك الذي سوف تجذبه لنفسك. الآن سوف أخبرك كيف تصل إلى المدينة...».

بعد خمس دقائق كان مالو قد رحل.

لم يعد إلى بيت النبيل العجوز سوى مرة واحدة لوهلة قبل أن يُغادره تمامًا. وعندما خطا أونوم بار إلى حديقته الصغيرة في صباح اليوم التالي وجد صندوقًا عند قدميه، كان يحتوي على مؤن، مؤن

مركـزة كتلـك التـي تجدهـا عـلى مـتن السـفينة، وكانـت غريبـة المـذاق والإعـداد. ولكنهـا كانـت جيـدة واسـتمرَّت لوقـتٍ طويـل.

الفصل الحادي عشر

كان الرجـل التَّقَنِـي قصـيرًا، وكانـت بشرتـه تلمـع في سـمنة تـشي بصحـة جيـدة. كان شـعره خفيفًـا، وكان رأسـه يلمـع مـن أسـفله بلـون وردي، كانـت الخواتـم في أصابعـه سـميكة وثقيلـة، وملابسـه معطـرة، وكان هـو أول رجـل لا يبـدو جائعًـا يلتقـي بـه مالـو عـلى هـذا الكوكب.

ضـمَّ التقنـي شـفتيه في امتعـاض وقـال: «لا تضـع وقتـي يـا رجـل، هنـاك أشياء عظيمـة الأهميـة في انتظـاري. أنـت تبـدو غريبًـا...». بـدا أنـه يُقيِّـم ملابـس مالـو غـير السـيوينية وقـد امتـلأت عينـاه بالشـك.

قـال مالـو بهـدوء: «أنـا لسـت مـن هـذه المنطقـة، ولكـن هـذا الأمـر لا يهـم. لقـد تشرَّفـت بـأن أرسـل إليـك هديـة صغـيرة بالأمـس...».

رفـع التقنـي أنفـه في الهـواء وقـال: «لقـد تلقَّيتهـا، إنهـا لعبـة مثـيرة للاهتـمام، ربمـا أسـتخدمها مـن وقـتٍ لآخـر».

«لـديَّ هدايـا أُخـرى أكـثر إثـارة للاهتـمام، أكـثر مـن كونهـا مجـرد لعبـة».

قـال التقنـي وهـو غـارق في التفكـير: «حقًّـا؟ أعتقـد أننـي أعـرف بالفعـل مسـار هـذا الحديـث، لقـد حـدث هـذا مـن قبـل، سـتعطيني شـيئًا تافهًـا أو آخـر، بعـض العمـلات النقديـة، ربمـا عبـاءة، أو حليـة مـن الدرجـة الثانيـة، أي شيء يعتقـد عقلـك الصغـير أنـه كافٍ لرشـوة تقنـي». ثـم نفـخ شـفته السـفلى في عدائيـة وقـال: «وأنـا أعـرف مـا الـذي ترغـب فيـه كمُقابـل، لقـد كان هنـاك آخـرون لديهـم الفكـرة ذاتهـا، أنـت ترغـب في أن نضمـك إلى عشـيرتنا، أنـت ترغـب في أن نعلمـك أسرار النوويـات وصيانـة المعـدات. بسـبب عقابكـم اليومـي عـلى تمردكـم فأنتـم يـا كلاب سـيوينا ـ عـلى الأرجـح أنـت تدعـي أنـك

غريب من أجل سلامتك ـ تعتقدون أن باستطاعتكم الهرب مما تستحقون بالاختباء وراء مزايا نقابة التقنيين وحمايتهم».

كان مالو على وشك أن يتحدث، ولكن التقني اعتدل واقفًا وزأر فجأة: «والآن فلتُغادر قبل أن أُبلغ حامي المدينة عنك. هل تعتقدون أنني سأخون الأمانة؟ ربما كان خونة سيوينا الذين سبقوني ليفعلوا هذا، ولكنكم تتعاملون مع جيل جديد الآن. أسأل نفسي لمَ بحق المجرة لا أقتلك بنفسي في هذه اللحظة بيدي العاريتين».

ابتسم مالو لنفسه، كان الخطاب بأكمله مصطنعًا بشكلٍ واضح من حيث النبرة والمضمون، حتى أن كل هذا الكبرياء والاستياء قد تحوَّل إلى مسرحية هزلية مبتذلة.

نظر التاجر بسخرية إلى اليدين المترهلتين اللتين يتوعده بالقتل بهما، ثم قال: «أنت مخطئ في ثلاث نقاط أيها الحكيم؛ أولًا أنا لست رجلًا من رجال الوالي قد جاء لاختبار ولائك، ثانيًا هديتي هي شيء لا يملكه الإمبراطور نفسه بكل عظمته ولن يملكه أبدًا، ثالثًا كل ما أُريده في المقابل هو مجرد شيء بسيط تافه».

تحوَّلت نبرة الرجل إلى السخرية وهو يقول: «هكذا إذن! وما هي هذه المنحة الإمبراطورية التي ستسبغها عليَّ قوتك الإلهية؟ شيء لا يملكه الإمبراطور، أليس كذلك؟». ثم ضحك ضحكة حادة مستهزئة.

اعتدل مالو واقفًا ودفع كرسيه جانبًا ثم قال: «لقد انتظرت ثلاثة أيام لكي أراك أيها الحكيم، ولكن الاستعراض سيأخذ ثلاث ثوانٍ فقط. لو تفضلت فقط بسحب هذا المسدس الذي أرى قبضته بالقرب من يدك...».

«هاه؟».

«وأطلقت عليّ النار سأكون ممتنًّا».

«ماذا؟».

«إذا مت فيُمكنك أن تُخبر الشرطة أنني حاولت أن أرشيك لكي تُفشي أسرار النقابة، سوف تنال ثناءً رفيعًا. إن لم أمت فيُمكنك أن تحصل على درعي».

كانت هذه هي المرة الأولى التي يُلاحظ فيها التقني الضوء الأبيض الخافت الذي يُحيط بجسد زائره، كأنه قد غُمِس في غبار اللؤلؤ. شهر مسدسه وقد ضيّق عينيه في تساؤل وشك، ثم ضغط الزناد.

اضطربت جزيئات الهواء بسبب الاندفاع المفاجئ للشعاع الذري، وتمزّقت إلى أيونات متوهجة محترقة لترسم مسار خط الضوء الرفيع الساطع، الذي ارتطم بموضع قلب مالو... ثم تناثر!

لم تتغير نظرة الصبر المرتسمة على وجه مالو، بينما القوى النووية التي اندفعت ناحيته تتشتت على الضوء الأبيض الشاحب وترتد للوراء قبل أن تتلاشى في الهواء.

سقط مسدس التقني من يده على الأرض بصوت ارتطام غير ملحوظ.

قال مالو: «هل يملك الإمبراطور درع طاقة شخصيًّا؟ يُمكنك أن تحصل على واحد».

قال التقني متلعثمًا: «هل أنت تقني؟».

«لا».

«إذن... إذن من أين حصلت على هذا؟».

قال مالو بازدراء بارد: «لماذا تهتم؟ هل تريده؟». ثم وضع حزامًا رفيعًا به عدة مقابض على المكتب وقال: «ها هو ذا».

انتزعه التقني على الفور وتحسسه بأصابعه في توتر.

«هذا هو بأكمله».

«أين مصدر الطاقة؟».

وضع مالو إصبعه على المقبض الأكبر الموضوع داخل علبة رصاصية.

رفع التقني عينيه ووجهه محتقن بالدماء ثم قال: «أنا تقني من المرتبة العليا يا سيدي، لقد عملت مشرفًا لعشرين سنة، ودرست على يد بلير العظيم في جامعة ترانتور، إن كنت تعتقد أن باستطاعتك خداعي بألاعيبك الشيطانية بإخباري أن حاوية صغيرة بحجم ثمرة جوز لعينة تحتوي على مولد نووي، فسوف أبلغ الحامي عنك في ثلاث ثوانٍ».

«فلتفسر الأمر بنفسك إذن إن كنت تستطيع، أنا أقول لك إن هذا هو الأمر بأكمله».

اختفى احتقان وجه التقني بالتدريج وهو يربط الحزام حول خصره، قبل أن يضغط على المقبض مُتبعًا تعليمات مالو، فأحاط به لمعان خافت واضح.

رفع مسدسه ولكنه تردد، قبل أن يعدّله ببطء إلى الحد الأدنى الآمن تقريبًا.

ثم ضغط الزناد في تردد فتناثر الشعاع النووي على يده دون أن يؤذيه.

التفت إلى مالو وقال: «وماذا إن أطلقت عليك النار واحتفظت بالدرع؟».

قـال مالـو: «فلتجـرب! هـل تعتقـد أننـي أعطيتـك النمـوذج الوحيـد؟». ثـم أحاطـت بـه هالـة مـن الضـوء بـدوره.

ضحـك التقنـي في توتـر قبـل أن يضـع المسـدس عـلى مكتبـه ويقـول: «ومـا هـو هـذا الـشيء البسـيط التافـه الـذي تُريـده في المقابـل؟».

«أُريد أن أرى مولدات الطاقة لديكم».

«أنت تُدرك أن هذا مُحرَّم، هذا سيعني إطلاق كلينا في الفضاء...».

«أنـا لا أُريـد أن ألمسـها أو أن أفعـل أي شيء بهـا، فقـط أُريـد أن أراهـا... مـن بعيـد».

«وإن لم يحدث هذا؟».

«إن لم يحـدث هـذا فيُمكنـك أن تحتفـظ بالـدرع، ولكـن لـديَّ أشـياء أُخـرى، عـلى سـبيل المثـال مسـدس مصمـم خصيصًـا لاخـتراق هـذا الـدرع».

تلفَّت التقني حوله ثم قال: «حسنًا، تعالَ معي».

الفصل الثاني عشر

كان بيت التقني يشغل طابقين صغيرين من مبنى ضخم مكعب الشكل عديم النوافذ يحتل مركز المدينة. قطع مالو ممرًّا تلو الآخر عبر شبكة معقدة من الممرات أسفل الأرض، حتى وجد نفسه في محطة الطاقة بجوها الصامت المشبع برائحة الأوزون.

سار وراء مرشده خمس عشرة دقيقة دون أن يقول شيئًا. لم تفوت عيناه أي شيء، ولم تلمس أصابعه أي شيء. وأخيرًا قال التقني بنبرة مختنقة: «هل اكتفيت؟ لا يُمكنني أن أثق بمرؤوسيّ في هذه الحالة».

سأله مالو بسخرية: «هل يُمكنك هذا على الإطلاق؟». ثم قال: «لقد اكتفيت».

بعد أن عاد إلى المكتب قال مالو مُفكرًا: «أنت المسؤول عن كل هذه المولدات؟».

قال التقني بفخر: «كل واحد منها».

«وأنت تُبقيها قيد التشغيل والنظام؟».

«هذا صحيح!».

«وماذا لو تعطَّلت؟».

هزَّ التقني رأسه في سخط وقال: «إنها لا تتعطل. إنها لم تتعطل قط. لقد بُنيَت لكي تستمر إلى الأبد».

«الأبد وقت طويل للغاية. دعنا نفترض...».

«ليس من العلم أن تفترض حالات عديمة المعنى».

«حسنًا، فلنفترض أني أطلقت النار على جزء حيوي وحطَّمته؟

أفترض أن هذه الآلات ليست محصنة ضد القوى النووية؟ فلنفترض أنني صهرت صمامًا حيويًّا أو حطَّمت أنبوب كوارتز لا مركزي؟».

صاح التقني في غضب: «حسنًا، عندها سوف تُقتل».

قال مالو وهو يصيح بدوره: «أجل، أعرف هذا، ولكن ماذا عن المولد، هل يُمكنكم إصلاحه؟».

قال التقني وهو يعوي بغضب شديد: «سيدي، لقد حصلت على مقابل عادل، لقد حصلت على ما طلبته. الآن فلتخرج! أنا لا أدين لك بأي شيء آخر».

انحنى مالو في احترام ساخر ثم غادر.

بعد يومين كان قد عاد حيث تنتظره سفينة النجم البعيد، لتعود معه إلى كوكب تيرمينوس.

وبعد يومين انطفأ درع التقني، ورغم كل حيرته وسبابه إلا أنه لم يُضئ مُجددًا أبدًا.

الفصل الثالث عشر

كان مالـو مسـترخيًا لأول مـرة تقريبًـا منـذ سـتة أشـهر، مسـتلقيًا عـلى ظهـره في غرفـة الشـمس في بيتـه الجديـد عـاري الجـذع، وذراعـاه السـمراوان الضخمتـان تتحـركان لأعـلى ولأسـفل، وعضلاتـه تتمـدد وتنكمـش مـع انقباضهـما.

كان هنـاك رجـل بجـواره، وضـع سـيجارًا بـين أسـنان مالـو وأشـعله، ثـم أخـرج واحـدًا آخـر لنفسـه وقـال: «لا شـكَّ أنـك قـد أنهكت نفسـك في العمـل، ربمـا أنـت بحاجـة إلى راحـة طويلـة».

«ربمـا يـا جايـل، ولكنـي أفضـل أن أسـتريح في مقعـد المجلـس، لأني سـأحصل عـلى هـذا المقعـد، وأنـت ستسـاعدني».

رفع أنكور جايل حاجبيه وقال: «وما دوري في هذا؟».

«إن دورك واضـح؛ أولًا أنـت ذئـب سـياسي عجـوز، ثانيًـا لقـد طُـرِدت مـن مقعـدك في الحكومـة عـلى يـد جـوران سـوت، نفـس الشـخص الـذي يُفضـل أن يفقـد عينًـا عـلى أن يـراني في المجلـس. أنـت لا تعتقـد أن لـديَّ فرصـة كبـيرة، أليـس كذلـك؟».

وافقـه وزيـر التعليـم السـابق قائـلًا: «ليسـت كبـيرة بالفعـل، أنـت سـميرني».

«هذا ليس عائقًا قانونيًا. لقد تلقَّيت تعليمًا مدنيًّا».

«بحقـك يـا رجـل، منـذ متـى يتبَّـع التعصـب أي قانـون سـوى قانونـه الخـاص. ولكـن مـاذا عـن رجلـك الخـاص، هـذا المدعـو جيـم تويـر؟ مـا رأيه؟».

أجابـه مالـو ببسـاطة: «لقـد تحـدَّث عـن ترشـيحي للمجلـس منـذ

عام تقريبًا، ولكني قد تجاوزته، إنه لا يستطيع تحقيق هذا على أي حال، ليس لديه العمق الكافي، إنه صاخب ومندفع، وليس لهذا قيمة سوى الإزعاج. أنا على وشك أن أنفذ انقلابًا حقيقيًا، أنا أحتاجك».

«إن جوران سوت هو أمهر سياسي على وجه الكوكب، وسوف يكون ضدك، أنا لا أزعم أنني أفوقه ذكاءً، ولا أعتقد أنه لن يُقاتل بقوة وقذارة».

«أنا لديَّ المال».

«هذا سيساعد، ولكن الأمر سيتطلب الكثير من المال لشراء التعصب... أنت سميرني قذر».

«أنا لديَّ الكثير من المال».

«حسنًا سوف أفكر في الأمر، ولكن لا تشتكِ لاحقًا وتقول إنني من شجعك على الأمر. مَن هذا؟».

تجهَّم مالو وقال: «إنه جوران سوت بنفسه على ما أظن، لقد جاء مبكرًا ويُمكنني أن أتفهم هذا، إنني أتهرب منه منذ شهر. اسمعني يا جايل، اذهب إلى الغرفة المجاورة وشغِّل المذياع بصوت خفيض، أُريدك أن تُنصت».

ثم ساعد عضو المجلس على الخروج من الغرفة بدفعة من قدمه العارية، قبل أن يُسرع ليرتدي روبًا حريريًا. خفت ضوء الشمس الاصطناعي حتى صار ضوءً طبيعيًا.

دلف سكرتير العمدة إلى الداخل بصرامة، بينما أغلق كبير الخدم الباب وراءه.

ربط مالو حزام روبه وقال: «اختر الكرسي الذي يُعجبك يا سوت».

ابتسم سوت ابتسامة شاحبة، ثم جلس على كرسي مريح، ولكنه لم يسترخِ فيه، بل جلس على طرفه وقال: «فلتُمْلِ شروطك أولًا قبل أن نتحدث في الأمر».

«أي شروط؟».

«أنت لا تريد أن تتحدث بشكلٍ مباشر، حسنًا إذن، على سبيل المثال ما الذي فعلته في كوريل؟ إن تقريرك غير مكتمل».

«لقد أعطيتك تقريري منذ شهور مضت، وكنت راضيًا حينها».

فرك سوت جبهته بإصبعه مُفكرًا وقال: «أجل، ولكن أنشطتك مثيرة للاهتمام منذ ذلك الوقت، نحن نعرف كثيرًا عما تفعله يا مالو؛ نحن نعرف بالضبط عدد المصانع التي تنشئها، والاستعجال الشديد الذي تُنفذ به الأمر، وكم يُكلفك هذا من المال، وهذا القصر الذي تملكه». ثم تلفَّت حوله بنظرة باردة تفتقر إلى الإعجاب وقال: «والذي كلفَّك أكثر بكثير من راتبي السنوي، والضرر الذي تُحدثه ـ ضرر معتبر وباهظ ـ في الطبقات العليا من مجتمع القاعدة».

«إذن؟ ماذا يُثبت هذا سوى قدرتك على توظيف جواسيس بارعين؟».

«إنه يُثبت أن لديك مالًا لم تكن تملكه منذ عامٍ مضى، وهذا يُمكنه أن يُثبت أشياء كثيرة؛ على سبيل المثال أن هناك الكثير قد حدث في كوريل لا نعرف عنه شيئًا. من أين تحصل على أموالك؟».

«أنت بالتأكيد لا تتوقع أن أُخبرك بهذا حقًّا يا عزيزي سوت».

«أنا لا أتوقع هذا».

«أنا لا أعتقد أن هذا ما كنت تتوقعه أيضًا، ولهذا سأُخبرك، إنه يأتي مباشرة من صناديق كنوز كومدور كوريل».

ظهـر عـدم الفهـم عـلى وجـه سـوت فابتسـم مالـو وقـال: «لسـوء حظـك أن هـذا المـال قانـوني تمامًـا، أنـا تاجـر خبـير والمـال الـذي تلقيتـه كان كميـة مـن الحديـد والكـروم مقابـل بعـض الحـلي التـي كنت قـادرًا عـلى تزويـده بهـا. خمسـون بالمئـة مـن الأربـاح هـي نصيبـي بحسـب العقـد المـبرم مـع القاعـدة، النصـف الآخـر يذهـب إلى الحكومـة في نهايـة العـام عندمـا يسـدد كل المواطنـين الصالحـين ضريبـة دخلهـم».

«لم يكن هناك أي ذكر لأي عملية تجارية في تقريرك».

«ولم يكـن هنـاك أي ذكـر لمـا تناولتـه عـلى الإفطـار في ذلـك اليـوم، ولا اسـم عشـيقتي الحاليـة، ولا أي تفاصيـل أُخـرى غـير هامة».

تحوَّلـت ابتسـامة مالـو إلى ضحكـة سـاخرة ثـم قـال: «لقد أرسـلتموني إلى هنـاك ـ بحسـب كلماتـك ـ لـكي أُبقـي عينـيَّ مفتوحتـين. أنـا لم أُغلقهـما قـط. لقـد أردت منـي أن أعـرف مـا الـذي حـدث لسـفن القاعـدة التجاريـة المأسـورة، أنـا لم أرهـم ولم أسـمع أي شيء عنهـم. لقـد أردت أن تعـرف إن كانـت كوريـل تملـك طاقـة نوويـة، وقـد ذكـرت في تقريـري المسدسـات النوويـة التـي يحملهـا حـراس الكومـدور الشـخصيون، لم أرَ أي دلائـل أُخـرى، وهـذه المسدسـات أرى أنهـا مـن مخلفـات الإمبراطوريـة القديمـة، وربمـا تكـون لمجـرد الاسـتعراض ولا تعمـل حسـب معرفتـي.

لقـد اتبعـت التعليـمات إلى هـذا الحـد، ولكـن أكـثر مـن هـذا فأنـا عميـل حـر. مـن حـق أي تاجـر خبـير ـ بحسـب قوانـين القاعـدة ـ أن يفتـح أي أسـواق جديـدة يقـدر عليهـا، وبنـاءً عـلى هـذا يتلقّـى نصـف الأربـاح. مـا هـو اعتراضـك؟ أنـا لا أفهمـه».

التفـت سـوت بحـرص ناحيـة الجـدار وبـذل مجهـودًا كبـيرًا لـكي يتحـدث بـدون غضـب قائـلًا: «إن العـادة المتبعـة لـكل التجـار هـي

تعزيـز الديـن مـع تجارتهـم».

«أنا أتبع القانون لا العادات».

«هناك حالات تكون فيها العادات فوق القانون».

« فلتشتكِ إلى المحكمة إذن».

رفـع سـوت عينيـه المتجهمتـين وقـد بـدا أنهـما قـد غارتـا في محجريهـما، قبـل أن يقـول: «أنـت سـميرني عـلى كل حـال، يبـدو أن التجنيـس والتعليـم لا يُمكنهـما محـو هـذا التلـوث مـن دمـك. اسـمعني جيـدًا وحـاول أن تفهمنـي.

الأمـر أكـبر مـن المـال والأسـواق، نحـن لدينـا علـم هـاري سيلدون العظيـم ليثبـت أننـا نحمـل عـلى عاتقنـا الإمبراطوريـة المسـتقبلية للمجـرة، ولا يُمكننـا أن نحيـد عـن المسـار الـذي يـؤدي إلى تلـك الإمبراطوريـة. الديـن الـذي نملكـه هـو أهـم أداة لدينـا لتحقيـق هـذه الغايـة، بـه اسـتطعنا أن نخضـع الممالـك الأربعـة لسـيطرتنا، حتـى في اللحظـة التـي كانـوا قادريـن فيهـا عـلى تحطيمنـا، إنهـا الأداة الأكـثر فاعليـة في السـيطرة عـلى البـشر والكواكـب.

السـبب الرئيـسي وراء خلـق التجـارة والتجـار هـو التعريـف بالديانـة ونشرهـا بشـكلٍ أسرع، ولضـمان أن طـرح أي تقنيـات جديـدة أو اقتصـاد جديـد سـوف يكـون خاضعًـا لسـيطرتنا المطلقـة».

توقَّـف ليلتقـط أنفاسـه فتدخَّـل مالـو قائـلًا عـلى الفـور: «أنـا أعـرف هـذه النظريـة وأفهمهـا بالكامـل».

«هـل تفهمهـا حقًّـا؟ هـذا أكـثر مـما كنـت أتوقـع. إذن فأنـت تفهـم بالطبـع أن محاولتـك للتجـارة مـن أجـل التجـارة فقـط، بإنتـاج الأدوات التافهـة عـلى نطـاق واسـع، لا يُمكنهـا أن تؤثـر عـلى اقتصـاد الكواكـب إلا بشـكل سـطحي، وتخريـب السياسـة الكونيـة لمصلحـة إلـه الأربـاح،

وفصل الطاقة النووية عن ديانتنا المهيمنة، فهذا كله لا يُمكنه أن ينتهي إلا بالإطاحة بالسياسة التي قد نجحت لقرون، والقضاء عليها تمامًا».

قال مالو بلا اكتراث: «لقد استمرت لوقت كافٍ، فهي سياسة بالية وخطيرة ومستحيلة، رُغم أن ديانتكم قد نجحت تمامًا في الممالك الأربعة إلا أنه بالكاد قد قبلها أي كوكب آخر في محيط المجرة. في الوقت الذي نجحنا فيه في السيطرة على الممالك كان هناك عدد كبير من المنفيين ـ المجرة وحدها تعرف عددهم ـ ينشرون قصة استخدام سالڤور هاردين للكهنوت وخرافات الناس للإطاحة باستقلال وقوة الممالك اللادينية، وإن لم يكن هذا كافيًا فإن حالة أسكون منذ عشرين سنة قد جعلت هذا واضحًا بما يكفي. لم يعد هناك أي حاكم في محيط المجرة لا يُفضِّل قطع عنقه على أن يسمح لكاهن من القاعدة بدخول منطقته.

أنا لا أريد أن أجبر كوريل أو أي كوكب آخر على قبول شيء أنا أعرف أنهم لا يريدونه. لا يا سوت، إن كانت الطاقة النووية ستجعلهم خطيرين فإن الصداقة الحقيقية من خلال التجارة ستكون أفضل بكثير من حكم غير مستقر مبني على الكراهية المطلقة للقوة الروحانية الأجنبية التي ما إن تضعف قليلًا حتى تنهار تمامًا دون أن تترك وراءها أي شيء ملموس سوى خوف وكراهية لا ينتهيان».

قال سوت بسخرية: «هذا طرح رائع، إذن دعنا نعود إلى نقطة النقاش الرئيسية؛ ما هي شروطك؟ ما الذي تحتاجه لاستبدال أفكاري بأفكارك؟».

«هل تعتقد أن قناعاتي مطروحة للبيع؟».

أجابه ببرود: «لِمَ لا؟ أليست هذه هي مهنتك؛ البيع والشراء؟».

قـال مالـو دون أن يشـعر بـأي إهانـة: «فقـط إن كان الأمـر مربحًـا. هـل يُمكنـك أن تعـرض أكـثر مـما أحصـل عليـه الآن؟».

«يُمكنـك أن تحصـل عـلى ثلاثـة أربـاع مـا تربحـه مـن تجارتـك، بـدلًا مـن النصـف».

ضحـك مالـو ضحكـة قصـيرة ثـم قـال: «هـذا عـرض لطيـف، ولكـن أربـاح التجـارة وفقًـا لشروطـك سـوف تكـون أقـل بكثـير مـن عُـشر مـا أجنيـه بشروطـي».

«يُمكنك أن تحصل على مقعد في المجلس».

«سـوف أحصـل عـلى هـذا عـلى أي حـال، بـدون مسـاعدتك ورُغـمًا عنـك».

بحركـة مُفاجئـة ضـم سـوت قبضتـه ثـم قـال: «يُمكنـك أيضًـا أن تُنقـذ نفسـك مـن قضـاء وقـت في السـجن؛ عشريـن سـنة إن جـرت الأمـور كـما أُريـد. فلتحسـب الربـح في هـذا».

«لا يوجـد أي ربـح عـلى الإطـلاق، ولكـن هـل يُمكنـك تنفيـذ مثـل هـذا التهديـد؟».

«ماذا عن مُحاكمة في جريمة قتل؟».

سأله مالو بازدراء: «قتل من؟».

صـار صـوت سـوت أكـثر قسـوة رُغـم أنـه لم يكـن أكـثر ارتفاعًـا عـن ذي قبـل وهـو يقـول: «قتـل كاهـن أناكريـون الـذي كان في خدمـة القاعـدة».

«هكذا إذن؟ وما هو دليلك؟».

مـال سـكرتير العمـدة للأمـام وقـال: «أنـا لا أمـزح يـا مالـو، لقـد

انتهت المراوغات، عليّ فقط أن أوقع ورقة واحدة أخيرة لتبدأ قضية القاعدة ضد هوبر مالو التاجر الخبير، لقد تخلّيت عن أحد رعايا القاعدة ليتعرّض للتعذيب والموت على أيدي حشد أجنبي غاضب يا مالو، ولديك خمس ثوانٍ فقط لتتفادى عقوبتك المستحقة، بالنسبة لي أنا أُفضِّل أن تحاول التحايل على الأمر. سأشعر بأمان أكثر لكونك عدوًّا محطمًا بدلًا من كونك صديقًا مشكوكًا في أمره».

قال مالو بجدية: «ستحصل على ما تريد».

ابتسم السكرتير بوحشية وقال: «جيد! لقد كان العمدة هو من يرغب في محاولة المساومة الأولية وليس أنا. لقد لاحظت بالتأكيد أنني لم أحاول كثيرًا».

ثم انفتح الباب أمامه قبل أن يُغادر.

رفع مالو بصره إلى أنكور جايل الذي دلف مُجددًا إلى الغُرفة.

قال مالو: «هل سمعته؟».

ألقى السياسي بجسده جالسًا على الأرض وقال: «لم أسمع هذا الثعبان يتحدث بمثل هذا الغضب منذ أن عرفته».

«لا بأس، ما رأيك فيما قاله؟».

«حسنًا، رأيي هو أن سياسة السيطرة الخارجية من خلال وسائل روحانية هي فكرة مترسخة في عقله، ولكني أعتقد أن أهدافه النهائية ليست روحانية. لقد طُرِدتُ من الحكومة لجدالي في نفس المسألة كما تعرف».

«أعرف هذا. وما هي هذه الأهداف غير الروحانية من وجهة نظرك؟».

قال جايل بجدية: «حسنًا، إنه ليس غبيًّا، لذا لا شكّ أنه يرى

إفلاس سياستنا الدينية، التي قد نجحت بالكاد في احتلال أي كوكب طيلة سبعين عامًا، من الواضح أنه يستخدمها لأغراض خاصة به.

إن أي دوغمائية تعتمد بشكلٍ أساسي على الإيمان والعواطف هي سلاح خطير لاستخدامه ضد الآخرين، بما أنه من المستحيل تقريبًا ضمان أن هذا السلاح لن ينقلب على حامله. لقد دعمنا الطقوس والميثولوجيا لمئة عام حتى الآن، حتى أنها قد صارت مُبَجَّلة ومتوارثة وراسخة إلى حد كبير، إنها لم تعد تحت سيطرتنا من نواحٍ ما».

سأله مالو: «من أي نواحٍ؟ لا تتوقف، أُريد سماع كل أفكارك».

«حسنًا، فلنفترض أن هناك رجلًا، رجلًا طموحًا، يستخدم قوة الدين ضدنا بدلًا من استخدامها في صالحنا».

«هل تعني سوت...».

«أنت محق، أنا أعني سوت. اسمعني يا رجل؛ إن استطاع تحريك الهيئات الكهنوتية العديدة على الكواكب التابعة في وجه القاعدة باسم الحفاظ على الدين القويم فما هي فرصتنا للمقاومة؟ إذا جعل نفسه ممثلًا للمعايير الدينية فإن باستطاعته أن يشن حربًا على الهرطقة، التي تُمثلها أنت على سبيل المثال، ويُنصِّب نفسه ملكًا في نهاية المطاف. لقد كان هاردين في النهاية هو من قال: إن المسدس النووي سلاح فعال، ولكنه سلاح ذو حدين».

ضرب مالو فخذه العاري بيده وقال: «حسنًا يا جايل، فلتجعلني أدخل هذا المجلس وأنا سأحاربه».

صمت جايل ثم قال بجدية كبيرة: «ربما لا. ما هذا الذي قاله عن قتل الكاهن؟ هذا ليس صحيحًا، أليس كذلك؟».

قال مالو بلا اكتراث: «إنه صحيح إلى حدٍ ما».

أطلق جايل صفيرًا ثم قال: «هل لديه دليل قاطع؟».

قال مالو: «يجب أن يكون لديه دليل». ثم صمت مترددًا قبل أن يضيف: «لقد كان جيم توير رجله منذ البداية. رُغم أن كليهما لم يعرفا أنني أعرف هذا. ولكن جيم توير شاهد عيان».

هزَّ جايل رأسه وقال: «هذا سيئ».

«سيئ؟ ما السيئ في هذا الأمر؟ لقد كان الكاهن على ذلك الكوكب بشكلٍ غير قانوني حسب قوانين القاعدة نفسها، وكان من الواضح أن الحكومة الكوريلية تستخدمه كطعم، سواء كان هذا بإرادته أو رُغمًا عنه. لم يكن أمامي سوى تصرف واحد بحسب كل قوانين التفكير المنطقي، وهذا التصرف قانوني تمامًا. إذا قدَّمني للمحاكمة فإنه لن يفعل شيئًا سوى أن يُظهر نفسه بمظهر الأحمق».

هزَّ جايل رأسه مُجددًا وقال: «لا يا مالو لقد أسأت فهم الأمر، لقد أخبرتك أنه يلعب بقذارة، إن هدفه ليس إلصاق التهمة بك، إنه يعرف أنه لا يستطيع هذا، ولكن هدفه هو تشويه صورتك أمام الشعب، لقد سمعت ما قاله، العادات تكون فوق القانون أحيانًا، يُمكنك أن تخرج من المحاكمة بلا أدنى عقاب، ولكن إذا اعتقد الناس أنك قد ألقيت كاهنًا إلى الكلاب فإن شعبيتك ستنتهي.

سوف يعترفون أنك تصرَّفت التصرف القانوني، بل التصرف العقلاني أيضًا، ولكنك في الوقت ذاته سوف تكون في أعينهم كلبًا جبانًا، وغدًا عديم الشعور، ووحشًا متحجر القلب. ولن ينتخبك أحد للمجلس، يُمكنك حتى أن تخسر رتبتك كتاجر خبير عن طريق التصويت لسحب الجنسية منك. أنت لست مواطنًا أصليًا.

ما الذي تعتقد أن سوت يُريده أكثر من هذا؟».

عقد مالو حاجبيه بعناد وقال: «إذن!».

قال جايل: «سوف أقف بجوارك يا فتى، ولكني لا أستطيع مساعدتك، أنت في موقف حرج تمامًا».



الفصل الرابع عشر

كان المجلس ممتلئًا بالمعنى الحرفي في اليوم الرابع من محاكمة هوبر مالو التاجر الخبير، كان المستشار الوحيد الغائب يشعر بالغيظ بسبب شرخ جمجمته الذي ألزمه الفراش. كانت المقصورات ممتلئة حتى الممرات الجانبية والأسقف بهذا العدد القليل من الحشد الذي استطاع الدخول باستخدام النفوذ أو الثروة أو الإصرار الشيطاني المحض، البقية ملأوا الساحة بالخارج في حشود متحلقة حول أجهزة البث ثلاثية الأبعاد المعلقة في الهواء.

شقَّ أنكور جايل طريقه إلى داخل المجلس بمساعدة الشرطة ومجهوداتها التي تكاد تكون غير مجدية، ثم عَبْرَ الزحام الأقل بشق الأنفس، حتى وصل إلى مقعد هوبر مالو.

التفت مالو إليه بارتياح وقال: «بحق سيلدون، لقد جئت أخيراً. هل حصلت عليه؟».

قال جايل: «هاك، خذه، إنه كل شيء طلبته».

«جيد، كيف يتحدثون بالخارج؟».

تململ جايل في عدم ارتياح وقال: «إنهم هائجون للغاية، لم يكن يجب عليك أن تسمح بجلسة استماع علنية، كان يُمكنك أن تمنعهم».

«لم أرغب في هذا».

«هناك حديث عن شنقك في ميدان عام، ورجال بوبليس مانليو في الكواكب الخارجية...».

«كنت أريد أن أسألك عن هذا يا جايل، إنه يحرض الهيئة

الكهنوتية ضدي، أليس كذلك؟».

«يُحرِّض؟ إنها أفضل مكيدة يُمكنك أن تراها. كوزير للخارجية فإنه يتولَّى المحاكمات المتعلقة بالكواكب الأُخرى، وككاهن أعلى ورئيس للكنيسة فإنه يهيج الحشود المتعصبة...».

«حسنًا، انسَ الأمر. هل تذكر مقولة هاردين التي قلتها لي الشهر الماضي، سوف نُريهم أن المسدس النووي سلاح ذو حدين».

في تلك اللحظة كان العمدة يجلس في مقعده وأعضاء المجلس يقفون في احترام.

همس مالو: «إنه دوري اليوم، اجلس وراقب هذا العرض المُسلِّي».

بدأت مداولات اليوم، وبعد خمسين دقيقة خطا مالو عبر الهمسات العدائية ناحية المساحة الفارغة أمام منصة العمدة. كان هناك شعاع ضوء وحيد مسلط عليه، وفي أجهزة البث التلفازية العامة في المدينة، وكذلك في أجهزة البث الخاصة العديدة، في كل بيت تقريبًا في كواكب القاعدة، كان الرجل العملاق يُحدِّق بلا اكتراث.

بدأ يتحدث بيسر وهدوء: «لكيلا نضيع الوقت فسأعترف بحقيقة كل نقطة قد اتهمني بها ممثلو الادعاء، قصة الكاهن والحشد الغاضب كما ذكروها هي دقيقة تمامًا في كل التفاصيل».

كان هناك حركة مضطربة في قاعة المجلس، وأصوات تهتف بانتصار في المقصورة.

انتظر بهدوء حتى حلَّ الصمت ثم قال: «ولكن الصورة التي قدَّموها ليست كاملة، وأرغب في أن تمنحوني فرصة لإكمالها بطريقتي الخاصة. قصتي قد تبدو بعيدة عن الموضوع في البداية،

ولكنـي أطلـب منكـم سـعة صدركـم في هـذا».

لم ينظـر مالـو إلى الملحوظـات الموضوعـة أمامـه قبـل أن يقـول: «سـأبدأ مـن نفـس اللحظـة التـي بـدأ منهـا ممثلـو الادعـاء؛ يـوم التقيـت بجـوران سـوت وجيـم تويـر. أنتـم تعرفـون مـا حـدث في هذيـن الاجتماعـين، لقـد وُصفـت المحادثـات وأنـا لا أرغـب في إضافـة شيء إلى هـذا الوصـف، عـدا أفـكاري الخاصـة عـن ذلـك اليـوم. لقـد كانـت لـديَّ شـكوك بـأن أحـداث ذلـك اليـوم كانـت غريبـة. فكِّـروا في الأمـر؛ رجـلان لا أعـرف أي واحـد منهـما إلا بشـكلٍ طفيـف يعرضـان عـليَّ عرضـين غـير مألوفـين ولا يمكـن تصديقهـما إلى حـد مـا بالنسـبة لي. أحدهـما سـكرتير العمـدة، يطلـب منـي أن ألعـب دور عميـل اسـتخباراتي للحكومـة في مهمـة بالغـة السريـة، طبيعـة المهمـة ومـدى أهميتهـا قـد سـبق شرحـه لكـم. الآخـر هـو قائـد حـزب سـياسي مزعـوم، يطلـب منـي أن أترشـح لمقعـد المجلـس.

فكَّـرتُ في الدافـع الخفـي بطبيعـة الحـال. لقـد بـدا سـوت واضحًـا، إنـه لا يثـق فيَّ، ربمـا كان يُفكِّـر أننـي أبيـع أسـلحة نوويـة إلى الأعـداء وأخطـط للتمـرد، وربمـا كان يحـاول حـل المشـكلة بشـكلٍ جـذري، أو هكـذا كان يظـن. في هـذه الحالـة سـيحتاج أن يكـون رجـل مـن رجالـه بالقـرب منـي في مهمتـي المقترَحـة كجاسـوس. ولكـن الفكـرة الثانيـة لم تخطـر ببـالي إلا لاحقًـا عندمـا ظهـر جيـم تويـر في المشـهد.

فكِّـروا مُجـددًا في الأمـر؛ إن تويـر يقـدم نفسـه عـلى أنـه تاجـر قـد تقاعـد مـن أجـل السياسـة، ومـع هـذا فأنـا لا أعـرف أي شيء عـن مسـيرته المهنيـة كتاجـر، رُغـم أن معرفتـي بهـذا المجـال كبـيرة للغايـة. وعـلاوة عـلى ذلـك فإنـه عـلى الرغـم مـن تفاخـر تويـر بتلقيـه تعليـم مـدني إلا أنـه لم يسـمع مـن قبـل عـن أزمـات سـيلدون».

انتظر مالو لكي يسمح لهم باستيعاب أهمية ما قاله، وكانت مكافئته هي الصمت الأول الذي يحيط به، كأن كل من في المقصورة قد حبسوا أنفاسهم. كان هذا من أجل سكان تيرمينوس نفسه، فسكان الكواكب الخارجية لا يسمعون إلا النسخ التي تخضع للرقابة بما يُناسب متطلبات الدين، إنهم لن يسمعوا شيئًا عن أزمات سيلدون، ولكن سيكون هناك ضربات أُخرى لن تفوتهم.

أكمل مالو حديثه قائلًا: «من هنا يُمكنه بصدق أن يقول إن أي رجل قد تلقَّى تعليمًا مدنيًا يُمكنه أن يجهل طبيعة أزمات سيلدون؟ هناك نوع واحد من التعليم على القاعدة يستبعد كل ذكر لخطة سيلدون التاريخية، ويتعامل مع الرجل نفسه على أنه ساحر شبه أسطوري...

لقد عرفت في هذه اللحظة أن جيم توير لم يكن تاجرًا قط، عرفت أنه من الكهنوت، وربما كاهن كامل الصلاحيات، ولا شكَّ أنه كان يتظاهر لثلاثة أعوام بأنه يرأس حزبًا سياسيًا من التجار، لقد كان من أتباع جوران سوت.

في تلك اللحظة كنت أتحسس طريقي في الظلمة، لم أكن أعرف ما يُريده مني سوت، ولكن بما أنه كان يُعطيني طرف الخيط بإرادته فقد قررت أن أسحبه. كان اعتقادي هو أن دور توير أن يكون معي في رحلتي كحارس غير رسمي بالنيابة عن جوران سوت. حسنًا، إن لم يأتِ معي كنت سأعرف أن هناك آخرين ليحلوا محله، وهؤلاء الآخرون قد لا أُمسك بهم في الوقت المناسب، إن العدو المعروف آمن بشكل نسبي. دعوت توير لأن يأتي معي فقبل.

هذا أيها السادة المستشارون يُفسر شيئين؛ أولًا إنه يخبركم أن توير ليس صديقًا لي يشهد ضدي على مضض وبدافع من ضميره

كما يُريدكم ممثلو الادعاء أن تصدقوا، إنه جاسوس يؤدي وظيفة مدفوعة الثمن. ثانيًا إنه يفسر تصرفًا معينًا لي عند الظهور الأول للكاهن المتهم أنا بقتله، تصرف لم يُذكر بعد لأنه غير معروف».

حينها كان هناك اضطراب هامس في المجلس، فتنحنح مالو بشكلٍ مسرحي ثم أكمل قائلًا: «أنا أكره أن أصف مشاعري عندما سمعت لأول مرة أن لدينا مُبَشِّرًا لاجئًا على متن السفينة، أكره حتى أن أتذكرها، لقد كانت تتكون بشكلٍ أساسي من الشك الجامح. أحسست في تلك اللحظة أن ما يحدث هو من تخطيط سوت، وأنه يتجاوز حساباتي وقدرتي على الفهم، لقد كنت مرتبكًا تمامًا.

كان هناك شيء واحد يُمكنني فعله؛ أن أتخلص من توير لخمس دقائق بإرساله لإحضار ضباطي، في غيابه وضعت جهاز تسجيل مرئي، لذا أيًا كان ما سيحدث فمن الممكن الاحتفاظ به لدراسته في المستقبل. كان هذا على أمل ـ أمل جامح ولكنه صادق ـ أن الاضطراب الذي أشعر به قد يصير واضحًا عند المراجعة.

لقد شاهدت هذا التسجيل المرئي قُرابة خمسين مرة، وهو معي هنا الآن، وسوف أكرر المهمة للمرة الحادية والخمسين أمامكم الآن».

طرق العمدة بمطرقته بحركة رتيبة من أجل النظام، فقد فقدت القاعة توازنها وتعالى الصياح من المقصورة. في خمسة ملايين بيت في تيرمينوس كان المشاهدون المتحمسون يقتربون أكثر من أجهزة التلفاز. وفي منصة ممثلي الادعاء كان جوران سوت يهز رأسه ببرود ناحية الكاهن الأكبر المتوتر، بينما عيناه المتقدتان مثبتتان على وجه مالو.

أُخليَت القاعة في منتصفها وخفتت الأضواء، وأجرى أنكور جايل من مقعده على اليسار بعض التعديلات، وبضغطة زر ظهر المشهد الهولوجرامي الملوَّن ثلاثي الأبعاد بكل سمات الحياة عدا الحياة نفسها.

هنالك كان المُبَشِّر مرتبكًا ومنهكًا، يقف ما بين الملازم والعريف. كانت صورة مالو تنتظر في صمت، ثم دلف الرجال إلى الغُرفة يلحق بهم توير.

جرت المحادثة من تلقاء نفسها، كلمة بكلمة، من تعنيف العريف إلى استجواب المبشر، ثم ظهر الحشد الغاضب، وكان من الممكن سماع صياحهم، ثم راح المبجل جورد بارما يتوسل بجنون. استل مالو مسدسه، وبينما المبشر يُجذب بعيدًا رفع ذراعيه في لعنة جنونية أخيرة، ثم لمع بريق من الضوء وانطفأ.

انتهى المشهد بالضباط متجمدين في رعب على إثر هذا الموقف، بينما توير يضغط بيديه المرتجفتين على أذنيه، ومالو يُعيد مسدسه إلى غمده بهدوء.

اشتعلت الأضواء مجددًا وعاد منتصف القاعة فارغًا كما كان. عاد مالو الحقيقي إلى الحديث مُجددًا: «الحادثة كما ترونها هي تمامًا كما وصفها ممثلو الادعاء... بشكلٍ ظاهري. سوف أفسر هذا بعد قليل. إن مشاعر جيم توير خلال الأمر برمته تُظهر تعليمًا كهنوتيًا واضحًا بالمناسبة.

في اليوم ذاته ذكرت لتوير بعض التناقضات في الواقعة، سألته مِن أين أتى المبشر إلى ذلك المكان المهجور الذي كنا فيه في ذاك الوقت. سألته أيضًا مِن أين أتى الحشد الغاضب الكبير بينما أقرب مدينة ذات حجم معتبر على بُعد مئات الأميال. لم يولِ ممثلو

الادعـاء أي انتبـاه لهـذه المعضـلات.

أو إلى النقـاط الأُخـرى، عـلى سـبيل المثـال: ملابس جـورد بارمـا الفجّة، فهـو مُبـشر في كوريـل يُخاطـر بحياتـه مُنتهـكًا قوانـين كل مـن كوريـل والقاعـدة، يتجـول بـزي كهنـوتي جديـد للغايـة ومميـز للغايـة، ثمـة شيء خاطـئ هنـا. افترضـت في ذلـك الوقـت أن المبـشر يُسـاعد الكومـدور بـدون قصـد، وأن الكومـدور يسـتخدمه في محاولـة لاسـتدراجنا إلى تـصرف عـدواني غـير قانـوني ليُـبرر لاحقًـا ـ بالقانـون ـ تدمـيره لسـفينتا ولنـا. لقـد كان ممثلـو الادعـاء يتوقعـون هـذا التبريـر لأفعالـه، لقـد كانـوا يتوقعـون منـي أن أشرح أن أمـن سـفينتي وطاقمـي والمهمـة نفسـها كانـوا عـلى المحـك، وأننـي لم أكـن أسـتطيع التضحيـة بهـم مـن أجـل رجـل واحـد، بينـما هـذا الرجـل كان سـيهلك عـلى أي حـال، معنـا أو بدوننـا. لقـد أجابـوا بتمتمـة عـن شرف القاعـدة والحاجـة للتمسـك بكرامتنـا مـن أجـل الحفـاظ عـلى هيمنتنـا.

ولكـن لسـبب غريـب فـإن ممثـلي الادعـاء قـد تجاهلـوا جـورد بارمـا نفسـه كشـخص، لم يذكـروا أي تفاصيـل متعلقـة بـه، لا مسـقط رأسـه، ولا تعليمـه، ولا أي تفاصيـل عـن تاريخـه السـابق. تفسـير هـذا سـيفسر أيضًـا التناقضـات التـي أشرتُ إليهـا في التسـجيل المـرئي الـذي رأيتمـوه للتـو، الاثنـان مرتبطـان.

لم يقـدم ممثلـو الادعـاء أي تفاصيـل بخصـوص جـورد بارمـا لأنهـم لا يسـتطيعون، المشـهد الـذي رأيتمـوه في التسـجيل المـرئي قـد بـدا زائفًـا لأن جـورد بارمـا كان زائفًـا، لم يكـن هنـاك جـورد بارمـا قـط، إن هـذه المحاكمـة بأكملهـا هـي أكـبر مسرحيـة هزليـة قـد ابتُدِعـت مـن أجـل مشـكلة ليـس لهـا وجـود».

مجـددًا كان عليـه أن ينتظـر لـكي يهـدأ الصخـب، ثـم قـال ببـطء:

«سأُريكم تكبير مشهد واحد ثابت من التسجيل المرئي، سيوضح كل شيء بنفسه. الأضواء مُجددًا يا جايل».

خفتت أضواء القاعة وامتلأ الهواء الفارغ مُجددًا بالصور الشبحية المتجمدة. على وجه ضباط سفينة النجم البعيد تظهر التعبيرات الاستنكارية الجامدة، المسدس مشهر في يد مالو الصارمة، على يساره المبُجّل جورد بارما، قد تجمّد في منتصف صرخته وقد رفع يديه إلى الهواء بينما كُمّاه المنحسران متعلقان في منتصف ذراعيه.

ومن يد المُبشر كان هناك هذا الوميض الصغير الذي قد لمع مسبقًا واختفى، كان الآن يومض بشكلٍ ثابت.

قال مالو من بين الظلال: «فلتبقوا أعينكم على هذا الضوء في يده. كبّر هذا المشهد يا جايل».

تضخّمت الصورة على الفور وبدأت الأجزاء الخارجية تختفي، بينما المبشر ينجذب ناحية المنتصف ويصير عملاقًا، ثم لم يعد هناك سوى يده وذراعه، ثم يده فقط، التي ملأت كل شيء وبقيت هناك في صورة ضخمة وضبابية.

صار الضوء مجموعة من الأحرف الضبابية المتوهجة؛ ش. ك. س.

قال مالو بصوت جهوري: «هذا هو نموذج وشم أيها السادة، إنه يكون خفيًا في الضوء العادي، ولكن في الضوء فوق البنفسجي الذي كان يملأ الغرفة في وقت التقاط هذا التسجيل فإنه يظهر بوضوح شديد. أعترف أن هذه وسيلة ساذجة لتحديد الهوية السرية، ولكنها تنجح في كوريل، حيث لا يوجد ضوء فوق بنفسجي في نواصي الشوارع، حتى في سفينتنا كان اكتشافه من قبيل المصادفة.

ربما قد خمنتم بالفعل ما ترمز إليه أحرف ش. ك. س. لقد كان

جورد بارما يعرف اللغة الكهنوتية جيدًا وأدّى مهمته بشكلٍ رائع. لا أعرف أين تعلّمها أو كيف، ولكني أعرف أن ش. ك. س. ترمز إلى شرطة كوريل السرية».

صاح مالو بصوت يعلو على الضوضاء: «لديّ دليل دامغ على هيئة مستندات قد جلبتها معي من كوريل يُمكنني أن أقدمه إلى المجلس إذا لزم الأمر.

وأين هي قضية ممثلي الادعاء الآن؟ لقد ألحوا مرارًا وتكرارًا أنه كان عليّ أن أقاتل من أجل المبشر في وجه القانون، وأن أضحي بمهمتي وسفينتي ونفسي من أجل شرف القاعدة.

ولكن هل أفعل هذا من أجل محتال؟

هل كان يجب أن أفعل هذا من أجل عميل سري كوريلي يحاول خداعنا بملابس مستعارة وألاعيب لفظية قد تعلّمها على الأرجح أثناء نفيه إلى أناكريون؟ هل كان جوران سوت وبوبليس مانليو يرغبان في أن أقع في فخ غبي مقيت...».

تلاشى صوته الأجش في خلفية من صيحات الحشد غير الواضحة، ثم رُفِع على الأكتاف وحُمِل إلى منصة العمدة، من خارج النوافذ استطاع أن يرى سيلًا من الغاضبين يتدفقون إلى الساحة، بالإضافة إلى الآلاف الموجودين هناك بالفعل.

تلفّت مالو بحثًا عن أنكور جايل، ولكن كان من المستحيل العثور على وجه واحد في هذه الفوضى غير مُمَيَّزة الملامح. أدرك ببطء أن هناك هتافًا منتظمًا يتكرر وينتشر من بداية صغيرة حتى صار نبضًا جنونيًا:

«يعيش مالو... يعيش مالو... يعيش مالو...».

الفصل الخامس عشر

حـدَّق أنكـور جايـل إلى مالـو بوجـهٍ منهـك، لقـد كان اليومـان الأخـيران جنونيـين وبـلا نـوم، قبـل أن يقـول: «لقـد قدَّمـت عرضًـا جميلًا يـا مالـو، فـلا تُفسـده بالقفـز عاليًـا أكـثر مـن الـلازم، لا يُمكنـك أن تُفكـر حقًّـا في الترشـح لمنصـب العمـدة، إن حـماس العامـة أمـر قـوي حقًّـا، ولكنـه متقلـب للغايـة».

قـال مالـو متجهـمًا: «بالضبـط! لـذا يجـب أن نحتويـه، وأفضـل طريقـة لفعـل هـذا هـو أن نكمـل العـرض».

«ماذا سنفعل إذن؟».

«دورك هو أن تجعلهم يعتقلون بوبليس مانليو وجوران سوت...».

«ماذا!».

«مـا سـمعته بالضبـط، فلتجعـل العمـدة يعتقلهـم! لا يهمنـي أي تهديـدات ستسـتخدمها، أنـا أتحكـم في العامـة... مؤقتًـا عـلى أي حـال، إنـه لـن يجـرؤ عـلى مواجهتهـم».

«ولكن بأي تهمة يا رجل؟».

«التهمـة الواضحـة، إنهـم يحرضـون الكهنـة في الكواكـب الخارجيـة عـلى التحيـز في صراعـات القاعـدة السياسـية، هـذا غـير قانـوني بحـق سـيلدون، فلتتهمهـم بتهديـد أمـن الدولـة، وأنـا لا أُبـالي بـأي إدانـة أكـثر مـما فعلـوه في قضيتـي. فلتخرجهـم فقـط مـن الحسـابات حتـى أصـير أنـا العمـدة».

«لا يزال هناك نصف عام على موعد الانتخابات».

قـال مالـو: «هـذا ليـس وقتًـا طويـلًا!». ثـم اعتـدل واقفًـا فجـأة

وتشبث بذراع جايل قائلًا: «اسمعني! سوف أستولي على الحكم بالقوة إذا تطلب الأمر، بنفس الطريقة التي استخدمها سالفور هاردين منذ مئة عام. لا يزال هناك أزمة سيلدون مقبلة، وعندما تأتي يجب أن أكون أنا العمدة والكاهن الأكبر، كليهما».

عقد جايل حاجبيه وقال بهدوء: «ماذا ستكون الأزمة؟ كوريل بعد كل ذلك؟».

أومأ مالو برأسه وقال: «بالطبع، إنهم سيعلنون الحرب في نهاية المطاف، رُغم أنني أُراهن على أن هذا سيحتاج عامين آخرين».

«بسفن نووية؟».

«ما الذي تظنه؟ هذه السفن التجارية الثلاثة التي فقدناها في قطاعهم الفضائي لم تسقط بمسدسات هواء مضغوط. إنهم يحصلون على السفن من الإمبراطورية نفسها يا جايل. لا تفتح فمك هكذا كالأحمق، لقد قلت الإمبراطورية! إنها لا تزال هناك، ربما قد اختفت هنا في محيط المجرة الخارجي، ولكنها لا تزال تنبض بالحياة في قلب المجرة، وخطوة واحدة خاطئة قد تعني إحكامها الخناق حولنا. لهذا يجب أن أكون العمدة والكاهن الأكبر، أنا الرجل الوحيد الذي يعرف كيفية مواجهة الأزمة».

ازدرد جايل لعابه ثم قال: «كيف؟ ما الذي ستفعله؟».

«لا شيء».

ابتسم جايل في شك وقال: «حقًّا! هذا كل شيء!».

أجابه مالو بشكلٍ حاسم: «عندما أصير على رأس القاعدة فلن أفعل شيئًا على الإطلاق، وهذا هو سر تلك الأزمة».

الفصل السادس عشر

رحَّب أسبر أرجو المحبوب كومدور الجمهورية الكوريلية بزوجته عند دخولها بأن خفض حاجبيه الهزيلين بشكلٍ مصطنع. لم يكن لقبه الذي أعطاه لنفسه يسري عليها، حتى هو كان يعرف هذا.

قالت بصوتٍ ناعم كشعرها وبارد كعينيها: «أعتقد يا سيدي الكريم أنك قد وصلت أخيرًا إلى قرار بخصوص مصير هؤلاء المغرورين في القاعدة».

قال الكومدور بسخرية: «حقًّا؟ وما الذي تعتقدينه أيضًا ببصيرتك الثاقبة؟».

«هذا يكفي يا زوجي النبيل، لقد أجريت ما يكفي من المشاورات مع مستشاريك وناصحيك الرائعين». ثم قالت بازدراء لا متناهٍ: «قطيع من الحمقى العاجزين متبلدي الذهن، الذين يحتضنون أرباحهم العقيمة بالقرب من قلوبهم المريضة رُغم استياء أبي».

أجابها بلا اكتراث: «ومن هو يا عزيزتي المصدر الممتاز الذي تفهمين منه كل هذا؟».

ضحكت الكومدورا ضحكة مقتضبة وقالت: «إذا أخبرتك عن مصدري، فسيصير جثة هامدة».

«حسنًا، فلتفعلي ما يحلو لكِ كالعادة».

ثم هزَّ الكومدور كتفيه وهو يلتفت بعيدًا قبل أن يقول: «أما بالنسبة لاستياء أبيكِ فأخشى أن سببه هو رفضه ببخل إمدادنا بالمزيد من السفن».

صاحت في غضب: «المزيد من السفن! ألا تملك خمسًا؟ لا تنكر هذا، أنا أعرف أن لديك خمسًا، وقد وعدك بالسادسة».

«لقد وعدني بها منذ العام الماضي».

«ولكن سفينة واحدة ـ واحدة فقط ـ يُمكنها أن تُحيل القاعدة إلى أنقاض عفنة. سفينة واحدة يُمكنها أن تمحو سفنهم الضئيلة من الفضاء».

«لا يُمكنني الهجوم على كوكبهم حتى لو كان معي عشر سفن».

«وإلى أي مدى سيصمد كوكبهم إذا تلفت تجارتهم وتحطَّمت شحناتهم من الألعاب والنفايات؟».

تنهَّد وقال: «هذه الألعاب والنفايات تعني المال، مبالغ كبيرة من المال».

«ولكن إذا استحوذت على القاعدة نفسها ألن تستحوذ على كل ما تحويه؟ وإذا نلت احترام أبي وامتنانه ألن تحصل على أكثر بكثير مما يُمكن أن تزودك به القاعدة؟ لقد مرَّ ثلاث سنوات منذ أن جاء ذلك البربري بعرضه السحري، هذا وقت طويل بما يكفي».

التفت الكومدور ليواجهها وقال: «أنا أتقدم في العمر يا عزيزتي، أنا متعب، وأفتقر إلى القدرة على تحمل فمك الثرثار. أنتِ تقولين إنك تعرفين ما قررته، حسنًا لقد قررت وحسمت الأمر؛ سيكون هناك حرب بين كوريل والقاعدة».

تهلَّلت أسارير الكومدورا ولمعت عيناها وهي تقول: «حسنًا! لقد تعلَّمتَ الحكمة أخيرًا، رُغم أنك في شيخوختك. والآن عندما تصير سيد هذه المنطقة النائية فربما تنال ما يكفي من الاحترام لتصير ذا وزن وأهمية في الإمبراطورية، ربما يُمكننا حينها أن نُغادر هذا الكوكب البربري وننضم إلى حاشية الوالي، ربما يحدث هذا

حقًّـا».

ثـم انصرفـت بابتسـامة عـلى وجهها، ويدهـا عـلى خاصرتها، وشـعرها يلمـع في الضوء.

انتظـر الكومـدور ثـم قـال للبـاب المُغلـق بكراهيـة وحقـد: «وعندمـا أصـير أنـا سـيد المنطقـة النائيـة كـما تسـمينها فربمـا أنـال مـا يكفـي مـن الاحـترام لـكي أتخـلى عـن غطرسـة أبيـك ولسـان ابنتـه، أتخـلى عنهـما تمامًـا».

الفصل السابع عشر

حدَّق ملازم أوَّل سفينة (السديم المظلم) برعب إلى جهاز الاتصال التلفزيوني.

«ما هذا بحق المجرات الراكضة العظيمة!». كان يريد أن يصرخ بهذا ولكنه لم يكن سوى مجرد همس.لقد كانت سفينة، ولكنها بدت كالحوت بالنسبة لسمكة السديم المُظلم الصغيرة. وعلى جانبها كان شعار سفينة الفضاء والشمس الخاص بالإمبراطورية. صرخ كل جهاز إنذار على متن السفينة بشكلٍ هيستيري.

صدرت الأوامر، واستعدت سفينة السديم المظلم للهرب إن استطاعت، وللقتال إن اضطرت. بينما في الأسفل في غُرفة الموجات الفائقة أسرعت رسالة عبر الفضاء الفائق ناحية القاعدة. مرارًا وتكرارًا! بشكلٍ جزئي لطلب المساعدة، ولكن بشكلٍ أساسي للتحذير من الخطر.

الفصل الثامن عشر

كان هوبر مالو يتململ في جلسته وهو يتصفح التقارير، لقد جعلته سنتان من العُمُدية أكثر تسامحًا وليئًا وصبرًا، لكنها لم تجعله يتعلم أن يُحب التقارير الحكومية، والطريقة الرسمية المثيرة للأعصاب التي تُكتب بها.

سأله جايل: «كم عدد السفن التي حصلوا عليها؟».

قال مالو: «أربع سفن محتجزة على الأرض، اثنتان لم يُبلغ عنهما، البقية محسوبون وآمنون». ثم قال متذمرًا: «كان يجب علينا أن نتصرف بشكل أفضل، ولكن هذا مُجرد خدش».

لم يكن هناك إجابة فرفع مالو عينيه وقال: «هل هناك شيء يُقلقك؟».

أجابه بشكلٍ عابر: «أتمنى أن يصل سوت إلى هنا».

«أجل، والآن سأسمع مُحاضرة أُخرى عن الجبهة الداخلية».

قال جايل بحدة: «لا، لن تسمع، ولكنك عنيد يا مالو. ربما يكون باستطاعتك إدارة الوضع الخارجي بأدق التفاصيل، ولكنك لا تهتم قط بما يحدث هنا على الكوكب الأم».

«حسنًا، هذه هي وظيفتك، أليس كذلك؟ لماذا جعلتك وزير التعليم والإعلام إذن؟».

«لكي تُرسلني إلى قبري قبل الأوان وبشكلٍ بائس بالطبع، بفضل كل هذا التعاون الذي تمدني به. كنت أُدافع عنك طيلة العام الماضي ضد الخطر المتصاعد لسوت ومتعصبيه الدينيين. ماذا ستكون فائدة خطتك إذا فرض سوت انتخابًا استثنائيًا وألقى بك

خارجًـا».

«لا شيء، أنا أعترف بهذا».

«وخطبتـك في الليلـة الماضيـة عـن تسـليم الانتخابـات إلى سـوت بابتسـامة وتربيـت عـلى الظهـر، هـل كان يجـب أن تكـون صريحًـا هكـذا؟».

«أليس الهدف هو سرقة الأضواء من سوت؟».

قـال جايـل بحـدة: «ليـس بالطريقـة التـي فعلتهـا، أنـت تزعـم أن باسـتطاعتك التنبـؤ بـكل شيء، ولا تُفـسر لمـاذا تتاجـر مـع كوريـل لمصلحتهـم الخاصـة لثلاث سـنوات. إن خطتـك الوحيـدة للقتـال هـي الانسـحاب بـدون قتـال. لقـد هجـرت التجـارة مـع كل قطاعـات الفضاء بالقـرب مـن كوريـل، أنـت تُعلـن بصراحـة حالـة جمـود، ولا تعـد بـأي هجـوم حتـى في المسـتقبل. بحـق المجـرة يـا مالـو، مـا المفـترض أن أفعلـه بـكل هـذه الفـوضى».

«هل يفتقر إلى البريق؟».

«إنه يفتقر إلى استجداء مشاعر العامة».

«إنه الشيء ذاته».

«اسـتيقظ يـا مالـو، إن لديـك خياريـن؛ إمـا أن تقـدم إلى النـاس سياسـة خارجيـة حيويـة بغـض النظـر عـن خططـك الخاصـة، أو أن تُجـري بعـض التسـوية مـع سـوت».

قـال مالـو: «حسـنًا، إذا فشـلت في الأولى فسـأجرب الثانيـة. لقـد وصـل سـوت».

لم يلتـقِ سـوت ومالـو بشـكلٍ شـخصي منـذ يـوم المحاكمـة قبـل عامـين، لم يلحـظ أي منهـما تغـيراً في الآخـر باسـتثناء الجـو العـام الـذي يُحيـط بـكل منهـما، والـذي يـشي بوضـوح أن دوريّ الحاكـم والمعـارض

قـد تبـدَّلا.

جلـس سـوت في مقعـده دون أن يصافحهـما، فقـدَّم لـه مالـو سـيجارًا وهـو يقـول: «هـل تمُانـع أن يبقـى جايـل، إنـه يُريـد التسـوية بصـدق، يُمكنـه أن يلعـب دور الوسيط إذا تفاقمـت الأمـور».

هـزَّ سـوت كتفيـه وقـال: «التسـوية مـن مصلحتـك. سـألتك ذات مـرة في مناسـبة أُخـرى أن تذكـر شروطـك، أفـترض أن الأدوار تبدَّلـت الآن».

«افتراضك صحيح».

«إذن هــذه هــي شروطــي؛ يجــب عليـك أن تتخـلى عــن سياسـتك الفاسـدة المتمثلـة في الرشـوة الاقتصاديـة والتجـارة في المعـدات، وأن تعـود إلى السياسـة الخارجيـة المضمـون نجاحهـا التـي اتبعهـا آباؤنـا».

«هل تعني الغزو باسم التبشير؟».

«بالضبط».

«ألا يوجد تسوية سوى هذا؟».

«لا».



أشـعل مالـو طـرف سـيجاره ببـطء ثـم أخـذ نفسًـا عميقًـا ليشـتعل طـرف السـيجار ببريـق متوهـج، قبـل أن يقـول: «في زمـن هارديـن، عندمـا كان الغـزو باسـم التبشـير شـيئًا جديـدًا وثوريًـا، كان رجـال مثلك يعارضونـه. الآن وهـو مُجـرَّب وناجـح ومقـدس فـإن رجـلًا مثـل جـوران سـوت سـيرى أنـه جيـد. ولكـن أخـبرني كيـف يُمكنـك أن تُخرجنـا مـن فوضانـا الحاليـة».

«إنها فوضاك الحالية، أنا لا شأن لي بالأمر».

«حسنًا، فلنعدل السؤال تعديلًا طفيفًا».

«يجــب إعـلان هجـوم قـوي، حالـة الركـود التـي يبـدو أنـك راضٍ

بها مميتة، سيكون هذا بمثابة اعتراف بالضعف لكل الكواكب في محيط المجرة الخارجي، حيث مظهر القوة هو أهم شيء، ولا يوجد جشع بينهم لن ينضم إلى الهجوم من أجل نصيبه من الربح. أنت تفهم هذا بالتأكيد فأنت من سميرنو، أليس كذلك؟».

تجاهل مالو هذا التلميح وقال: «وإذا هزمت كوريل، ماذا عن الإمبراطورية؟ إنها العدو الحقيقي».

ابتسم سوت بركن فمه وقال: «أوه، لا، إن تقاريرك عن زيارتك لسيوينا كانت مكتملة، إن والي القطاع النورماني مهتم بخلق زعزعة في محيط المجرة الخارجي من أجل مصلحته الخاصة. ولكن هذه مسألة جانبية، إنه لن يُغامر بكل شيء في حملة إلى حافة المجرة بينما لديه خمسون جارًا عدائيًا وإمبراطورًا ليتمرد ضده، أنا أُعيد استخدام كلماتك الخاصة».

«بل قد يفعل هذا يا سوت، إذا ظن أننا أقوياء بما يكفي لنُشكِّل خطرًا، وهو ما سيظنه إذا دمَّرنا كوريل بهجوم مُباشر. يجب أن نُفكر بشكلٍ أكثر مكرًا».

«على سبيل المثال؟».

اتَّكأ مالو بظهره إلى الوراء وقال: «سأُعطيك فُرصتك يا سوت، أنا لا أحتاج إليك، ولكن يُمكنني الاستعانة بك. سأخبرك بالأمر برمته ويُمكنك بعدها أن تنضم إليَّ وتأخذ موقعك في ائتلاف الحكومة، أو يُمكنك أن تلعب دور الشهيد وتتعفن في السجن».

«لقد جرَّبتَ هذه الخدعة الأخيرة من قبل».

قال مالو: «ليس بجدية كبيرة يا سوت، لم يأتِ الوقت المناسب سوى الآن». ثم ضيَّق عينيه وقال: «والآن اسمعني، عندما هبطت أول مرة على كوريل رشوت الكومدور بالحلي والأدوات الموجودة

عـادة في مخـازن التجـار، في البدايـة كان الغـرض مـن هـذا فقـط هـو أن أدخـل إلى مصهـر الفـولاذ، لم يكـن لـديَّ خطـة سـوى هـذه ولكنـي نجحـت فيهـا، وحصلـت عـلى مـا أردتـه. ولكـن بعـد زيـارتي للإمبراطوريـة فقـط أدركـت لأول مـرة أي سـلاح يُمكـن أن أحـوِّل إليـه التجـارة.

نحـن نواجـه أزمـة سـيلدون يـا سـوت، وأزمـات سـيلدون لا يحلهـا الأشـخاص بـل القـوى التاريخيـة. عندمـا خطـط هـاري سـيلدون مسـار التاريـخ المسـتقبلي فإنـه لم يضـع في حسـبانه البطـولات العبقريـة، ولكـن الانزيـاح الكبـير للقـوى الاقتصاديـة والاجتماعيـة. لـذا فـإن حـل هـذه الأزمـات يجـب أن يتحقـق بالقـوى التـي تكـون متاحـة لنـا في هـذا الوقـت.

في هذه الحالة التجارة».

رفـع سـوت حاجبيـه في شـك واسـتغل هـذ الصمـت القصـير لـكي يقـول: «أتمنـى ألا يكـون ذكائي محـدودًا، ولكـن الحقيقـة هـي أن محاضرتـك المبهمـة لم تسـاعدني عـلى الفهـم».

قـال مالـو: «سـتفهم كل شيء، فلتضـع في اعتبـارك أن قـوة التجـارة حتـى الآن تبـدو هينـة الشـأن، لقـد كانـت الفكـرة الشـائعة أننـا نحتـاج لوضـع الكهنـوت تحـت سـيطرتنا لـكي نجعلـه سـلاحًا قويًـا، هـذا ليـس حقيقيًـا، وهـذه هـي مسـاهمتي في هـذا الموقـف المجري. التجـارة بـدون كهنـة! التجـارة فقـط! إنهـا قويـة بمـا يكفـي. دعنـا نتحـدث بشـكلٍ أكـثر بسـاطة ودقـة، إن كوريـل الآن في حالـة حـرب معنـا، وبالتـالي فـإن تجارتنـا معهـا قـد توقَّفـت، ولكـن ـ لاحـظ أننـي أجعـل هـذه المشـكلة بسـيطة قـدر الإمـكان ـ خـلال السـنوات الثلاثـة الماضيـة جعلـت كوريـل اقتصادهـا يعتمـد بشـكل أكـبر وأكـبر عـلى

التقنيات النووية التي قدَّمناها لهم، والتي لا يستطيع غيرنا أن يستمر في إمدادهم بها. والآن ماذا تفترض أنه سيحدث عندما تبدأ مولدات الطاقة النووية الصغيرة في التدهور، وتتعطل الآلة تلو الأُخرى؟ سوف تتعطل الأجهزة المنزلية الصغيرة أولًا، وبعد نصف سنة أُخرى من هذا الركود الذي تمقته فإن سكين المرأة النووية ستتوقف عن العمل، سيتعطل موقدها، لن تؤدي غسّالتها وظيفة جيدة، سيتعطل جهاز التحكم في الحرارة والرطوبة في بيتها في يوم صيفي حار. ما الذي سيحدث حينها؟».

صمت في انتظار الإجابة فقال سوت بهدوء: «لا شيء، يتحمل الناس الكثير أثناء الحرب».

«هذا صحيح تمامًا، سوف يُرسلون أبناءهم بأعداد لا تُحصى ليموتوا بشكلٍ مروع على سُفن فضاء مُحطمة، سوف يتحملون العيش تحت قصف العدو، حتى وإن كان هذا يعني أن عليهم العيش على الخبز العطن والماء الأسن في كهوف على عُمق نصف ميل، ولكن سيكون من الصعب تحمل أقل الأشياء بدون وجود الروح الوطنية المرتفعة الناتجة عن الخطر المباشر، ستكون حالة من الركود، لن يكون هناك أي خسائر أو قصف أو معارك.

لن يكون هناك سوى سكين لا تقطع شيئًا وموقد لا يطهو شيئًا وبيت يتجمد في الشتاء، سيكون الأمر مزعجًا وسيبدأ الناس في التذمر».

قال سوت متعجبًا ببطء: «هل هذا ما تعلق عليه آمالك يا رجل؟ ما الذي تتوقعه؟ ثورة ربات البيوت؟ تمرد الفلاحين؟ انتفاضة مُفاجئة من الجزارين والبقالين وهم يحملون السواطير وسكاكين الخبز ويصيحون: أعيدوا إلينا غسالاتنا الأوتوماتيكية

النوويـة السـوبر كلينـو؟».

قـال مالـو بنفـاد صـبر: «لا يـا سـيدي، أنـا لا أتوقـع هـذا، ولكنـي أتوقـع حالـة عامـة مـن التذمـر وعـدم الرضـا، التـي سـينتهزها الشـخصيات الأكـثر أهميـة لاحقًـا».

«ومن هم هؤلاء الشخصيات الأكثر أهمية؟».

«أصحـاب الـشركات والمصانـع ورجـال الأعـمال في كوريـل. عندمـا ينقـضي عامـان مـن الركـود سـتتعطل الآلات في المصانـع واحـدة تلـو الأخـرى، هـذه الصناعـات التـي غيرناهـا مـن الألـف إلى اليـاء بمعداتنـا النوويـة الجديـدة سـتجد نفسـها فجـأة مُدمَّـرة، أصحـاب الصناعـات الثقيلـة سـيجدون أنفسـهم فجـأة وبشـكلٍ جماعـي وبضربـة واحـدة لا يملكـون شـيئًا سـوى آلات مـن الخـردة لا تعمـل».

«لقـد كانـت هـذه المصانـع تعمـل بشـكل جيـد بمـا يكفـي قبـل مجيئـك يـا مالـو».

«أجـل يـا سـوت لقـد كانـت تعمـل بنسـبة واحـد إلى عشريـن مـن الأربـاح؟ حتـى لـو تغاضينـا عـن تكاليـف إعـادة التحـول إلى المرحلـة الأصليـة مـا قبـل النوويـة. إلى متـى يُمكـن أن يصمـد الكومـدور بينـما رجـال الصناعـات والممولـون والمواطـن العـادي ضـده؟».

«إلى مـا يشـاء، حالمـا يخطـر ببالـه أن يحصـل عـلى مولـدات نوويـة جديـدة مـن الإمبراطوريـة».

ضحـك مالـو بابتهـاج وقـال: «لقـد أسـأت فهـم الأمـر يـا سـوت، كـما أسـاء الكومـدور نفسـه فهمـه، لقـد أسـأت فهـم كل شيء ولم تفهـم أي شيء. اسـمعني يـا رجـل، الإمبراطوريـة لا تسـتطيع اسـتبدال شيء، لطالما كانـت الإمبراطوريـة عالمًـا مـن المـوارد الضخمـة، لقـد حسـبوا حسـاب كل شيء، في الكواكـب وفي المجموعـات الشمسـية، وفي قطاعـات كاملـة

مـن المجـرة. إن مولداتهـم عملاقـة لأنهـم يفكـرون بطريقـة عملاقـة.

ولكـن نحـن، نحـن القاعـدة الصغـيرة، وكوكبنـا الوحيـد الـذي بـدون مـوارد معدنيـة تقريبًـا، اضطررنـا للعمـل في ظـل اقتصـاد قـاسٍ. كان يجـب أن تكـون مولداتنـا بحجـم إبهامنـا، لأن هـذا هـو كل المعـدن الـذي يُمكننـا توفـيره. كان يجـب علينـا أن نطـور تقنيـات جديـدة ووسـائل جديـدة، تقنيـات ووسـائل لا تسـتطيع الإمبراطوريـة اتباعهـا، لأنهـم قـد انحـدروا إلى المسـتوى الـذي لا يسـتطيعون فيـه تحقيـق أي تقـدم علمـي حيـوي حقيقـي.

مـع دروعهـم النوويـة الكبـيرة بمـا يكفـي لحمايـة سـفينة أو مدينـة أو كوكـب بأكملـه لم يسـتطيعوا بنـاء واحـدٍ لحمايـة رجـل منفـرد، لتوفـير الضـوء والحـرارة لديهـم محـركات بارتفـاع سـتة طوابـق ـ لقـد رأيتهـا ـ بينـما محركاتنـا يُمكـن أن توضـع في مثـل هـذه الغُرفـة، وعندمـا أخـبرت واحـدًا مـن متخصصيهـم النوويـين أن حاويـة نوويـة بحجـم ثمـرة جـوز تحتـوي عـلى مولـد نـووي كاد أن يختنـق في الحـال مـن الاسـتنكار.

هـذا لأنهـم الآن لا يفهمـون حتـى مولداتهـم العملاقـة، إن آلاتهـم تعمـل مـن جيـل إلى جيـل بشـكلٍ تلقـائي، والقائمـون عليهـا هـم طائفـة يتوارثـون الأمـر وسـيقفون عاجزيـن إذا احـترق صمامًـا مركزيًـا في هـذا المبنـى الضخـم.

الحـرب برمتهـا هـي معركـة بـين هذيـن النظامـين، بـين الإمبراطوريـة والقاعـدة، بـين الكبـير والصغـير. لـكي يسـيطروا عـلى كوكـب فإنهـم يرشـونه بسـفن ضخمـة يُمكنهـا أن تشـن حربًـا ولكنهـا تفتقـر لأي أهميـة اقتصاديـة. نحـن عـلى الجانـب الآخـر نرشـوهم بأشـياء صغـيرة عديمـة النفـع في الحـرب ولكنهـا حيويـة مـن أجـل الرفاهيـة والأربـاح.

أي ملـك أو كومـدور سـيأخذ السـفن، بـل وقـد يشـن حربًـا. لطالمـا

قايض الحكام المتعسفون عبر التاريخ رفاهية رعاياهم بما يعتبرونه الشرف والمجد والنصر. ولكن الأشياء الصغيرة في الحياة هي التي تَهُمُّ رغم ذلك. وأسبر أرجو لن يتحمل الكساد الاقتصادي الذي سيجتاح كل كوريل في غضون عامين أو ثلاثة».

كان سوت واقفًا عند النافذة، موليًا ظهره إلى مالو وجايل، كان المساء في أوله، ولم يكن هناك سوى القليل من النجوم التي كانت تكافح بضعف هنا في أقصى حدود المجرة لتلمع في خلفية هذه العدسة الضبابية الرقيقة التي تتضمن بقايا هذه الإمبراطورية التي لا تزال شاسعة وتُقاتل ضدهم.

قال سوت: «لا، أنت لست الرجل المناسب».

«ألا تُصدقني؟».

«أعني أنني لا أثق بك. أنت معسول الكلام، لقد خدعتني من قبل عندما كنت أظن أنني أضعك تحت رقابة جيدة أثناء رحلتك الأولى إلى كوريل، عندما ظننت أنني أحكمت الخناق حولك في المحكمة، لقد تسللت زاحفًا كالدودة في النهاية ووصلت إلى كرسي العمدة باستخدام الغوغائية.

أنت لست صريحًا على الإطلاق، لا يوجد دافع واضح بدون دافع خفي وراءه، ولا جملة ليس لها ثلاثة معانٍ.

فلنفترض أنك خائن، فلنفترض أن زيارتك للإمبراطورية قد جلبت لك منحة ووعدًا بالقوة، فإن تصرفاتك ستكون تمامًا كما هي الآن، لن تبدأ أي حرب إلا بعد أن تعزز قوة أعدائك، سوف تُجبر القاعدة على حالة من الخمول، وسوف تقدم تفسيرًا معقولًا لكل شيء، تفسيرًا معقولًا للغاية حتى أنه قد يُقنع أي شخص».

سأله مالو بهدوء: «هل تقصد أنه لن يكون هناك أي تسوية؟».

«أقصد أنك يجب أن تترك منصبك، سواء بإرادتك أو بالقوة».

«لقد حذرتك من البديل الوحيد للتعاون».

احتقن وجه جوران سوت بالدماء بسبب المشاعر التي انتابته فجأة وقال: «وأنا أحذرك أيها السميرني هوبر مالو أنك إن اعتقلتني فلن يكون هناك أي رحمة، لن يتوانى رجالي عن نشر حقيقتك، وسوف يتحد عوام القاعدة في وجه حاكمهم الأجنبي. هناك وعي بالمصير لا يُمكن أن يفهمه سميرني مثلك، وهذا الوعي سوف يُدمرك».

قال هوبر مالو بهدوء إلى الحارسين اللذين دلفا إلى المكتب: «خذاه بعيدًا، إنه رهن الاعتقال».

قال سوت: «هذه فرصتك الأخيرة».

أطفأ مالو سيجاره ولم ينظر إليه.

بعد خمس دقائق تململ جايل وقال بتعب: «والآن بعد أن جعلت منه شهيد قضية، ما التالي؟».

توقَّف مالو عن اللعب بمطفأة السجائر ونظر إليه قائلًا: «هذا ليس سوت الذي كنت أعرفه، إنه ثور أعماه الغضب، بحق المجرة إنه يكرهني».

«وهذا يجعله أكثر خطرًا إذن».

«أكثر خطرًا؟ هذا هراء! لقد فقد قدرته على التمييز».

قال جايل متجهمًا: «أنت تُبالغ في ثقتك بنفسك يا مالو. أنت تتجاهل احتمالية الثورة الشعبية».

نظر إليه مالو متجهمًا بدوره وقال: «لأول وآخر مرة يا جايل، لا يوجد أي احتمالية لثورة شعبية».

«أنت واثق من نفسك تمامًا!».

«أنا واثق من أزمات سيلدون والمسارات التاريخية الحتمية لحلها، من الداخل والخارج. هناك أشياء لم أُخبر سوت بها الآن. لقد حاول السيطرة على القاعدة نفسها باستخدام القوى الدينية كما كان يسيطر على الكواكب الخارجية، وقد فشل في هذا، وهي إشارة أكيدة على أن الدين قد انتهى دوره في خطة سيلدون.

السيطرة الاقتصادية تعمل بشكلٍ مختلف، وبإعادة صياغة مقولة سالفور هاردين الشهيرة التي ذكرتها فإنه سلاح نووي ذو حد واحد لا حدين، إذا ازدهرت كوريل مع تجارتنا فكذلك نحن سنزدهر، إذا تعطَّلت مصانع كوريل بدون تجارتنا، وإذا تلاشى ازدهار الكواكب الخارجية مع العزلة الاقتصادية فإن مصانعنا كذلك ستتعطل وازدهارنا سيتلاشى.

ولا يوجد أي مصنع أو مركز تجاري أو خط شحن ليس تحت سيطرتي المباشرة، لذا لا يُمكنني أن أخسر كل شيء إذا حاول سوت استخدام الدعايات الثورية، إذا نجحت دعايته أو حتى بدا أنها قد تنجح فسوف أحرص على أن يموت الازدهار، وإذا فشلت دعايته فإن الازدهار سيستمر لأن مصانعي ستظل تعمل بالطاقة الكاملة.

لذا فبالمنطق ذاته الذي يجعلني واثقًا أن الكوريليين سوف يثورون لصالح الازدهار فأنا واثق أننا لن نثور ضده، سوف تستمر اللعبة حتى نهايتها».

سأله جايل: «إذن فأنت تؤسس بلوتوقراطية، أنت تجعلنا أرضًا للتجار وأُمراء التجارة. إذن ماذا عن المستقبل؟».

رفع مالو وجهه المتجهم وقال بحدة: «ما شأني بالمستقبل؟ لا شكَّ أن سيلدون قد تنبَّأ به واستعد له. سوف تكون هناك أزمة

أخـرى في الوقـت الـذي تصـير فيـه قـوة المـال ميتـة كـما هـي قـوة الديـن الآن. دع أسـلافنا يحلـون هـذه المشـاكل الجديـدة كـما حللـت أنـا مشـكلة اليـوم».



كوريل: ... وهكذا بعد ثلاثة أعوام من حرب كانت هي بالتأكيد أكثر حرب بلا قتال في التاريخ استسلمت جمهورية كوريل استسلامًا غير مشروط، وأخذ هوبر مالو موضعه بجانب هاري سيلدون وسالڤور هاردين في قلوب سكان القاعدة.

الموسوعة المجرية.



كيان للنشر والتوزيع

أفضل دار نشر مصرية ٢٠٢١

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زوروا موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01000405450 /01001872290

وللاطلاع علي كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كتابنا الثقافية، يمكنكم متابعتنا على حسابات التواصل الاجتماعي التالية:



FOUNDATION
القاعدة

لأكثر من اثنتي عشر ألف سنة حكمت الإمبراطورية المجرية المجرة بأسرها، ملايين الكواكب المأهولة من قلب المجرة العاصمة ترانتور وحتى محيط المجرة الخارجي. عالم واحد يدعى هاري سيلدون يستخدم علم التاريخ النفسي للتنبؤ بالمستقبل، ليرى احتضار الإمبراطورية المجرية، وعصور من الظلام والبربرية والجهل ستستمر لثلاثين ألف سنة في أعقاب انهيار الإمبراطورية. لحفظ العلوم البشرية وتقليص فترة البربرية إلى ألف سنة فقط يجمع هاري سيلدون خيرة عقول المجرة ليؤسس قاعدة في كوكب مقفر في طرف المجرة البعيد، كوكب تيرمنوس. سرعان ما تجد القاعدة نفسها محاطة بأعداء أكبر من قدرتها على المواجهة، ممالك بربرية قد انشقت عن الإمبراطورية المجرية، ومن ورائهم أخطار وأزمات تهدد القاعدة وخطة هاري سيلدون من أجل مستقبل البشرية

سلسلة القاعدة هي واحدة من روائع أدب الخيال العلمي ومن أهم روايات الكاتب أيزاك أزيموف، وأكثرهم تأثيرًا في أدب الخيال العلمي في العالم، وقد احتفى بها النقاد والقراء على حد سواء لما تحويه من بناء عالم متشابك، وأفكار غير مسبوقة، وتفاصيل مذهلة يرسم فيها أزيموف مجرتنا في المستقبل البعيد. حازت السلسلة على جائزة هوجو لأفضل سلسلة على الإطلاق سنة ١٩٦٦ وترجمت إلى عدة لغات وباعت ملايين النسخ حول العالم، وهي بين أيديكم الآن لأول مرة باللغة العربية


9 789778 201062